الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعـليـــم العـالـــــي والبحــــث العلمـــي
Ministère de l’enseignement supérieur et de la Recherche Scientifique
كليـــة العلـــوم الإنسانيـــة والعلـوم الإسلاميـــة
Faculté des Sciences Humaines et des Sciences Islamiques
قسم الحضارة الإسلامية

الأندلسيّون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط

من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين
من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطّالب:
مُحَمَّد سعداني

إشراف:
أ.د: مُحَمَّد بن معمر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د- عبد المجيد بن نعمية	جامعة وهران1	رئيسا
أ.د- مُحَمَّد بن معمر	جامعة وهران1	مشرفا ومقررا
د-مُحَمَّد بوركبة	جامعة وهران1	عضوا مناقشا
د- نصر الدين بن داود	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د-نصر الدين بن سادات	جامعة وهران2	عضوا مناقشا
د- أحمد الحمدي	جامعة أدرار	عضوا مناقشا

ا لسنة الجامعية:1436-1437هـ/2015-2016 م

الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــــي والبحـــــث العلمـــــي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la Recherche Scientifique
كليـــــة العلـــــوم الإنسانيـــــة والعلـــــوم الإسلاميـــــة
Faculté des Sciences Humaines et des Sciences Islamiques
قسم الحضارة الإسلامية

الأندلسيّون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط

من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين
من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطّالب:
محمد سعداني

إشراف:
أ.د:محمد بن معمر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د- عبد المجيد بن نعمية	جامعة وهران1	رئيسا
أ.د- محمد بن معمر	جامعة وهران1	مشرفا ومقررا
د-محمد بوركبة	جامعة وهران1	عضوا مناقشا
د- نصر الدين بن داود	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د-نصر الدين بن سادات	جامعة وهران2	عضوا مناقشا
د- أحمد الحمدي	جامعة أدرار	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1436/1437هـ-2015/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والديّ

إلى روح أمي رحمها الله.

إلى أبي شفاه الله ورعاه.

أرفع ثواب هذا العمل

إلى كل أندلسيّ يحنّ إلى بلاد الأندلس الضائعة.

و إلى كل فلسطينيّ يُقاوم حتى لا تكون فلسطين أندلسًا أخرى.

مقدمة

إنّ التواصل الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس يعتبر فضاء ثريا للبحث،ومن تجليات هذا التواصل توافد العديد من القبائل العربية من المشرق، و القبائل البربرية من المغرب منذ الفتح الإسلامي على الأندلس،حيث ساهم ذلك في تعمير هذا البلد وتطويره اقتصاديا وحضاريا.وقد استمرت الهجرة المشرقية والمغربية تجاه بلاد الأندلس إلى أن تغيرت الأوضاع، فصار الأندلسيون ينتقلون بأسرهم إلى حواضر المغرب الإسلامي بأعداد كبيرة،وبخاصة مع حلول القرن السابع الهجري،حيث قام كل من المرينيين والزيانيين والحفصيين باستقبال هذه الوفود،و تمكينها من الاستقرار و الاستيطان.

وكان للحضور الأندلسي في المغرب الإسلامي آثاره السلبية والتراجيدية على بلاد الأندلس،وفي الوقت نفسه كان له أثر إيجابي على الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والفنية والعمرانية في المغرب الإسلامي بأقسامه الثلاثة:الأقصى والأوسط والأدنى.

وتأسيسا على ما تقدم،فستكون هذه الدراسة،ذات مسارين متقابلين:مسار يبحث في جذور مأساة ضياع الأندلس ، وخروج أهلها منها فرارا من بطش الإسبان النصارى،وما صاحبه من مآسي،ومسار ثان يكشف التفوق الحضاري الذي تميّز به الأندلسيون المهاجرون، و دورهم البارز في تنشيط حواضر المغرب الإسلامي سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

وبناء على ذلك،فإن الرؤية الإشكالية التي حاولت من خلالها مقاربة هذين المسارين التاريخين يمكن تلخيصها في جملة من التساؤلات التالية:

أولا: ماهي المراحل التي مرت بها الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط بداية من الفتح الإسلامي إلى القرن التاسع الهجري؟و ماهي العوامل التي ساعدت على استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى مدن المغرب الأوسط خصوصا خلال القرن السابع الهجري؟.

ثانيا: هل كان للمهاجرين الأندلسيين تأثير حضاري واضح على مدن المغرب الأوسط، وبالأخص على حاضرة تلمسان عاصمة الزيانيين، وعلى حاضرة بجاية الحفصية؟ وهل هذا

التأثير الأندلسي كان قاصرا على مجالات معينة أم أنّه شمل ميادين الحياة كلها: السياسية والثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية والفنية والعمرانية؟

وهكذا،فإنّ معاينة الحضور الأندلسي وتأثيراته الحضارية بالمغرب الأوسط في العصر الحفصي والزياني لم يكن وليد الصدفة،وإنّما كان نتيجة مجموعة من الدوافع.ومنها الرغبة في استكشاف التاريخ الجزائري،وبالأخص ما ارتبط بالتاريخ الإسلامي،وكذلك ما لاحظته من أنّ اهتمام الدارسين تركز أكثر على فترة ما بعد سقوط غرناطة وما صاحبها من النزوح الجماعي الكبير للأندلسيين إلى العدوة المغربية،فظهرت دراسات مستفيضة عن هجرات الموريسكيين و أحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في مناطق بلاد المغرب.

ولكن من جهة أخرى لا يوجد إلا النزر القليل من الدراسات عن الجاليات الأندلسية المهاجرة إلى المدن المغربية وتأثيراتها الحضارية في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين ،و خصوصا بمنطقة المغرب الأوسط.ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعني إلى تخصيص دراسة شاملة عن موضوع الأندلسيين، و دورهم الحضاري في إقليم المغرب الأوسط، وبالأخص في حاضرة تلمسان الزيانية وفي حاضرة بجاية الحفصية،وذلك خلال القرن السابع والتاسع الهجريين.

واستنادا إلى ذلك، فإنّ البحث في الحضور الأندلسي وتأثيراته الحضارية بالمغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية والحفصية،صار أمرا ملحا، وبخاصة أنني لا أجد _حسب اطلاعي _ دراسة مستقلة ومعمقة وشاملة تناولت هذا الموضوع في تلك الحقبة التاريخية،وإن كان هذا لا ينفي وجود مادة تاريخية عن هذا الموضوع مندرجة ضمن بعض الدراسات، أو المقالات المنشورة في المجلات والدوريات.ورغم قلة المادة التاريخية المتعلقة بهذه الدراسة، فإنّني أطمح لإبراز الدور الحضاري الذي قام به المهاجرون الأندلسيون في المغرب الأوسط في العصر الحفصي والزياني.

وعليه،فإنّ الانشغالات التي راودت فكري حول المهاجرين الأندلسيين و دورهم الحضاري بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع و إلى القرن التاسع الهجريين كانت وراء اختيار

موضوع هذا البحث،الموسوم:

"الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط

من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين/من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين."

وبناء على ذلك قسّمت هذا البحث إلى مقدمة،ومدخل،وأربعة فصول وخاتمة.

في **المدخل** الذي عنونته "**المغرب الأوسط و الأندلس جغرافيا و سياسيا قبل القرن السابع الهجري**"،تناولت فيه التحديد الجغرافي للمغرب الأوسط والأندلس،ثم تعرضت إلى الظروف السياسية التي أحاطت بهاتين المنطقتين،وذلك حتى يتسنى لنا فهم الإطار الجغرافي و الظروف التاريخية المحيطة بالحضور الأندلسي في المغرب الأوسط.

فأمّا **الفصل الأول**، فقد سمّيته" **الواقع السياسي للمغرب الأوسط والأندلس من ق 7هـ إلى ق 9 هـ** "، وخصصته أوّلا للمغرب الأوسط وواقعه السياسي، فتحدثت عن سقوط الدولة الموحدية و الأسباب المؤدية إلى ذلك،ثم عرّجت على أصل بني عبد الواد و موطنهم و كيفية اتصالهم بالموحدين،وقيام دولتهم و حدودها ،ثم الأدوار التاريخية التي مرت بها،وبعد ذلك انتقلت إلى بيان نشأة الدولة الحفصية و مراحل تطورها وركزت على علاقتها بالمغرب الأوسط خصوصا بحاضرة بجاية التي سلطت الضوء على أهميتها الجغرافية والسياسية والاقتصادية.

ثم تناولت ثانيا الواقع السياسي للأندلس خلال القرن السابع الهجري،فتحدثت عن العدوان النصراني الإسباني على المدن الأندلسية و سقوطها الواحدة تلو الأخرى في قبضة الممالك النصرانية،ثم تتبعت نشأة إمارة بني الأحمر النصرية بغرناطة و تطورها و كيفية سقوطها، و ما ترتب عن ذلك من نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس ،و ما تعرض له الأندلسيون من القمع و التعذيب والتهجير القسري.

وأمّا في **الفصل الثاني** الذي وسمته بــ" **مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط وعواملها** "،عالجت فيه مراحل الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب وبالخصوص إلى حاضرة تلمسان عاصمة الزيانيين وإلى حاضرة بجاية التابعة للدولة الحفصية،ثم تطرقت إلى العوامل المساعدة على توافد الأندلسيين إلى مدن المغرب الأوسط ،وبالأخص تلمسان الزيانية وبجاية الحفصية.

وانسجاما مع الفصلين السابقين،كان **الفصل الثالث** محاولة من أجل توضيح الإسهامات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين في حاضرة تلمسان الزيانية،ومن هذه الزاوية بيّنت التأثير الأندلسي في الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والعمرانية في حاضرة تلمسان الزيانية،ولهذا سميت الفصل بـ" **التأثيرات الحضارية الأندلسية في حاضرة تلمسان الزيانية**".

ثم أتبعت ذلك **بالفصل الرابع** الذي عنوانه" **التأثيرات الحضارية الأندلسية في حاضرة بجاية الحفصية**". وفيه سلطت الضوء على الدور الحضاري للجالية الأندلسية بحاضرة بجاية في العهد الحفصي، في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والعمرانية.

ولقد واجهتني عدة صعوبات،أثناء قيامي بالبحث،وأبرزها قلة المادة التاريخية التي تتحدث عن هجرات الأندلسيين وتأثيراتهم الحضارية بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري،وبالأخص ما تعلق بالتأثير الأندلسي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية بحاضرة تلمسان الزيانية ودور الجالية الأندلسية بحاضرة بجاية الحفصية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفنية والعمرانية، وكذلك ندرة الروايات التاريخية المتعلقة بالمدن الساحلية و الداخلية بالمغرب الأوسط التي وصلها الأندلسيون المهاجرون واستوطنوها.وهذا كله تسبب في وجود فجوات كبيرة في بيان التأثير الأندلسي الحضاري بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري،ممّا اضطرني إلى ترميم هذه الفراغات الكبيرة والنقص المعلوماتي قدر المستطاع بالاستناد إلى تمحيص الروايات و الاستفادة من الإشارات الواردة فيها.

واستندت في إنجاز هذه الدراسة إلى النصوص التاريخية انطلاقا من مصادرها الأصلية،محاولا البحث عن الأسباب والنتائج و تحليل الأحداث،وجمع الروايات،والمقارنة بينها، و تمحيصها ومناقشتها،لغرض الخروج باستنتاجات و خلاصات تنير على نحو ما الدور الحضاري الذي قام به المهاجرون الأندلسيون بالمغرب الأوسط في العهد الزياني والحفصي.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على مصادر تاريخية عديدة،ولكن هناك مصادر أساسية كان لها الفضل الكبير في بناء هذا البحث و إثرائه، و يمكن حصرها فيما يلي:

_ أول هذه المصادر المهمة "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" لأبي زكرياء يحيى بن خلدون(ت780هـ/1378م)،وهو في جزأين، الأول قام بتحقيقه عبد الحميد حاجيات،والثاني حققه بوزياني الدراجي.و يتضمن الجزء الأول التعريف بالمغرب الأوسط وتاريخه وقيام الدولة الزيانية، والتعريف بسلاطينها حتى نهاية الدور الأول من حكمهم.وقد اشتمل هذا الجزء على تراجم في غاية الأهمية لعلماء وأدباء ومتصوفة من أصول أندلسية،و إشارات لبعض الشخصيات الأندلسية التي كان لها دورها السياسي في المملكة الزيانية.وفيما يخص الجزء الثاني فقد احتوى على التاريخ السياسي والثقافي لدولة بني عبد الواد الزيانية في عهد أبي حمو موسى الثاني،و في هذا الجزء نجد بعض الإحالات المهمة لشخصيات أندلسية سياسية وأدبية كان لها إسهاماتها الثقافية في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني.وعموما فإنّ هذا المصدر أمدني بمعلومات هامة عن الدور السياسي والثقافي للمهاجرين الأندلسيين في حاضرة تلمسان الزيانية.

و أما المصدر الثاني المهم هو" **كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، وهو المشهوربـ"**تاريخ ابن خلدون**" لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1405م، وقد اعتمدت على النسخة التي قام خليل شحاذة بضبط متنها ووضع حواشيها و فهارسها ،و راجعها سهيل زكار،و أيضا استندت إلى مقدمة ابن خلدون التي قام بتحقيقها عبد السلام الشدادي في أربعة أجزاء. و "**رحلة ابن خلدون**"،التي عارضها بأصولها وعلّق على حواشيها محمد بن تاويت الطنجي.

و يعتبر كتاب العبر مهما بالنسبة لهذه الدراسة لأنّ عبد الرحمن بن خلدون كان معاصرا للدولتين الزيانية والحفصية،وقد تضمن تاريخه إشارات مهمة عن الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب و معلومات تاريخية نادرة عن الجاليات الأندلسية التي وفدت على حاضرة تلمسان في العهد الزياني لا نجدها في مصادر أخرى،و فضلا عن ذلك،ففيه مادة وفيرة عن أوضاع المغرب الإسلامي في عهد الدويلات الإقليمية:المرينية والزيانية والحفصية.

و من المصادر التي استعنت بها كثيرا"**عُنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" لأبي العباس أحمد بن أحمد الغُبريني المتوفى سنة 704هـ/1304م.و تكمن أهمية هذا المصدر في اشتماله على تراجم تفصيلية لعدد كبير من العلماء والأدباء الأندلسيين الذين استوطنوا حاضرة بجاية في العهد الحفصي،مما يجعل من هذا الكتاب مصدرا مهما في استكشاف التأثيرات الحضارية للجالية الأندلسية في مدينة بجاية الحفصية،خصوصا في الجانب الثقافي.

ومن المصادر التي تضمنت معلومات تاريخية عن الأندلسيين و حضورهم السياسي والثقافي ببلاد المغرب عموما وبالمغرب الأوسط خصوصا كتاب " **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**" لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى حوالي سنة1041هـ، تحقيق إحسان عباس.و يعد كتاب "**نفح الطيب**" موسوعة تاريخية ضخمة،و هو من أهم المصادر التي تؤرخ للأندلسيين و هجراتهم إلى مدن العالم الإسلامي مشرقا ومغربا،و لتراثهم الحضاري سواء في العدوة الأندلسية أو العدوة المغربية.وقد رجعت أيضا إلى كتابه" **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**"الذي حققه مصطفى السقا و إبراهيم الإبياري و عبد العظيم شلبي،وقد تضمن بعض الأخبار عن المهاجرين الأندلسيين الوافدين على حاضرة تلمسان الزيانية.

وقد رجعت أيضا إلى كتب لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ/1374م،ولعل أهمها كتاب"**الإحاطة في أخبار غرناطة**" الذي ورد فيه تراجم لبعض الأندلسيين الوافدين على تلمسان،وكذلك كتابه "**تاريخ الأندلس إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**" تحقيق: إليفي بروفنسال.

وقد استفدت كذلك من بعض المصادر التي تخصصت في تاريخ الدولة الزيانية والدولة الحفصية ، ومن أبرزها " **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان**"،تحقيق: محمود آغا بوعياد، لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني،كانت ولادته حوالي سنة 830هـ،ووفاته سنة 899هـ،و" **زهر البستان في دولة بني زيان**" لمؤلف مجهول،عناية وتقديم:محمد بن أحمد باغلي،و" **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** " لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني المتوفى سنة 810هـ، و"**الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** " لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع،تحقيق:الطاهر بن محمد المعموري، و " **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** " لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي،تحقيق:محمد ماضور.

كما استندت إلى مجموعة من **مصادر التراجم والأعلام** التي اعتمدت عليها في التعريف بالشخصيات الأندلسية التي استقرت بحواضر المغرب الأوسط و كان لها دور مؤثر في الحياة السياسية والثقافية،.ومن أهم هذه المصادر" **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** " و " **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**" لأبي العباس أحمد بن عمر بن محمد الصنهاجي الماسي السوداني ويعرف بـ" بابا التنبكتي"(963هـ)،و" **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**" لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي المتوفي سنة 1008هـ،تحقيق:علي عمر،و " **درة الحجال في أسماء الرجال**" لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفي سنة 1025هـ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور،و"**الوفيات**" لابن قنفد القسنطيني، تحقيق:عادل نويهض، و"**تعريف الخلف برجال السلف**" لأبي القاسم محمد

الحفناوي،و"**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بـ"ابن مريم" الشريف المليتي المديوني التلمساني.

واستعنت أيضا،**بمصادر الجغرافيا والرحلات**،ومن أهمها كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" لأبي عبيد البكري المتوفي سنة 487هـ،وهو جزء من كتابه "**المسالك والممالك**"،قام بنشره البارون دوسلان ،ثم كتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" للإدريسي المتوفي سنة 560هـ،وقد اعتمدت على ما حققه وانتخبه محمد صادق الحاج من هذا الكتاب،وبالتحديد القسم الخاص ببلاد المغرب،وقد سماه"**المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**"،و " **الروض المعطار في خير الأقطار**" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى المتوف سنة 900هـ، تحقيق: إحسان عباس،وكتاب " **الاستبصار في عجائب الأمصار** "لكاتب مراكشي مجهول الاسم من كتاب القرن السادس الهجري.و من كتب الرحلات التي اشتملت على معلومات تاريخية عن الأندلسيين المهاجرين الوافدين على المغرب الأوسط " **رحلة القلصادي** "لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي المتوفى بباجة افريقية سنة 891هـ،تحقيق:محمد أبو الأجفان،و" **وصف إفريقيا**" لحسن بن محمد الوزان الفاسي،المعروف بليون الإفريقي توفي بعد عام 957هـ، وترجم كتابه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر، و" **إفريقيا** " لمارمول كرفجال،عاش في القرن العاشر الهجري،قام بترجمة كتابه عن الفرنسية محمد حجي،محمد زنيبر،محمد الأخضر،أحمد التوفيق،أحمد بنجلون.

وقد استفدت كذلك بعدد من الدراسات التاريخية المختلفة ،التي تناولت موضوع المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط و تأثيراتهم الحضارية خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي،فاستثمرت الآراء والنتائج التي توصل إليها هؤلاء الباحثون،و أخص منهم بالذكر عبد العزيز فيلالي في كتابه"**تلمسان في العهد الزياني**"، و محمد رزوق من خلال كتابيه " **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 _ 17**" و "**دراسات في تاريخ المغرب**"،و كتاب"**تاريخ الدولة الزيانية،الأحوال الاجتماعية** " لمختار حساني،و كتاب "**تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**" لروبار برنشفيك،نقله إلى العربية حمادي الساحلي.

كما اهتديت ببعض المقالات التي كتبت حول الهجرة الأندلسية و دورها الحضاري بالمغرب الأوسط في العهد الزياني والحفصي،و أذكر بالخصوص ثلاث مقالات أفادتني في البحث؛المقالة الأولى كتبها طالبي محمد في مجلة الأصالة بعنوان"**الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**"،والمقالة الثانية للسيدة عالمة في مجلة الأصالة،وعنوانها"**نظرة على تاريخ بجاية** "،والمقالة الثالثة لخليل إبراهيم الكبيسي في مجلة المجمع العلمي العراقي بعنوان "**هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي** ".

وختاما،فإنّني لا أنزه هذه الدراسة عن النقائص،ولكنّني تحصنت قدر المستطاع بالدراسات التاريخية التي تناولت موضوع البحث،وهي مجهودات يسرت لي فهم الإشكالية المرتبطة بالدور الحضاري للجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين.

وبلاريب فإنّ الفضل يرجع أساسا إلى توجيهات المشرف **الأستاذ الدكتور محمد بن معمر** لما أظهره من العناية والتشجيع والتصويب المنهجي والمعرفي لهذا البحث.وتجدر الإشارة،إلى أنّه كان صاحب الفضل في تحفيزي على تناول هذا الموضوع لبعده الحضاري،وأيضا لأنّه يضيء فترات مهمة من التاريخ الجزائري في العصر الوسيط.

و في الأخير،أتمنى أنني ساهمت ولو بالنزر القليل في إثراء مكتبة تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس على وجه العموم ،وتاريخ المغرب الأوسط بخاصة. فإن أصبت فمن الله،وإن أخطأت فمن نفسي.

"وما توفيقي إلاّ بالله"

أولا: التحديد الجغرافي للمغرب الأوسط:

أخذ الساحل الشمالي من قارة إفريقيا قديما عدة مسميات،إذ نجد المؤرخ اليوناني "هيرودوت يطلق لفظ إفريقيا على كل ما يلي مصر غربا من البلاد حتى المحيط الأطلسي.وعندما تغلب الرومان على الفينيقيين أطلقو اسم إفريقيا على قرطاجنة وما حولها وهي (بلاد تونس الحالية)ثم أطلقوا على ما يليها غربا اسم نوميديا(الجزائر الحالية)وأطلقوا على ما يلي الجزائر غربا اسم مرطانية(وهي تشمل المغرب وموريتانية الحالية)ثم اتسع لفظ إفريقية فشمل ما دخل تحت سلطة الروم من برقة إلى طنجة." [1] وعندما بدأ المسلمون فتوحاتهم لشمال إفريقيا،أطلقوا على ما يلي طرابلس غربا اسم إفريقية[2]،ثم بعد ذلك صارت تطلق فقط على إقليم المغرب الأدنى الذي تتوسطه القيروان ثم تونس[3].

و أمّا لفظ المغرب، ففي القرن الرابع الهجري اعتبر المهتمون بالجغرافيا والرحلة من المسلمين أنّ المغرب ما يقابل المشرق من البلاد[4]، وهو عند الإصطخري:" نصفان...نصف من شرقيّه ونصف من غربيّه،فأمّا الشرقيُّ فهو برقة وافريقيَّة وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة...و أمّا الغربيُّ فهو الأندلس."[5] في حين أطلق المقدسي المغرب على كل ما يلي الأقاليم مثل برقة وإفريقية وتاهرت وسلجماسة والأندلس،و يُضيف إليهم صقلية[6].

---

[1] ينظر مُحَّد مُحَّد زيتون،المسلمون في المغرب والأندلس،المكتبة الإسكندرية،مصر،سنة 1411ه/1990،ص5.

[2] ينظر أبو عبيد البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،وهو جزء من المسالك والممالك،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،مصر،ص21.

[3] ينظر عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط المتن والحواشي و الفهارس:خليل شحادة، مراجعة:سهيل زكار،دار الفكر،بيروت،لبنان،ط2،سنة 1408ه/1988م، ج 6ص135.

[4] ينظر مُحَّد مُحَّد زيتون،المسلمون في المغرب والأندلس،ص5.

[5] أبو اسحاق إبراهيم بن مُحَّد الفارسي الإصطخري الكرخي،المسالك والممالك،دار صادر،بيروت،لبنان،سنة 2004،ص36.

[6] ينظر أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،دار صادر،بيروت،لبنان،ط3،سنة 1411ه/1991م،ص216.

وأمّا ابن حوقل،فإنّه يضع "نهر النيل" حدا طبيعيا فاصلا بين المشرق والمغرب[1]،ثم يرسم لنا الخريطة الجغرافية لبلاد المغرب على هذا النحو:" وحدّه من مصر الإسكندريّة على النيل وأرض الصعيد حتّى يمضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهى إلى أرض النوبة، آخذًا إلى البحر المحيط وممتدّا إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانه وأرض اودغست، ثم يستمرّ عاطفًا إلى الشمال مارّا على بلاد برغواطه وماسه إلى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس، وراجعًا حدّه من أرض طنجه على البحر إلى نواحي تنس، و إلى تونس والمهدية من أرض افريقية مقبلاً على أرض طرابلس وبرقة إلى الاسكندريّة. "[2]وعليه،فإنّ ابن حوقل يجعل مصر ضمن حدود بلاد المغرب بخلاف الإصطخري والمقدسي.

و في القرن الخامس الهجري، ذكر البكري أنّ بلاد المغرب أو إفريقية حدها:" من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا واسم طنجه موريطانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق."[3] وبالتالي،فإنّ النطاق الجغرافي للمغرب في نظر هذا الجغرافي يبدأ من برقة شرقا إلى طنجة غربا،ومن البحر إلى بلاد السودان جنوبا.

و يعطى المؤرخ المراكشي في كتابه "المعجب" تقريبا نفس الحدود التي رسمها الجغرافيون ،فذكر أنّ "أول حد بلاد إفريقية والمغرب مدينة أنطابلس المذكورة، المدْعُوة بِ "بَرْقَة"... فأول بلاد المغرب مما على ساحل البحر الرومي، مدينة أنطابلس المعروفة بـ "بَرْقَة"؛ وآخرها مما على ساحل البحر الأعظم، مدينة طَنْجَة."[4] و بناء على ما سبق،فإنّ المغرب يُطلق على البلاد الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا،ومن البحر الأبيض المتوسط أو الرومي إلى الصحراء جنوبا.

---

[1] ينظر أبو القاسم بن حوقل النّصيبي،صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،سنة 1992،ج1،ص 64.

[2] ابن حوقل،صورة الأرض،صص60،61.

[3] البكري،المغرب،ص21.

[4] عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محيي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر عصر الموحدين،تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1426هـ – 2006م،،صص250،254.

ونلاحظ أنّه قد ورد عند الجغرافيين في القرن الخامس الهجري تقسيمات معينة للرقعة الجغرافية الممتدة من برقة شرقا إلى بحر المحيط غربا، وهذه التقسيمات الجغرافية قد أشار إليها أولا البكري بقوله:" تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وانهار عليها طواحين وهو نهر سطفسيف وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبايل البربر."[1] وأيضا ذكرها الإدريسي في القرن السادس الهجري، فقال عن مدينة بجاية أنّها:" مدينة المغرب الأوسط."[2] وذكر أنّ:"الإقليم الرابع مبدؤه من المغرب الأقصى حيث بحر المظلم."[3] وعليه،فإنّ بلاد المغرب تتجزأ إلى ثلاثة أقاليم،وهي: المغرب الأوسط ،المغرب الأقصى،المغرب الأدنى،وكل إقليم منها له طابعه الخاص به،ويبدو أنّ هذه التقسيمات الجغرافية صارت شائعة الاستعمال عند المؤرخين.

ولعل الإقليم الذي يستحق الاهتمام في هذا البحث وتسليط الضوء عليه هو إقليم المغرب الأوسط،لأنّ فَهم التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مرتبط بالإطار الجغرافي الذي تقع فيه هذه التغيّرات.

وعليه،فإنّ التحديد الجغرافي لإقليم المغرب الأوسط قد حصل فيه اتفاق بين الجغرافيين والمؤرخين من حيث حدوده الغربية،حيث ذكروا أنّ نهر ملوية هو الحد الفاصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط من الناحية الغربية،وبقي هذا الحد ثابتا في مختلف الفترات التاريخية التي مرت على بلاد المغرب في العصر الإسلامي.

وفي هذا السياق، ذكر صاحب "الاستبصار" في القرن السادس الهجري أنّ آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا[4]. وبذلك يكون قد جعل نهر ملوية مع بلاد تاز هو الفاصل الطبيعي بين المغرب الأوسط والأقصى.وفي القرن الثامن الهجري اعتبر ابن خلدون " نهر ملوية آخر المغرب الأقصى، فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازى، ويصب في البحر الرومي عند

---

[1] البكري، المغرب،صص76،77.

[2] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق: مُحَمَّد حاج صادق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة1983،ص116.

[3] المصدر نفسه،ص179.

[4] ينظر مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،دار الشؤون الثقافية،بغداد،العراق،سنة 1986م،ص 179.

غساسة. وعليه، كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم. "[1] وأوضح الحسن الوزان الذي عاش في القرن العاشر على أنّ المغرب الأوسط يحده" واد زا و نهر ملوية غربا."[2] وفيما يخص الحدود الجنوبية فقد جعلها صاحب الاستبصار تمتد "إلى مدينة تنزل ، وهى مدينة في أول الصحراء وهى على الطريق إلى سِجِلْماسة."[3] في حين أوصلها الحسن الوزان صاحب"وصف إفريقيا" إلى الصحراء التي سمّاها بـ "صحراء نوميديا"[4].

وأمّا الحدود الشرقية للمغرب الأوسط،فهي بخلاف الحدود الغربية، إذ إنّها تتسم بعدم الضبط والثبات،فهي مطاطية لم تتحدد بحاجز طبيعي كما هو الشأن بالنسبة لنهر ملوية[5]،فابن خلدون تارة يجعل بجاية هي نهاية الحدود الشرقية للمغرب الأوسط،وفي هذا الصدد يقول:" ويجاوره(المغرب الأوسط) من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة ...وما يليها إلى بجاية."[6] ثم يذكر أنّ أنّ المغرب الأوسط طبقا لهذا التحديد الجغرافي هو" في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن. وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة. ثم صار من بعدهم لبني وماتوا وبني يلومي.ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان. "[7] وتارة أخرى يعتبر أنّ بجاية وبونة وقسنطينة تقع ضمن إقليم المغرب الأوسط[8].

---

[1] ابن خلدون،العبر، ج6،صص 133،134.

[2] الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي،المعروف بليون الإفريقي،وصف إفريقيا،ترجمة عن الفرنسية: مُحَمَّد الحجي، مُحَمَّد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ط2،سنة 1985، ج2،ص7.

[3] مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص 176.

[4] الحسن الوزان،وصف إفريقيا، ج2،ص7.

[5] ينظر مُحَمَّد بن معمر،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط السادس الهجريين،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ(مخطوطة)قسم التاريخ،جامعةوهران،2001-2002،ص 12.

[6] ابن خلدون،العبر، ج6،ص 134.

[7] المصدر نفسه، ج6،ص 134.

[8] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة،تحقيق:عبد السلام الشدادي،خزانة ابن خلدون،بيت الفنون والعلوم والآداب،الدار البيضاء،المغرب ،ط1،سنة 2005، ج1،صص98،99.

و جعل الحميري من وادي مجمع نهاية الحدود الشرقية للمغرب الأوسط،فذكر أنّ"حد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب."[1] وبالتالي،فإنّ حدود المغرب الأوسط في نظر هذا الفريق من الجغرافيين والمؤرخين ينتهي إلى مدينة بجاية التي هي تابعة لإقليم المغرب الأدنى أو ما يطلق عليه في ذلك العصر بأفريقية.

وفضلا عن ذلك،فإنّ الإدريسي في القرن السادس الهجري يضم مدينة بجاية والمدن المجاورة لها من الجهة الشرقية والغربية إلى إقليم المغرب الأوسط،فذكر أنّ"من بلاد الغرب الأوسط تَنَس وبَرِشْك و جَزَائِر بَني مَزْغَنّا و تَدَلّس وبجاية وجِيجَل والقلعة والمَسيلة والغدير ومَقَّرة ونِقاوُس و طُبْنة والقُسنطينة وتيجَس و باغاية و تيفاش و دار مَدْيَن وبَلَزْمة و دار مَلُول ومِيلَة."[2] وفي موضع آخر أشار إلى أنّ مدينة بجاية في عصره كانت عاصمة المغرب الأوسط[3].و في القرن السابع الهجري،أورد المراكشي أنّ الحدود الشرقية للمغرب الأوسط تنتهي عند مدينة قسنطينة،و يُوضح ذلك بقوله:"فقسطنطينة آخرُ بلاد إفريقية، ما يلي البحرَ منها وما يلي الصحراء. وما بعد قسطنطينة فهو من المغرب غير إفريقية؛ فأول ذلك بُليدة صغيرة قبليُّ بَجَاية في البر، تُسَمَّى "مِيلة"، بينها وبين بَجَاية ثلاث مراحل، ومن بَجَاية إلى قلعة بني حمَّاد أربع مراحل؛ وهي أيضًا –أعني القلعة– قبليُّ بَجَاية."[4] ومن ثم،فهذه رؤية جغرافية أخرى تتوسع في الحدود الشرقية للمغرب الأوسط،فتجعلها تتجاوز مدينة بجاية وتصل إلى ما قبل مدينة قسنطينة أوفي نهايتها.

وعليه،فإنّ المغرب الأوسط لا يمكن ضبطه جغرافيا من الناحية الشرقية،وذلك لاختلاف الجغرافيين والمؤرخين في ضبط حدوده شرقا،وأيضا لأنّ التحولات السياسية في القرن السابع الهجري كانت سريعة التغير خصوصا في إقليم المغرب الأوسط الذي كان محل تنافس وصراع نفوذ بين الحفصيين بالمغرب الأدنى والمرينيين بالمغرب الأقصى،ونتج عن هذا أن حدود هذا الإقليم

---

[1] أبو عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق: إحسان عباس،مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج،ط2،سنة 1980 م ،ص 135.

[2] الإدريسي،المغرب العربي من نزهة المشتاق،ص72.

[3] المصدر نفسه،ص116.

[4] المراكشي،المعجب،ص256.

السياسية كانت تتمدد في فترة من الفترات حتى تضم بجاية وقسنطينة، بل وحتى تونس،وفي فترات أخرى تتقلص وتضيق إلى حدود مدينة تلمسان.

واستنادا إلى ما تقدم،فإنّ الحدود الشرقية للمغرب الأوسط ليست ثابتة دوما بحيث لا يمكن تجاوزها،ولكنها دائما في وضع تمدد وتقلص،انبساط وانقباض،وتوسع وانمكاش.ومعنى ذلك أنّ الباحث غير ملزم بالوقوف عند حدود معينة و مرسومة للمغرب الأوسط من الناحية الشرقية،بل من المستحسن الجمع بين كل ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون عن رسم الحد الفاصل لإقليم المغرب الأوسط شرقا،وضم جميع المدن الداخلة في الرقعة الجغرافية لهذا الإقليم بما في ذلك مدينة بجاية التي جعلها بعض الجغرافيين ضمن المغرب الأدنى بسبب تبعيتها السياسية في بعض الأحيان للدولة الحفصية واعتبرها البعض الآخر أهم مدن المغرب الأوسط إمّا لأسباب جغرافية أو سياسية أو اقتصادية .

وبناء على ذلك،فإنّ المغرب الأوسط بحدوده الجغرافية والسياسية غربا وشرقا صار حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي وما خلفه من البلاد،فهو يصل ولاية إفريقية(تونس) وما وراءها بالمغرب الأقصى وما جاوره من البلدان،وهذا يؤشر على أنّ إقليم المغرب الأوسط هو بمثابة جسر ومعبر لكل ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي[1]،وهذا يُبرز الأهمية الاستراتيجية لهذا الموقع الحاكم،ولهذا كان هدفا لكل من يريد السيطرة على كل أقاليم المغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس،وكان ميدان صراع وتنافس بين القوى السياسية الطامحة للسلطة،فحاول الفاطميون السيطرة عليه،ثم حكمه المرابطون،ثم صار جزءا من دولة الموحدين الكبرى.

ثانيا:الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط:

مر المغرب الأوسط في ظل الوجود الإسلامي على عدة مراحل،يمكن تلخيصها فيما يلي:

1_مرحلة الفتح وعصر الولاة:

بدأت مرحلة الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط حينما قدم أبو مهاجر دينار إلى إفريقية ليخلف عقبة بن نافع في ولايتها،وذلك في سنة 55هـ، ثم قام بحملة كبرى لصد هجوم كبير

[1] ينظر خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،دراسة تاريخية وحضارية،633هـ 681م الموافق لـ 1235م 1282م،دار الألمعية للنشر والتوزيع،قسنطينة،الجزائر،ط 1،سنة 2011،ص34.

للبربر،فتوغل في بلاد المغرب حتى وصل إلى تلمسان،وبه سميت العيون القريبة منها بـ"عيون أبي مهاجر"، فكان أول أمير للمسلمين دخل بجيشه إلى المغرب الأوسط[1]،ثم أتم فتح ما تبقى من أراضيه كل من عقبة بن نافع بعد أن تولى قيادة الجيش للمرة الثانية[2]، ثم زهير بن قيس البلوي[3] ،وبعدهما جاء حسان بن النعمان الذي يعتبره المؤرخون الفاتح الحقيقي لإفريقية والمغرب الأوسط خاصة بعد انتصاره على الكاهنة البترية ، وهو أيضا واضع لأسس النظام السياسي والإداري والثقافي والعسكري لمنطقة المغرب،وهذا ما سهل مهمة إتمام الفتح على من جاء بعده[4].

وبعد استدعاء حسان بن النعمان إلى دمشق، خلفه في ولاية إفريقية والمغرب موسى بن نصير سنة 96هـ/714م، واستطاع أن يُكمل فتح بلاد المغرب بالكامل،وبالتالي تبدأ مرحلة جديدة للوجود الإسلامي في المغرب الأوسط وهي مرحلة"عصر الولاة"،حيث إنّ بلاد المغرب صارت تتبع السلطة المركزية مباشرة،في عهد الأمويين ثم العباسيين،و تتجلى هذه التبعية في الولاة العرب الذين تولوا تسيير شؤون الحكم بالغرب الإسلامي،باسم الخلافة الإسلامية بالمشرق[5].

و يبدو أنّ السياسة العنيفة التي اتبعها بعض الولاة تسببت في نشوء عديد الثورات من القبائل البربرية[6]، أبرزها ثورة ميسرة مطغري وخالد بن حميد الزناتي سنة 122هـ/739م،و الثورة

---

[1] ينظر شهاب الدين أبو العباس أحمد الناصري الدرعي الناصري السلاوي،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق:جعفر الناصري،محمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،د.ت،ج1،ص136.

[2] ابن عِذَارِى المراكُشي،كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق:ج.س كولان،إ.ليفي بروفنسال،دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط2،سنة 1400هـ/1980م،ج1،صص 2،24،25،26،27.

[3] ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،تحقيق:عبد المنعم عامر،شركة الأمل للطباعة والنشر،القاهرة،د.ت،ج1،ص297.

[4] ينظر ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين ، الكامل في التاريخ،تحقيق :عمر عبد السلام التدمري،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1417هـ/1997م،ج3،ص418.و موسى لقبال وآخرون،تيار الفتح الإسلامي في شمال افريقيا ونتائجه ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،سنة 1984،صص 25،26.

[5] ينظر ابن خلدون،العبر،ج6،ص144.وعبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،سنة 1982،ص 39.

[6] ينظر عبد العزيز الثعالبي ،تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية،جمع وتحقيق:أحمد بن ميلاد،محمد إدريس،دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة1410هـ/1990،صص 137،136.

التي وقعت بنواحي تلمسان بزعامة رئيس مغيلة وبني يفرني أبي قرة بن دوناس المغيلي اليفريني سنة 148هـ/766م[1].

2_مرحلة الدول المستقلة:

وقد ترتب عن ثورات البربر ظهور الدول المستقلة سياسيا بالمغرب الإسلامي عن الخلافة العباسية بالمشرق الإسلامي،فتأسست دولة الرستميين بالمغرب الأوسط سنة144هـ/761م على يد عبد الرحمان بن رستم الإباضي الذي قام ببناء مدينة تاهرت* وجعلها عاصمة لدولته،وقد عرفت هذه المدينة الرستمية الواقعة في المغرب الأوسط ازدهارا كبيرا،فكثرت فيها"الأموال و المستغلات...وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهر."[2] وذكر اليعقوبي الذي عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بأنّ"...المدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر تسمى "عراق المغرب"."[3]وقد كانت هذه المدينة من أهم وأكبر حواضر المغرب الأوسط في ظل الدولة الرستمية.

و في المغرب الأدنى قامت دولة الأغالبة بزعامة إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م، التي كانت تشمل كل من طرابلس و أفريقية و جزء من المغرب الأوسط هو إقليم الزاب،حيث أسندت الخلافة العباسية إلى رجل من المغرب في الاستقلال بإحدى ولاياتها،ليتولى حكمها بطريقة شبه مستقلة مقابل مبلغ من المال ،و الالتزام بالطاعة والولاء للدولة العباسية،وكذلك حدود دولتها من الناحية الغربية بالمغرب الأوسط[4]، لتكون سدا مانعا أمام توسع الدول المستقلة و ردعا قويا للثورات المتمردة على الخلافة العباسية.

وأمّا في المغرب الأقصى،فقد ظهرت دولة الأدراسة سنة 172هـ/789م،بفضل مؤسسها إدريس الأكبر الذي أراد توسيع مساحة دولته،فتحرك نحو تلمسان التي كانت تملكها

---

[1] ينظر السلاوي،الاستقصا،ج1،صص185،165،164

* **تاهرت**:"مدينة مشهورة من مدن الغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان. " الحميري،روض المعطار،ص.26

[2] ابن الصغير،أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق :مُحَمَّد ناصر،و إبراهيم بحاز،دار الغرب،بيروت،لبنان،سنة 1406هـ/1986م، صص.61،62

[3] أحمد بن إسحاق اليعقوبي،البلدان،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1422هـ،ص192.

[4]حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد،مصر،سنة 2004،ص96.

مغراوة[1]،فاستقبله أميرها وزعيم زناتة مُحَّد بن خزر بن صولات المغراوي و أعلن الطاعة له،فصارت تلمسان ضمن ممتلكات الدولة ،فقام إدريس ببناء مسجدها ووضع منبرها،ثم قفل راجعا إلى المغرب الأقصى،تاركا وراءه مُحَّد بن خزر المغرواي أميرا على تلمسان[2].

و جاء من المشرق سليمان بن عبد الله إلى المغرب الأوسط بعد مقتل أخيه إدريس سنة 175هـ/791م،فدخل تلمسان وبايعه أهلها بعدما علموا أنّه من بيت الأدارسة الذين يحكمون المغرب الأقصى[3]،وبعد موته خلفه ابنه مُحَّد، فطلب مساعدة ابن عمه إدريس الثاني الذي تسلم الحكم بعد وفاة أبيه لصد هجمات القبائل البربرية الخارجية،وذلك في سنة 199هـ/805م،فاستجاب لطلبه ،و دخل تلمسان بجيوشه،ثم بقي فيها ثلاث سنوات،فاستطاع التغلب على الخوارج وإخضاعهم[4]، و توسيع نفوذ إمارته في نواحي عديدة،وبالأخص في ناحية شلف و ما حولها،فصارت حدود دولته متصلة بحدود دولة الأغالبة، فانعقد الصلح بين الدولتين و تم تعيين الحدود بينهما.

والملاحظ أنّ مدينة تلمسان منذ قيام حركة الخوارج في بلاد المغرب و دخولها في حكم الأدراسة،صارت قاعدة لها أهميتها الخاصة،وذلك لموقعها الاستراتيجي الهام ولدورها البارز الذي قامت به في المجال السياسي والتجاري والثقافي،باعتبارها نقطة اتصال بين بلاد إفريقية و المغرب الأقصى[5]،لذلك نجد البكري في القرن الخامس يصفها بأنّها قاعدة المغرب الأوسط وأعظم مدنه[6].

---

[1] قال ابن خلدون:" هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل الباس والغلب منهم كانت محلّاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان ... وما إليها... وكان لمغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام فأقرّه لهم وحسن إسلامهم."ابن خلدون،العبر،ج7،ص34.

[2] السلاوي،الاستقصا،ج1،ص 231.

[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص 33.

[4] السلاوي،الاستقصا،ج1،225.

[5] مُحَّد بلقراد و آخرون، التاريخ السياسي في عهد الرستميين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي، ج3،ص97.

[6] البكري،المغرب،ص76.

وبعد أن قام إدريس الثاني بإصلاحات وترميمات لأسوار مدينة تلمسان وللمسجد الذي بناه والده، كانت عودته إلى فاس في سنة 202هـ ،وترك إدارة المغرب الأوسط لابن عمه مُحَمَّد بن سليمان الذي فرق أولاده على أعماله[1].

و عليه،فإنّه في فترة ما بين 144 و 196هـ/761-908م انقسم المغرب الأوسط إلى ثلاث مناطق:المنطقة الوسطى تحكمها الدولة الرستمية والمنطقة الغربية تحت حكم الأدراسة ابتداء من سنة 175هـ/789م بعدما كانت خاضعة لقرة ثم لمحمد بن مُحَمَّد بن خزر،وأمّا المنطقة الشرقية فكانت تابعة في الأول للخلافة العباسية، ثم صارت جزءا من دولة الأغالبة ابتداء من سنة 184هـ/800م.ومن ثم،فإنّ المغرب الأوسط كان تحت حكم ثلاث دول،دولة الرستميين وعاصمتها تيهرت،و دولة بني الأغلب وعاصمتها القيروان،و الدولة الإدريسية التي عاصمتها فاس[2].

3_مرحلة الصراع الفاطمي الأموي:

يبدو أنّ مرحلة الدول المستقلة التي اتسمت بالهدوء وحسن الجوار لم تستمر طويلا،إذ ظهرت في المغرب الأدنى الدعوة الفاطمية الشيعية التي تحولت إلى حركة سياسية وعسكرية تجتاح كل من يقف أمامها،فكانت دولة الأغالبة أول الدول سقوطا وذلك بعد الهزيمة التي لحقتها في معركة الأربس في شهر جمادى الثانية سنة296هـ/مارس 909 م على يد الداعية الفاطمي أبي عبد الله الشيعي الذي تابع زحفه نحو المغرب الأوسط و أنهى ملك بني رستم من تيهرت بقتل آخر إمام رستمي وهو يقظان،وذلك في شهر شوال سنة 296هـ/جوان،جويلية 909م[3].

وأمّا دولة الأدارسة فإنها تعرضت للضعف والتفكك بسبب سياسة التقسيم التي انتهجتها أم إدريس الثاني بعد وفاته، إذ قسمت المملكة بين أبنائه وبني عمه،فكانت تلمسان من نصيب عيسى بن إدريس بن مُحَمَّد بن سليمان،و أما أعمالها لبني أبيه مُحَمَّد بن سليمان،وذلك ما سهل على

[1] ابن خلدون،العبر، ج7،صص 33،103..السلاوي،الاستقصا، ج1،صص228،229.

[2] ينظر،مُحَمَّد بلقراد و آخرون، التاريخ السياسي في عهد الرستميين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي، ج3، ص76.

[3] ينظر مبارك مُحَمَّد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط3، ج2،ص 87،88.فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،التاريخ السياسي والمؤسسات،نقله إلى العربية:حمّادي السّاحلي،دار الغرب،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1994،صص 152،155.

الفاطميين إسقاط هذه الدولة،و توليتهم أمر إدارة المغرب الأقصى لموسى بن أبي العافية الذي زحف إلى تلمسان، واستولى عليها وعلى أعمالها وأخرج منها أبناء مُحَمَّد بن سليمان سنة 319هـ[1]،الذين مالوا إلى دعوة الأمويين بالأندلس وحاولوا صد الحملات العسكرية التوسعية للفاطميين[2].

ويبدو أنّ أطماع الفاطميين في توسيع دولتهم إلى بلاد الاندلس ونشر دعوتهم هناك دفع الخليفة الأموي الناصر عبد الرحمن إلى الوقوف في وجه مخططاتهم التوسعية وذلك بكسب بعض أمراء الدويلات في المغربين الأقصى و الأوسط مثل الأدارسة المستقرين بقلعة النسر والبصرة وأصيلا،وبنو سليمان المقيمين بتلمسان وسواحلها وأمراء بني صالح بنكور، و أيضا بالتحالف مع القبائل الزناتيةبالمغرب،ولا سيما قبيلة مغراوة،ومدها بالمال والسلاح حتى تقف حاجزا أمام الزحف الفاطمي نحو الجزيرة الأندلسية،حيث أسرع زعيمها مُحَمَّد بن خزر إلى مبايعته وتأييده في حربه على بني عبيد الإسماعيليين[3].وفي هذا الصدد، يقول صاحب كتاب مفاخر البربر:"وتخطاهم عبد الرحمن إلى من خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم؛ ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم،مسدا لمن عجز برجاله،مقويا لمن ضعف بماله، متفقدا لهم في سائر الحالات بألطافه،متعهدا بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا بطاعته."[4] وذلك ليكونوا للخلافة الأموية بالأندلس سدا منيعا أمام الخطر الفاطمي، و هجمات القبائل الصنهاجية المتحالفة معه.

وبالمقابل أسس الفاطميون بالمغرب الأوسط مدينة المسيلة أو المحمدية وجعلوها عاصمة لإقليم الزاب الذي عقدوا ولايته لأحد أنصارهم وحلفائهم هو علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسي،ومنحوه نوعا من الاستقلالية في إدارة هذا الإقليم[5].

---

[1] السلاوي،الاستقصا،ج1،صص 228،229،241،242،243.

[2] ينظر مبارك مُحَمَّد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،ص112.

[3] عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية،صص 139،140

[4] مؤلف مجهول،كتاب مفاخر البربر،تحقيق:عبد القادر بوباية،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط،المغرب ،ط1، سنة 2005م،ص 4.

[5] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،تحقيق:أحمد مختار العبادي،مُحَمَّد إبراهيم الكتاني،دار الكتاب ،بيروت،لبنان،د.ت،ص66.ابن خلدون،العبر،ج4،ص 107.الهادي روجي إدريس ،الدولة الصنهاجية،تاريخ إفريقية في عهد

ولعل الدافع الأبرز من إنشاء مدينة المسيلة و جعلها عاصمة لإمارة حمدونية تابعة لهم هو تعزيز مدينة تيهرت التي كانت تستعمل قاعدة انطلاق لبسط نفوذهم في بقية بلاد المغرب،وصد هجمات وثروات القبائل الزناتية المغراوية بزعامة مُحَمَّد بن خزر الذي كان يروم بسط سيطرته على المغرب الأوسط والزاب كله،فكانت مدينة المسيلة هي القاعدة الثانية لهم لتكون نقطة اتصال بين إفريقية وتيهرت[1]،ولحماية حدودهم الغربية[2].

وزيادة في تأمين حدود دولتهم و بناء حاجز قوي أمام الزحف الزناتي في المغرب الأوسط، أضافوا مدينة جديدة وجعلوها بمثابة قاعدة عسكرية ثالثة،وهي مدينة أشير،التي أسسها زيري بن مناد[3]سنة 324هـ/936م، والذي دخل في حلف سياسي وعسكري مع الدولة الفاطمية حاملا على عاتقه مواجهة هجمات المغراويين الزناتيين المواليين للدولة الأموية بالأندلس[4].

وقد نتج عن هذا التحالف الزيري الفاطمي بروز قوة بربرية جديدة تحولت إلى كيان سياسي تجسد في قيام الدولة الزيرية في المغربين الأدنى و المغرب الأوسط التابعة سياسيا للفاطميين الذين تنقلوا إلى القاهرة بمصر،ولكن هذه الدولة الصنهاجية أعلنت انفصالها عنهم نهائيا في عهد المعز بن باديس الذي قطع الخطبة والدعاء لهم، وأعلن تبعيته للخلافة العباسية ببغداد،وذلك سنة 440هـ/1048م[5].

وفي الناحية الغربية من إقليم المغرب الأوسط،برز على مسرح الأحداث زعماء لقبائل بربرية زناتية مواليين للخلافة الأموية و مدعومين من طرفها ليكونوا سدا منيعا أمام هجمات الفاطميين وحلفائهم من قبائل صنهاجة البربرية.وعليه،فقد استطاع يعلى بن مُحَمَّد اليفرني السيطرة على هذا الإقليم وعلى بلاد زناتة، عقد له الناصر الأموي عليها وعلى تلمسان سنة 340هـ،وبعد وفاته

بني زيري ،من القرن 10 إلى القرن 12 م،نقله إلى الفرنسية حمّادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1992،ج1،ص 47.

[1] مُحَمَّد بن معمر،العلاقات السياسية والروابط الثقافية،صص 110،112.

[2] Paul-louis Cambuzat ,L'evolution des cités du Tell en Ifrikiya du Vll au Xl siècle.Alger :office des publication universitaires,p116

[3] مُحَمَّد بن معمر،العلاقات السياسية والروابط الثقافية ،ص111.

[4] فرحات الدّشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص 246.

[5] روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،صص76،221،222.

تولى أمر زناتة بعده مُحَّد بن الخير بن مُحَّد بن خزر حليف الخليفة الأموي الحكم المستنصر،واستولى على تلمسان سنة 360هـ،وكانت بينه وبين زيري بن مناد حروب كثيرة ،قُتل في إحداها،فدخلت تلمسان في حكم صنهاجة لمدة محدودة من الزمن،ثم سيطر زيري بن عطية على بلاد زنانة والمغرب،فطارده المنصور بن أبي عامر أعواما،ولكنّه قام بهجوم كبير على بلاد صنهاجة والاستيلاء على مدنها،ثم عقد الخليفة الأموي المظفر لابنه المعز بن زيري على أعمال المغرب سنة396هـ،ونصب يعلى بن زيري عاملا على تلمسان.واستمر على ولايتها حتى ظهر المرابطون وأنهوا حكمهم[1].

4_مرحلة الدولتين:الحمادية والمرابطية:

وفي الجهة الشرقية من المغرب الأوسط،ظهر التنافس والتنازع الشديد على السلطة بين أفراد أسرة بني زيري ممّا أفرز انفصال حماد بن بلكين عن الدولة الزيرية وإعلانه تأسيس دولة بني حماد في سنة 408هـ/1018م،وذلك بعد أن اعترف المعز بن باديس بحماد ملكا مستقلا على المسيلة وطبنة وأشير وتيهرت وكل مناطق المغرب الأوسط التي سيتمكن من السيطرة عليها.و من هذه اللحظة صارت دولة بني زيري منقسمة إلى شطرين:شطر تابع لأحفاد باديس بن منصور بالقيروان وشطر آخر يتمثل في خلفاء حماد بن بلكين[2] الذي اختار مكانا حصينا بالمعاضيد،وشيد فيه عاصمة دولة بني حماد الأولى مدينة القلعة سنة 398هـ/1007م[3] ،ثم اختط الناصر بن علناس العاصمة الثانية للحماديين وهي مدينة بجاية أو الناصرية سنة 460هـ/1168م[4]، وانتقل إليها سنة 461هـ/1169م،فصارت كما قال الإدريسي:" مدينة المغرب الأوسط"[5] القوية سياسيا والمزدهرة حضاريا.

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص103.

[2] ينظر روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،صص 190،191،192،193.

[3] عبد العزيز فيلالي،دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة،الجزائر،سنة 2012،ص 73.

[4] ابن خلدون،العبر،ج6،صص 231،232.

[5] الإدريسي،المغرب العربي من نزهة المشتاق،ص116.

وفي القرن الخامس الهجري ظهرت قوة سياسية وعسكرية آتية من جنوب المغرب،وهي قبيلة صنهاجة اللمتونية التي برزت منها حركة المرابطين بزعامة يوسف بن تاشفين. وهنا نتساءل:كيف بدأ ظهور هذه الدولة الصنهاجية، و ماهي المراحل التي مرت بها حتى استطاعت أن تبسط سلطتها على المغربين الأقصى والأوسط وبلاد الأندلس؟

كان نشوء دولة المرابطين في ناحية الصحراء الغربية،الواقعة جنوب وادي درعة،بالقرب من المحيط الأطلسي،والمتصلة شمالا ببلاد المغرب الأقصى.وكانت تسكن تلك المنطقة قبائل صنهاجية،أبرزها لمتونة و جدالة و مسوفة،يشتركون في كثير من العادات،ومنها استعمال اللثام،ولهذا سموا بالملثمين[1].

وقد فصّل صاحب كتاب "الحلل الموشية" في التعريف بأصولهم القبلية و مواطن سكناهم،فيقول:"هؤلاء الملثمون ينتمون إلى لمتونة،وهم أولاد، لمت و جدالة،ولمطة،ومسطوف،ينتسبون إلى صنهاجة.فلمت جد لمتونة،وجدال جد جدالة،ولمط جد لمطة،ومسطوف جد مسوفة،وهم ظواعن في الصحراء،رحالة لا يطمئن بهم منزل،وليس لهم مدينة يأوون إليها...ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام،وهم على دين الإسلام،واتباع السنة،يجاهدون غيرهم من طوائف السودان."[2] ومن ثم،فإنّ بيئتهم الصحراوية البدوية النقية وثقافتهم الجهادية الإسلامية جعلهم أكثر من غيرهم استعدادا لمهمة التفرغ للجهاد والرباط من أجل الدفاع عن أراضي المسلمين في بلاد الأندلس المهددة بالضياع.

و قد كانت بداية ظهور المرابطين على شكل دعوة دينية إصلاحية يقودها الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي،الذي قدم به أحد زعماء قبيلة جدالة،وهو يحي بن إبراهيم الكدالي،لتعليم قومه أمور دينهم،فبدأ في مهمته،واستطاع أن يجمع كلمة الملثمين،و يوحد قبائلهم،ولكن بعد وفاة زعيم قبيلة

---

[1] عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ،ج3،ص292.

[2] مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق:سهيل زكار،عبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،المغرب،ط1،سنة 1399هـ/1979م ،ص 17.

جدالة التي تسبب بعض أشياخها في طرد عبد الله بن ياسين ولجوئه إلى قبيلة لمتونة،حيث استقبله زعيمها يحيى بن عمر اللمتوني و رحب به،وصار من أنصاره[1].

ثم ذكر بعض المؤرخين[2] أنّ عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر اللمتوني وأخاه أبا بكر وجماعة من أتباعه المخلصين قصدوا جزيرة،واتخذوها رباطا متفرغين للعبادة والاستعداد لفريضة الجهاد،فبدأ الناس يلتحقون بهم،وزاد العدد حتى بلغ ألف شخص،فقرر عبد الله بن ياسين قطع عزلته،فاتجه إلى بلاد الملثمين فبسط سلطته عليهم،ثم رفع راية الجهاد للقضاء على البدع والدفاع عن الإسلام،وبذلك انطبق عليهم اسم المرابطين الذي أطلقه عليهم عبد الله بن ياسين[3].

و يبدو أنّ عبد الله بن ياسين شعر أنّه صار مع أتباعه قوة يحسب لها ألف حساب،فبدأ في بسط نفوذه على أطراف الصحراء،ثم عيّن أبا بكر اللمتوني قائدا للجيوش المرابطية بعد وفاة يحيى بن عمر،وبدأت سلطة المرابطين تتوسع في جنوب المغرب الأقصى[4]،وبعد موت عبد الله بن ياسين،انحصرت الرئاسة في أمراء لمتونة،وقد قام أبو بكر بن عمر بتأسيس مدينة مراكش ،ولكنه قرر التخلي عن القيادة والذهاب إلى مواطن قبائل الملثمين بالجنوب للقضاء على فتنة وقعت هناك،و سلّم حكم المناطق الشمالية لابن عمه يوسف بن تاشفين الذي واصل أعمال البناء بمراكش،وقام بتنظيم دولته عسكريا وإداريا،و رأى بعد عودته قدرة ابن تاشفين على تسيير شؤون الإمارة ورغبته على استمراره أميرا،فقفل راجعا إلى الصحراء وترك الإمارة ليوسف بن تاشفين الذي تلقب بـ"أمير المسلمين وناصر الدين"،وتضخمت دولته،واتسعت مملكته،و استطاع القضاء على إمارة فاس المغراوية سنة467هـ/1075م،ثم ضم المغرب الأوسط والأندلس إلى ممتلكات دولته[5].

---

[1] ابن عِذارِي المراكشي،كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،قطعة من تاريخ المرابطين،كتب التعليقات:إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1967م،ج4،صص 7،8،9+.

[2] عند ابن عذارى المراكشي أنّه عاد إلى القبائل التي طردته و أعلنوا طاعته لهم، ولم يتجه إلى الجزيرة ليرابط فيها للعبادة.ينظر المصدرنفسه،ص9.

[3] ابن خلدون،العبر، ج6،ص 243.

[4] ينظر السلاوي،الاستقصا، ج3،صص10،11،12،14،18.

[5] مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري،الحلل الموشية،صص23،24،25،26،28،73. عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ، ج3،ص292.

كان المغرب الأوسط عند ظهور المرابطين خاضعا للأمير الْعَبَّاس بن بخْتِي المغراوي،من أبناء يعلى بن زيري،وكانت عاصمة إمارته تلمسان،فقرر يوسف بن تاشفين القضاء على هذه الإمارة الزناتية،ففي سنة 474هـ/1082م قاد حملة عسكرية كبرى متوجها إلى المغرب الأوسط،فدخل تلمسان بعد أن قتل أميرها المغراوي،وشيد بالناحية الغربية لتلمسان مدينة جديدة أخذت اسم تاجرارت بمعنى المحلة،ثم استمر في بسط سلطته على مناطق المغرب الأوسط،فاتجه شرقا،واستولى على مَدِينَة تنس* ووهران* و ناحية شلف و الجزائر.ومن ثم،صار المغرب الأوسط في جناحه الغربي تحت سلطته،وأصبحت حدود الدولة المرابطية من الناحية الشرقية محاذية للدولة الحمادية،ثم عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش سنة 475هـ،/1083م ليواجه الأخطار التي تهدد بلاد الأندلس ويعمل على إنقاذها من العدوان النصراني الإسباني[1].

وهكذا،صار المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري مُقسما بين دولتين،الدولة المرابطية في الناحية الغربية منه وقاعدتها تلمسان،والدولة الحمادية في الناحية الشرقية منه وعاصمتها بجاية،ولكن ستتغير هذه الخريطة السياسية كلية بظهور الدولة الموحدية الكبرى.

5_مرحلة الدولة الموحدية:

ظهر في القرن السادس الهجري دولة الموحدين التي امتدت على كل بلاد المغرب والأندلس، محققة ،وللمرة الأولى،وحدتهما السياسية.ومما لا شك فيه،فإنّ هذا الإنجاز التاريخي الكبير كان له دوره البالغ في التطور السياسي للمغرب الإسلامي،و التفاعل الحضاري بين العدوتين المغربية والأندلسية،ولهذا من الأجدر أن نطلع ولو بإيجاز على نشأة هذه الدولة و أدوارها التاريخية ،خصوصا في منطقة المغرب الأوسط.

* **تنس**: "مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور، وبعضها في سهل الأرض، وهي قديمة أزلية. ".الحميري،روض المعطار،ص138.

* **وهران**: هي مدينة كما وصفها البكري"حصينة ذات مياه سابحة وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع. " ثم ذكر أن الذي بناها جماعة من البحريين الأندلسيين الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران،ويتزعمهم مُحَمَّد بن أبي عون و مُحَمَّد بن عبدون،وذلك باتفاق مع القبائل البربرية الساكنة بالمنطقة،وذلك سنة 290هـ.البكري،المغرب،ص70.

[1] ينظر السلاوي،الاستقصا،ج2،ص 32. عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ،ج3،ص292

وبدأت أوّل بذور تأسيس دولة الموحدين مع ظهور دعوة المهدي بن تومرت في سنة 515هـ في ناحية السوس الأقصى ،التي كانت مكان إقامة المصامدة،وقد وُلد بهذه المنطقة،وهو من قبيلة هرغة المصمودية[1]،و اختلف المؤرخون في نسبه،بعضهم جعله بربريا صرفا،والبعض الآخر اعتبره من أصل عربي،وجعل نسبه إلى رسول الله ﷺ عن طريق ابنته فاطمة رضي الله عنها من زوجها علي كرم الله وجهه،والبعض الآخر مال إلى أنّ نسبه مختلط بين العرب والبربر،وأمّا الموحدون أتباع ابن تومرت يصرون على أنه عربي النسب،قرشي من نسب رسول الله ﷺ[2].

بدأ ابن تومرت في تحصيل العلم منذ أن كان صغيرا،حيث حفظ القرآن في قريته و ظهر حبه للعلم ،متأثرا بأسرته المعروفة بالعبادة والرباط،ثم شرع في رحلته لطلب العلم إلى المشرق حوالي سنة 501هـ،مارا بالأندلس،ثم مصر،وبعد قيامه بفريضة الحج دخل العراق والتقى مع كبار العلماء في ذلك العصر،ثم رجع قافلا إلى بلده حاملا مشروعا إصلاحيا تغييريا،فنزل في بجاية عاصمة الحماديين،والتقى في قرية قريبة منها تدعى ملالة بصاحبه المشهور عبد المؤمن بن علي الكومي الذي انضم إلى دعوته وصار من أقرب أتباعه[3].

ثم واصل ابن تومرت مسيرته نحو الغرب،فمر بتلمسان،ثم بفاس،ثم مراكش عاصمة المرابطين،وهو في كل المدن التي دخلها،يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وإلقاء الدروس في المساجد،فيكسب أنصارا جددا و رفاقا مؤيدين لدعوته،وفي الوقت نفسه عرّض نفسه لغضب الناس والعمال،وللطرد والتهديد،حتى وصل به الأمر إلى مضايقة علماء الأمير المرابطي في بلاطه،بمناظرتهم وإفحامهم،فنبهوا الأمير إلى خطره وطالبوا بقتله،فاكتفى بطرده من عاصمة دولته[4].فاتجه إلى بلاده سوس الأقصى،ليقوم بدعوته الدينية و مهمته السياسية بين قومه المصامدة،وفعلا شرع في نشر أفكاره و تعاليمه بالتأليف والتدريس،واختار مكانا ليكون مقرا لدعوته ومركزا لتجميع أنصاره وتنظيمهم،وهو تينمل الواقعة في شمال السوس الأقصى،المحصنة طبيعيا،فأعلن دعوته،وأظهر الناس مبايعته على الطاعة والعقيدة الصحيحة التي هي التوحيد،

[1] المراكشي،المعجب،ص136.

[2] علي محمّد محمّد الصلابي،دولة الموحدين،دار البيارق للنشر،عمان،الأردن،ص7.

[3] ابن خلدون،العبر،ج6،صص 301،302،303.

[4] المراكشي،المعجب،ص 140.

و محاربة المرابطين الذين أطلق عليهم اسم "المجسمين"،معتبرا أنّ اعتقادهم فاسد،و أقنعهم أنّه المهدي المنتظر وأنّ نسله من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،وادّعى العصمة[1].

وقد تمت بيعة ابن تومرت في سنة 515هـ،فبدأ في كسب القبائل القريبة منه،وتنظيم أتباعه سياسيا وعسكريا،فقسمهم حسب ولائهم له إلى طبقات متفاوتة،أعلاها جماعة العشرة،ثم أهل الخمسين،ثم أهل السبعين،إلى آخر هذه الطبقات،وأسند لكل واحدة منها مهاما تخصها.وفي هذا الصدد، يوضح ابن القطان طريقة اتخاذ القرار السياسي عند الموحدين،بأنّهم" كانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم،فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين،فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا،وفيما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره ﷺ."[2] ولم يكتف ابن تومرت بهذه التنظيمات السياسية،بل اتجه إلى القيام بنشاطات عسكرية في اتجاهين مختلفين.

أول هذين الاتجاهين إخضاع قبائل المصامدة بالسوس الأقصى،و توحيد صفوفهم تحت راية دعوته في كيان سياسي موحد،وقد نجح في تحقيق هذا الأمر،إلاّ أنّه تعثر في الاتجاه الآخر، وهو مواجهة المرابطين عسكريا،فكان ينتصر تارة،وينهزم تارة أخرى[3].وقد تعرض جيشه لهزيمة كبرى في معركة البحيرة سنة 524هـ /1130م على يد المرابطين،وقُتل فيها أكثر أصحابه المقربين،ولم ينج إلا عبد المؤمن بن علي الكومي .ويبدو أنّ المعركة وما ترتب عنها من خسائر جسيمة قد أثرت في مُحَّد بن تومرت،وقد كان مريضا في حينها، فاشتد عليه مرضه،فوافته المنية سنة 524هـ/1130م[4].

ويبدو ،أنّ الرفاق المقربين من ابن تومرت اعتبروا أنّ موته قد يكون سببا في تصدع كيانهم وتفرق جماعتهم،لهذا أخفوا خبر وفاته عن الأتباع،ريثما تسمح الظروف بذلك.وقد استمرت هذه

---

[1] عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد الموحدين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ،ج3،ص302.

[2] ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزامن،تحقيق: مُحَّد علي مكي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ص 128.

[3] عبد الحميد حاجيات وآخرون،تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد الموحدين ،ضمن الجزائر في التاريخ،ج3،ص303.

[4] ينظر مُحَّد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،ط2،سنة 1411هـ/1990، ج3،صص188،189،190.

المرحلة ثلاث سنوات،حققوا فيها توسيع نفوذهم في القبائل القريبة من السوس الأقصى، و إجماعهم على تعيين خليفة للمهدي ابن تومرت،وهو عبد المؤمن بن علي الذي شرع في وضع أسس دولة جديدة،وهي دولة الموحدين،ولأجل تحقيق هذه الغاية،بدأ بالقضاء على دولة المرابطين،باتباع طريقة حربية محكمة تتمثل في ملازمة الجبال والتحصن بها،وأيضا في اغتنام الخلافات والنزاعات التي تقع بين المرابطين فيما بينهم وبين القبائل المتحالفة معهم،وقد حقق عبد المؤمن انتصارات كبيرة على المرابطين[1]،فاستولى على مناطق في المغرب الأقصى والأوسط،وقد استطاع بعد وفاة الأمير المرابطي تاشفين بن علي من الاستحواذ على وهران وتلمسان،وحاصر فاس لمدة،ثم احتلها.وكذلك المدن المغربية الأخرى،وأخيرا مراكش التي دخلها في سنة541هـ،وقد كان سقوط عاصمة المرابطين بيد الموحدين ومقتل آخر أمراء المرابطين،نهاية للدولة المرابطية وبداية للدولة الموحدية[2].

و توجهت أنظار عبد المؤمن بن علي بعد استيلائه على المغرب الأقصى والقضاء على دولة المرابطين إلى المغرب الأوسط،وبالتحديد إلى دولة الحماديين ببجاية،فبدأ بالاستحواذ على مليانة*،ثم الجزائر،ثم قصد إلى بجاية فاستولى عليها 547هـ/1152م،وهرب الأمير الحمادي إلى عنابة بحرا،ومنها انتقل إلى قسنطينة[3].

وقد واصل عبد المؤمن بن علي زحفه،ففتح قلعة بني حماد،واتجه إلى قسنطينة فدخلها صلحا،وبذلك زالت دولة بني حماد،ثم تواجه جيش عبد المؤمن مع جيوش قبائل العرب التي انهزمت في معركتها مع الموحدين،وهكذا صار كل المغرب الأوسط خاضعا للدولة الموحدية[4]،فنصب عبد المؤمن ابنه أبا حفص واليا على تلمسان،كما عقد ولاية بجاية لابنه عبد

---

[1] ينظر عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد الموحدين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ،ج3،صص 304،305،306.

[2] ينظر ابن خلدون،العبر،ج6،صص 308،309،310.

* **مليانة**: وصفها البكري بقوله:"وهي أولية شريفة جددها زيري بن مناد و أسكنها ولده بلجين...وهي عامرة على نهر،ولها آبار عذبة وسوق جامعة.".البكري،المغرب،ص69.

[3] عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط7،1415هـ/2015م،ج2،ص10.

[4] عبد الله عنان،دولة الإسلام،ج3،صص 282،284،285،286.

الله[1].وقد استكمل الموحدون فتح مناطق المغرب الأدنى،خصوصا أنّها كانت مهددة بالخطر النصراني،وبدخولهم إلى مدينة المهدية وفتحها سنة 555هـ[2].أصبحت كل إفريقية ،و كل بلاد المغرب الإسلامي تحت حكم الدولة الموحدية التي استطاعت تحقيق مشروع تاريخي فريد ومهم وهو توحيد العدوتين المغربية والأندلسية تحت قيادة سياسية واحدة[3].

ويبدو،أنّ عبد المؤمن بن علي أراد بعد توحيد كل أقطار المغرب الإسلامي تحت قيادته، أن يواصل بسط سيطرته على بلاد الأندلس و يحررها بالكامل من العدوان النصراني الإسباني،ولكن وافته المنية وهو بمدينة سلا المغربية سنة 558هـ/1163م،فخلفه ابنه أبا يعقوب يوسف وتلقب بأمير المؤمنين،وواصل سيرة والده في تقوية أركان الدولة الموحدية،وكان معروفا بالعلم وحبه لمطالعة الكتب،وفي إحدى معاركه في الأندلس استشهد سنة 580هـ،فتولى حكم الدولة ولده يعقوب المنصور،وقد ظهرت في وقته عظمة سلطان الموحدين وأبهة ملكهم[4].

ولكن يظهر أنّ الدولة الموحدية واجهت معارضة شديدة من جماعة كبيرة من فقهاء المالكية بسبب رفضهم لكثير من آرائهم في مجالات الاعتقاد والسياسة والتشريع. ونتج عن هذا الأمر العديد من الفتن والثورات،وانضمام كثير من الناس إلى صفوف المتمردين والناقمين على السلطة الموحدية،فكان ذلك من أبرز عوامل ضعف الموحدين و انفصال إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى عن دولتهم[5]،و ظهور الدويلات الإقليمية الثلاث:الحفصية والزيانية والمرينية.

و على العموم،لقد صارت كل بلاد المغرب بما في ذلك الأندلس تحت حكم الدولة الموحدية التي استطاعت تحقيق مشروع تاريخي فريد ومهم، وهو توحيد العدوتين المغربية والأندلسية تحت قيادة سياسية واحدة قبل سقوطها.

---

[1] مبارك بن محمّد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،ص314.

[2]أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم الزركشي،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تحقيق:محمّد ماضور،المكتبة العتيقة،تونس،ط.2،سنة1966،ص 11،12.

[3] ينظر عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد الموحدين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ،ج3،صص 306،607،308.

[4] عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج،2،ص 12.

[5] عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد الموحدين ،ضمن الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي ،ج3،صص308،309،310.

ثالثا:التحديد الجغرافي للأندلس:

يطلق مصطلح الأندلس على إسبانيا بعد الفتح الإسلامي،وقد اختلفت روايات المؤرخين والجغرافيين في أصل تسميته،ومن هذه الروايات التاريخية:

1_ الرواية الأولى تقول إنّ كلمة أندلس اشتقها العرب من لفظة واندلوس ،وهي اسم قبائل الوندال(Vandals) التي تنحدر من أصل جرماني،وقد استولت على بلاد الأندلس حوالي القرن الثالث والرابع والخامس الميلادي،و سميت بها:فاندلسيا،بمعنى:بلاد الأندلس،ثم عُربت إلى الأندلس التي صارت مصطلحا جغرافيا يراد به عند المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين كل شبه الجزيرة الإيبيريّة"إسبانيا وبرتغال الآن"،أو ما يسمى بالجزيرة الأندلسية،ثم صار يطلق بالتحديد على جميع المناطق التي استوطنها المسلمون من شبه الجزيرة الإيبيريّة،و بعد زوال الوجود الإسلامي من إسبانيا،صارت الولايات الجنوبية التي تضم قرطبة واشبيلية و غرناطة يطلق عليها اسم اندالوثيا Andalucia[1].

2_ الرواية الثانية أوردها الجغرافيون الأندلسيون، ومنهم الحميري الذي ذكر أنّ اسم الأندلس في اللغة اليونانية هو اشبانيا،وأورد قولا فيه أنّ أول من اختطها بنو طوبال بن يافث بن نوح،وهؤلاء سكنوا الأندلس في الزمن الأول،ثم يذكر أنّ اسمها القديم هو ابارية ثم أطلق عليها بعد ذلك باطقة، ثم صارت تسمى اشبانية بسبب رجل قد ملكها في العصور القديمة اسمه اشبان، وقيل عُرفت بمن سكنوها في أول مرة،فسكنها أولا اشبان فسميت بهم،ثم سكنها الأندليش فسميت أندلس[2].

وذكر البكري في كتابه "المسالك والممالك" :" أنّ اسمها في القديم إبارية من وادي أبره ، ثمّ سمّيت بعد ذلك باطقة من وادي بيطى ، وهو نهر قرطبة، ثمّ سمّيت إشبانية من أجل رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان. وقيل إنّما سمّيت بالاشبان لأنّ الأشبان سكنوها في أوّل الزمان على جرية النهر وما والاه . وقال قوم إنّ اسمها على الحقيقة إشبارية مسمّاة من بشيرى، وهو

---

[1] ينظر أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان، ص17.عبد الرحمن علي الحجي،التاريخ الأندلسي،من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،دار القلم،دمشق،بيروت،سوريا،لبنان،ط2،سنة 1402هـ/1981م،ص 37.

[2] ينظر، الحِميرى، الروض المعطار،ص32.

الكوكب المعروف بالأحمر. وسمّيت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الّذين سكنوها" [1] في الأزمنة الغابرة.

ولفظ الأندلس يراد به اسبانيا الإسلامية عموما،وهذه اللفظة أطلقت أولا على شبه جزيرة ايبيريا كلها،باعتبارها في سلطة المسلمين.ويبدو أنّ لفظ الأندلس صار مدلوله الجغرافي يتغير نتيجة للتحولات السياسية للدولة الإسلامية في شبه الجزيرة،حتى ضاق معنى هذا المدلول فصار محصورا في آخر الممالك الإسلامية في الأندلس مملكة غرناطة الصغيرة الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة ايبيريا[2].

أمّا التحديد الجغرافي للأندلس،فهي جزيرة على شكل مثلث،قد أحاط بها البحر من الشرق والغرب والجنوب،وجانبها الشمالي متصل باليابس،فهي في الحقيقة شبه جزيرة لاتصالها من أقصى الشمال بجبال البيرنات أو الثنايا كما هي معروفة عند العرب[3].وقد بين ابن سعيد مبرزا ميزة وقوع الأندلس محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث بوصفها " جزيرة قد أحدقت بها البحار، فأكثرت فيها الخِصْب والعمارة من كل جهة."[4] إذ يحدها من الشرق والجنوب البحر الشامي(البحر المتوسط)،وغربا بحر الظلمات(المحيط الأطلسي)،ويفصلها عن فرنسا شمالا سلسلة جبال البُرت أو البُرتات Pirineos التي تحتوي على ممرات ضيقة تربط ما بين البلدين[5].

وقد وصف الجغرافيون الأندلسيون مناخ بلاد الأندلس ، فقالوا إنّها "خير الأقاليم، وأعدلها هواء وتراباً، وأعذبها ماء، وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً... شاميةٌ في طيبها وهوائها، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في عطْرها وذكائها، أهوازية في عظم جِبايتها، صينية في جواهر معادنها، عَدَنية

[1] أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي،سنة 1992، ج2،ص890.

[2] أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس، ص17.

[3] ينظر كرد علي،غابر الأندلس و حاضرها،المكتبة الأهلية ،مصر،ط1،سنة 1341هـ/1923م، ص 13.

[4] المقري،نفح الطيب، ج1،ص 205.

[5] ينظر الحميري،روض المعطار،ص 33.أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص 18. محمد بشير حسن راضي العامري،تاريخ بلد الأندلس،في العصر الإسلامي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1435هم2014م،ص 15.

في منافع سواحلها."[1]وعليه،فإنّ مناخ بلاد الأندلس معتدل الحرارة،لطيف،أمطاره شتوية،وتزداد البرودة كلما اتجهنا شمالا[2].

و يبدو أنّ المسلمين في الأندلس قد شكلوا شبكة دفاعية قوية تواجه أي هجمات تأتيهم من الممالك المسيحية المتموقعة في الشمال،وهذه الخطوط الدفاعية يُطلق عليها الثغور الأندلسية،وقد اتخذ المسلمون فيها مدنا هامة جعلوها بمثابة قواعد عسكرية دفاعية،وأول هذه الثغور الثغر الأعلى(الثغر الأقصى)،وعاصمته سَرَقُسْطَة(Zaragoza) ويقابل المملكة النصرانية نَبارَّة أو نافار(Navarra,Navarre) والواقعة في الشمال والشمال الشرقي،ويليه الثّغر الأوسط،وعاصمته مدينة سالم(Medinaceli)،ثم طُلَيْطُلَة(Teledo)،ويقابل مملكة قَشْتالَة (Castella,Castile)النصرانية،وتقع بين ليون ونافار،ومملكة ليون النصرانية الواقعة في الشمال والشمال الغربي؛وثالث الثغور الثغر الأدنى، و موقعه بين نهر دُويَرُه و تاجُه(Tajo)، عاصمته في الأول كانت طليطلة،ثم تغيرت إلى مدينة أخرى،لعلها قُورِيَه(Coria)[3].

رابعا:الأوضاع السياسة للأندلس:

دام الوجود الإسلامي في الأندلس ثمانية قرون،منذ أن فتحها طارق بن زياد وموسى بن نصير وآخرون سنة 29هـ/711م،إلى سقوط غرناطة سنة897هـ/1492م،وفي خلال هذه الحقبة التاريخية العامرة بالأحداث السياسية والإنجازات الحضارية الكبيرة مرت بلاد الأندلس بعدة مراحل،متباينة في القوة والضعف،و في النهوض والانكسار[4]،و يمكن تلخيصها فيمايلي:

1_ مرحلة الفتح : بدأ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس بعملية عسكرية استطلاعية قام بها طريف بن مالك والمكنى بأبي زرعة بأمر من موسى بن نصير،وذلك في سنة91هـ/710م،وقد نزل بفرقته العسكرية في المكان الذي أخذ اسمه فيما بعد،أي مدينة طريف ،وقام ببعض الهجمات

[1] المقري،نفح الطيب،ج1،ص126.

[2] العامري،تاريخ بلد الأندلس،ص16.

[3] ينظرأحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص19. عبد الرحمن علي الحجي،التاريخ الأندلسي، ص 38.

[4] عبد الرحمن علي الحجي،التاريخ الأندلسي،ص39.

تأكد منها على ضعف المقاومة[1]،وكان هذا حافزا لموسى بن نصير أن يشرع في مشروع فتح الأندلس.

بعد أن تأكد موسى بن نصير على أنّ الظروف مواتية في شبه الجزيرة الإيبيرية للقيام بحملة كبرى لفتحها،اختار لهذه المهمة شخصية بربرية من قبيلة نفزة، وهو القائد البربري المعروف طارق بن زياد[2] الذي قاد جيشا يتكون من البربر والعرب،فأجاز به البحر واستطاع في الأول أن يسيطر على الجبل الهام استراتيجيا وقد سمي هذا الجبل باسمه"جبل طارق"،والمضيق الذي عبره أيضا سمي ب"مضيق جبل طارق".وقد توغل القائد طارق بن زياد واشتبك بجيوش ملك القوط،وبعد معركة كبيرة كان النصر حليف المسلمين وذلك في سنة 92هـ/711م،ثم تمكن طارق بن زياد دخول طليطلة بدون مقاومة تذكر سنة 93هـ/712م[3].

ولاستكمال فتح الأندلس عبر موسى بن نصير إلى بلاد الأندلس سنة 93هـ/712م،فقام بحملة شاملة للقضاء على كل مقاومة تعرقل عملية الفتح، فتمكن من فتح الحصون والمدن،مثل مدينة إشبيلية،ثم ماردة في سنة 94هـ/713،وقد واصل انتصاراته حتى استطاع فتح شمال الأندلس سنة 95هـ/714م،وبعد استدعاء الخليفة الأموي موسى بن نصير ومغادرته للأندلس، تابع ولده عبد العزيز بن موسى الذي خلف والده في ولاية الأندلس استكمال مشروع والده[4]،فقام بفتح غرب الأندلس وشرقه.وهكذا، تحقق فتح الأندلس بفضل القادة الثلاثة الكبار موسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد العزيز بن موسى[5]،وقد استمرت مرحلة الفتح ما يقرب عن أربع سنوات،أي من سنة 92هـ /711م إلى سنة 95هـ/714م[6].

---

[1] ينظر المقري،نفح الطيب،ج1،229،230 .

[2] ينظر ابن عذارى،البيان المغرب،ج2،ص7.

[3] ينظر ابن خلدون،العبر،ج4،ص 150.عصام محمد شبارو،الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،ط1،سنة1423هـ/2002م،صص67،69،75.

[4] ابن عذارى،البيان المغرب،ج2،صص17،18،20،21،31.

[5] عصام محمد شبارو،الأندلس،صص 81،83،85.

[6] ينظر عبد الرحمن علي الحجي،التاريخ الأندلسي،ص39.

2_مرحلة الولاة:

وبعد هذا الفتح الكبير تحولت بلاد الأندلس إلى ولاية عربية تابعة للخلافة الأموية غير مستقلة وغير وراثية،و ذلك بدءا من سنة97هـ/716م وانتهاء بسنة138هـ/756م،أي مدة إحدى وأربعين سنة،وكان أمير القيروان هو الذي يعين ولاة الأندلس أغلب الأحيان[1].

وفي هذا العهد،تم نقل عاصمة ولاية الأندلس من إشبيلية إلى قرطبة،وذلك في عهد الوالي أيوب بن حبيب اللخمي الذي خلف ابن عمته عبد العزيز بن موسى[2]؛وقد تولى منصب الولاية بعدهما سبعة عشر وال،أربعة منهم واصلوا الجهاد ما وراء جبال البرت أو البيرينيه،لفتح بلاد الفرنجة وغالة(فرنسا)،وأبرزهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي خاض معركة بلاط الشهداء واستشهد فيها سنة 114هـ/732م ،ولكن رغم ما بذله هؤلاء الولاة من جهد عسكري إلاّ أنّهم لم يتمكنوا من فتح بلاد غالة،كما أنّ حركة المقاومة المسيحية بدأت تزداد خاصة في شمال غرب الأندلس.ويبدو أنّ حركة الفتح توقفت، و ظهرت الصراعات القبلية وثورات البربر مع غياب السلطة المركزية،وتعقد الأوضاع خاصة بعد تولي عبد الملك بن قطن الفهري ولاية الأندلس،وقد استمرت الأحوال في عهد الولاة إلى أن انتقلت الأندلس إلى عهد جديد، وهو عهد الدولة الأموية[3].

3_مرحلة الدولة الأموية:

دخلت بلاد الأندلس في مرحلة جديدة تتمثل في قيام دولة مركزية قوية كان لها دور هام في ترسيخ الوجود الإسلامي ببلاد الأندلس،و تحقيق الازدهار الحضاري في مختلف المجالات،حيث لم تشهد لأندلس مرحلة تتسم بالقوة والنهوض الثقافي والاقتصادي والعمراني مثلما شهدته في ظل هذه الدولة الجديدة التي أسسها أحد الأمويين ،الذي استطاع الفرار من بطش العباسيين والدخول إلى الأندلس ،ليعيد أمجاد أجداده بالمشرق من خلال تأسيسه لدولة أموية قوية و راسخة.ويمكن تقسيم مراحل تطور هذه الدولة إلى عهدين مختلفين،عهد الإمارة وعهد الخلافة.

---

[1] العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص 81.

[2] ابن عذارى،البيان،ج2،ص33.

[3] ينظر المقري،نفح الطيب،ج1،صص34،35،36،37،38.عصام محمّد شبارو،الأندلس ،صص87،88.

أ/**عهد الإمارة**:و استمرت من سنة138هـ/755م إلى سنة316هـ/929م،وبدأت بدخول أبي مطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الأندلس سنة138هـ/755م،بعد أن نجح في الهرب من بلاد الشام بعد ملاحقة العباسيين للأمراء الأمويين ونجاحهم في إقامة دولتهم سنة 132هـ/749م[1].

وعند عبور عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس شرع في حشد الناس والأتباع حوله لمواجهة الوالي يوسف الفهري و حلفائه،فحدثت بينهما معركة حاسمة على ضفة نهر قرطبة في سنة 138هـ/755م،نتج عنها انهزام جيش الفهري،و انتصار عبد الرحمن الداخل ومبايعته ،فدخل قصر الإمارة بقرطبة،و خضعت له الأندلس بأكملها[2].

تمكن عبد الرحمن الأموي من أن يحقق طموحاته ،و يجدد ملك الأمويين ببلاد الأندلس بما امتاز به من قوة وشجاعة و حنكة سياسية،فكان جديرا بلقب الداخل،لأنّه أول أموي نجح في الدخول إلى الجزيرة الأندلسية و يؤسس لنفسه إمارة أموية في العدوة الأندلسية بعد أن غابت في المشرق[3].

وقد وصفه المؤرخون بأنّه "أبو الملوك"،وقد ذكره أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي بقوله:"صَقْرُ قرَيْش عبدُ الرحمن بن معاوية،الذي عبر البَحْر،وقطع القَفْر،ودخل بلدًا أَعْجَمِيًّا،منفردًا بنفسه؛فمصَّر الأمصار،وجنَّد الأجناد، و دوّن الدواوين،ونال مُلْكًا بعد انقطاعه،بحُسْن تدبيره،وشدَّة شكيمته...وعبدُ الرحمن منفردٌ بنفسه،مؤَيَّدٌ بأمره،مستصحبٌ لعزمه،وطَّد الخلافة بالأندلس،وافتتح الثغور،وقتل المارقين،وأذلّ الجبابرة الثائرين."[4] وبالإضافة إلى ذلك ،كان من أهل العلم عادلا في إمارته[5].

---

[1] العامري، تاريخ بلد الأندلس،ص55.

[2] لسان الدين بن الخطيب السلماني،تاريخ اسبانية الإسلامية،كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،تحقيق:ليفي بروفنسال،دار المكشوف، بيروت،لبنان،ط2،سنة 1956، ص8.

[3] العامري، تاريخ بلد الأندلس،ص60.

[4] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ اسبانية الإسلامية،صص 9،10.

[5] المراكشي،المعجب،ص23.

و حينما تولى عبد الرحمن الداخل الإمارة اتبع سياسة جديدة تتمثل في التحكم في الأوضاع الداخلية،والتقليل من نفوذ القبيلة وتغليب سلطة الإمارة،وقد قام بنشر الأمن والاستقرار وإنشاء جهاز الشرطة،كما اتبع سياسة الاعتماد على البربر بدل الجند العربي،وأخذ إجراءات احتياطية لمواجهة الثورات والمؤامرات[1]،وقد قام بعدة إنجازات عمرانية من أهمها تشييده لمسجد قرطبة في سنة170هـ/786م[2].وقد وافته المنية سنة 172هـ،وكانت مدة إمارته ثلاثة وثلاثين سنة[3].

وبعد وفاة عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية تولى الحكم بعده سبعة أمراء، وهم :

_ هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأول والملقب بالرضا،حكم من سنة 172هـ/788م إلى سنة 180هـ/796م،ودامت مدة حكمه سبع سنوات وتسعة أشهر،و قد قضاها في مواجهة أخيه الأكبر سليمان الذي كان هو المرجح الأول لخلافة والده عبد الرحمن الداخل،إلاّ أنّ هشاما أسعفته الظروف ليسبق أخاه في تولي الإمارة،وقد انتهى الصراع بين الأخوين بأن تمكن هشام من نفي أخويه سليمان وعبد الله إلى المغرب؛و قد استطاع الأمير هشام الراضي أن يقضى على ثورتين يمنيتين،وأن يقوم بالجهاد ضد المسيحيين في شمال الأندلس،ولعل أكبر حدث في عهده هو انتشار المذهب المالكي في الأندلس ليحل محل مذهب الإمام الأوزاعي[4].

_الحكم بن هشام الأول الملقب بالربضي،وبدأ حكمه من سنة 180هـ/796م وانتهى في سنة 206هـ/822م،فكانت مدة حكمه ست وعشرين سنة[5].قال عنه المؤرخون أنّه :" أوّل من جنّد بالأندلس الأجناد، والمرتزقة، وجمع الأسلحة والعُدَد، واستكثر من الخدم والحواشي والحشم، وارتبط الخيول على بابه، واتخذ المماليك، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم ... وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس، وكان يباشر الأمور بنفسه، ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين، وهو الذي وطّأ الملكَ لعقِبه بالأندلس."[6]وفي عهده قامت ثورة أهل الربض[1] في قرطبة سنة

---

[1] العامري، تاريخ بلد الأندلس،صص61،62،63.

[2] ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج5،ص276.

[3] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص 10،11.

[4] أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،صص111،112،113،115

[5] ابن عذارى،البيان المغرب،ج2،ص102.

[6] المقري،نفح الطيب،ج1،صص 341،342.

202هـ/817م،فقضى عليها،وبسببها أُطلق عليه لقب"الربضي"، وقد واصل مسيرة الجهاد ضد الممالك النصرانية[2].

_ عبد الرحمن بن الحكم الثاني أو الأوسط،تولى الإمارة سنة 206هـ/822م،وكانت نهاية حكمه سنة 238هـ/852م،وقد عرفت الإمارة في عهده الذي دام إحدى وثلاثين سنة قمة عصرها الذهبي،وقد استطاع أن يقضي على الثورات والفتن،و كانت له حملات عسكرية كبيرة إلى الممالك المسيحية بالشمال تكللت بالنصر والغلبة على الأعداء،و أظهر عنايته بالنشاط البحري على السواحل الشرقية والسواحل الغربية[3].

وكذلك اجتهد في النهوض بالإمارة حضاريا،فقد لخص ابن عذاري إنجازاته التي تميز بها عن من سبقه من الأمراء،فقال إنّه:"هو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة،و كسا الخلافةَ أبهةَ الجلالة،فشيّد القصور وجلب إليها المياه،وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف،وبنى المساجد الجوامع بالأندلس،وعمل السقاية على الرصيف،أحدث الطُرُز واستنبط عملها،واتَّخذ السكة بقرطبة وفخم ملكه."[4] وإضافة إلى ذلك، فقد أبدى اهتمامه و تشجيعه للعلماء والفقهاء والمغنين والجواري الذين ساهموا في بناء صرح الحضارة الأندلسية[5].

---

[1] ذكر المقري في كتابه "نفح الطيب" مُلخصا هذه الواقعة في عهد الأمير الحكم بن هشام :"وكانت له الواقعة الشهيرة مع أهل الرّبض من قرطبة لأنّه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذّاته، فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة، مثل يحي بن يحيى الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطّأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما، فثاروا به، وخلعوه، وبايعوا بعض قرابته، وكانوا بالرّبض الغربيّ من قرطبة، وكان محلّةً متصلةً بقصره، فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم، ولحقوا بفاس من أرض العدوة، وبالإسكندرية من أرض المشرق، ونزل بها جمع منهم، ثم ثاروا بها، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد، وغلبهم، وأجازهم إلى جزيرة أقريطش، فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدّة."المقري،نفح الطيب، ج1،ص339.

[2] المقري،نفح الطيب، ج1،صص239،240.

[3] ينظر ابن عذارى،البيان المغرب، ج2، صص122،124،125،132،133،135.عصام محمّد شبارو،الأندلس،ص125.

[4] ابن عذارى،البيان المغرب، ج2،ص 136.

[5] عصام محمّد شباروا،الأندلس،ص125.

والظاهر أنّ الإمارة الأموية قد دخلت بعد وفاة عبد الرحمن الثاني في سنة 238هـ/852م فيما يسميه المؤرخون عصر دويلات الطوائف الأولى،حيث عاشت الإمارة مرحلة من الضعف والاضطرابات السياسية و ظهور النزعات الاستقلالية وتفكك الوحدة السياسية و بروز إمارات مستقلة.وقد امتدت فترة ضعف سلطة الحكم المركزي في قرطبة اثنتين وستين سنة حكم فيها ثلاثة أمراء ،أولهم مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأول،بدأ حكم الإمارة سنة 238هـ/852م،و كانت نهاية حكمه سنة 273هـ/886م، والثاني هو المنذر بن مُحَمَّد،دام حكمه سنتين،أي من سنة 273هـ/886م إلى سنة 275هـ/888م وثالثهم عبد الله بن مُحَمَّد،و كانت بداية حكمه سنة 275هـ/888م،و نهايته سنة 300هـ/912م،ثم بعد هؤلاء الثلاثة تولى الحكم عبد الرحمن بن مُحَمَّد الثالث والملقب بالناصر لدين الله،من سنة300هـ/912م،إلى سنة 350هـ/961م،وفي عهده استطاع إعادة الوحدة السياسية للإمارة الأموية و تغييرها إلى نظام الخلافة[1].

ب/عهد الخلافة:

بعد مرحلة الضعف والتفكك التي مرت بها الإمارة تغير الوضع مع صعود عبد الرحمن بن مُحَمَّد سدة الحكم، وهو لا يتجاوز الثانية والعشرين عاما بفضل ترشيح جده الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الثاني له،وتقديمه لتولي الإمارة دون أعمامه وأعمام أبيه[2]،إذ تمكن سريعا من إخماد الثورات والفتن،و أعاد للدولة الأموية هيبتها وأبهتها وسلطانها[3]،خصوصا بعد إعلانه نفسه خليفة سنة 316هـ/928م بسبب ما لحق الخلافة العباسية من الضعف وذهاب هيبتها،وكذلك لمواجهة الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب التي كانت تعادي بني أمية بالأندلس[4].

كما تصدى لخطر الممالك المسيحية في شمال الأندلس،وإقامته العلاقات الدبلوماسية مع الدولة البيزنطية ومع الإمبراطورية الرومانية المقدسة[5]،وقد طالت مدة حكمه فكانت خمسين

[1] أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب و الأندلس،ص 156.
[2] ابن عذارى،البيان،ج2،صص 233،234.
[3] المقري،نفح الطيب،ج1،353.
[4] ينظر عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية،صص137،138.
[5] ينظر عصام مُحَمَّد شبارو،الأندلس،ص158.

سنة،أي من سنة 300هـ/912م إلى 350هـ/961م[1].ولعل هذه الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها في الحكم قد ساعدته على تثبيت دعائم الدولة الأموية وتحقيق نهضة حضارية أندلسية فخمة،لها طابعها الخاص المميز.

وقد وصف لسان الدين بن الخطيب حال بلاد الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر، وعدد إنجازاته في كل المجالات قائلا:"والناصر هو الذروةُ العُليا في ملوك بني أُميَّة.طال عمرُه،واتسَّع سعدُه،واشتهرت أَيَّامُه،وبَعُد صيتُه،وانتشرت بالعدوة الغَربيَّة طاعَتُه،و عَلَت على منابرها كلمتُه.وهو أَوَّل من تسمَّى منهم بأمير المؤمنين؛ثم اقتفاه من جاء بعده...وولي الناصر لدين الله الأمر، والأندلس جمرةٌ تحتدم،ونارٌ تضطرم؛وقد عظم الشقاق والنفاق،وارتجَّت الآفاق؛فسكَّنها الله بسعده،وعزَّ نقيبته.وكان يشبَّه بعبد الرحمن الداخل.وهو الذي استنزل الثوَّار،وشيَّد القصور،وغرس الغروس،وخلَّد الآثار،وأعظم في الكفر النكاية.فلم يَبْقَ عليه في الأندلس مُخالِفٌ،ولا نازَعَه مُنازِعٌ.ودخل الناس أفواجًا في طاعته،ورغبوا في مُسالمته."[2] ومن إنجازاته العمرانية تشييده لمدينة الزهراء في سنة 325هـ/936م،واستمر العمل فيها ما يقارب أربعين سنة[3].

و بعد وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر،تولى الخلافة بعده ابنه الحكم الملقب بالمستنصر سنة 350هـ،ووافته المنية سنة 366هـ،وقد دامت مدة دولته خمس عشرة سنة[4]،وكان مهتما بالعلم مواظبا على الجهاد، وكان فقيها عارفا بالأنساب والتواريخ جامعا للكتب[5]،وصفه لسان الدين بن الخطيب بقوله:"وكان _ رحمه الله _ عالمًا فقيهًا بالمذاهب،إمامًا في معرفة الأنساب،حافظًا للتاريخ،جمَّاعًا للكتب،مميِّزًا للرجال من كل عالم وجيل،وفي كلّ مصر و أوان،تجرَّد لذلك وتهمَّم به ؛فكأنّ فيه حجةً و قدوةً ...وفي أيَّامه سكنت الفتنة لتوطيد أبيه الدولة،واستظهاره على الثوار بحسن السيرة و طول العمر ومساعدة الأيام."[6] وسياسته المتبعة في

---

[1] ابن عذارى،البيان، ج2،ص234.

[2] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص29.

[3] المقري،نفح الطيب، ج1،ص565.

[4] ابن عذارى،البيان، ج2،ص348.

[5] العامري،تاريخ بلد الأندلس،ص119.

[6] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص41.

عهده في الداخل والخارج، هي نفسها سياسة والده عبد الرحمن الناصر،إلاّ أنّه كان يميل أكثر إلى السلم والعلاقات الدبلوماسية مع الممالك المسيحية[1].

و زالت هيبة الخلافة وسلطانها بعد وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر، ،إذ لم يكن للخلفاء الذين جاؤوا بعدهما منها إلا الاسم،وكان حكمهم شكليا،إذ كان المتحكم الحقيقي في الدولة هم الحجاب و الوزراء[2]، فالخليفة هشام بن الحكم الملقب بالمؤيد بالله الذي خلف والده في الحُكم سنة 366هـ،وعمره إحدى عشر عاما[3]،لا يملك من أمره شيئا،فكان يحكم شكليا لا فعليا،وقد قدم لسان الدين الخطيب وصفا لهذا الخليفة و حدود سلطته فقال:"ولما كان هشام مُنْدَرِجًا في طيّ كافِلِهِ الحاجب المنصور ــ رحمه الله ــ بحيث لا يُنسب إليه تدبير،ولا يرُجع إليه من الأمور قليلٌ ولا كثير،إذ كان في نفسه وأصل تركيبه مُضْعَفًا مَهينًا مشغولاً بالنزهات."[4] وكان الحاكم الحقيقي هو الحاجب مُحَّد بن أبي عامر الذي أحكم سيطرته على كل شؤون الدولة، وتوج نفسه ملكا،ولقب نفسه بالمنصور[5]،ثم نقل الحُكم إلى ولديه من بعده عبد الملك الملقب بالمظفر و عبد الرحمن الملقب بشنجول[6].

ودامت الأسرة العامرية في تولي شؤون الدولة الأموية ثمان وعشرين سنة،أي من سنة 371هـ981م إلى سنة 399هـ/1009م[7].،وقد تميزت بانتهاج سياسة الجهاد المستمر ضد الممالك المسيحية بالشمال.وقد حاول أمراء الأسرة العامرية إبعاد العنصر العربي من الجيش، وإضعاف العصبية العربية فيه،و في عهد هذه الأسرة تم بناء مدينة الزاهرة[8].

---

1 ينظر العامري،بلد الأندلس،صص 119،120.

2 عصام مُحَّد شبارو،الأندلس،ص189.

3 ابن عذارى،البيان،ج2،ص377.

4 لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص58.

5 المقري،نفح الطيب،صص 389،397،396.

6 العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،صص248،250.

7 ينظر عصام مُحَّد شبارو،الأندلس،ص189.

8 .ينظر ابن خلدون،العبر،ج1،ص195،ج4،صص 189،190.

وبعدما تولى عبد الرحمن الملقب بشنجول الحكم تسبب في نهاية الأسرة العامرية نتيجة فساده واستهتاره سنة 399هـ/1009،ثم سادت فترة من النزاعات حول الخلافة[1]،دامت اثنتين وعشرين سنة. وحاول اثنان من بني أمية استعادة الخلافة، وهما محمد الثاني الملقب بالمهدي سنة 399هـ/1009م،وسليمان الملقب بالمستعين سنة 400هـ/1010م،ولكن استلمها بعد ذلك أسرة حمود الأدارسة[2] مدة سبع سنوات،ثم عادت إلى بني أمية مرة أخرى،فتولى فيها الخلافة ثلاثة،كان آخرهم هشام الثالث الملقب بالمعتد سنة 417هـ/1027م،وفي عهده سقطت الدولة الأموية سنة422هـ/1031م،بعد أن امتدت 284 سنة[3]،حيث أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء الخلافة لعدم وجود من يستحقها،وصار الأمر شورى بين الوزراء،وبذلك تحول الحكم في قرطبة إلى نظام حكم الجماعة[4].

4_مرحلة ملوك الطوائف:

كان سقوط دولة بني أمية إعلانا بانفراط عقد القوى السياسية التي كانت تربطها السلطة المركزية الأموية،فنتج عن ذلك ظهور النزاعات والتناحر بين هذه القوى المتمثلة في العرب و البربر والصقالبة والموالي والمولدين والمستعربين،فظهرت في كل مدينة إمارة صغيرة،وافترقت الأندلس إلى ثلاث وعشرين دويلة متناحرة[5]،وهكذا دخلت الأندلس إلى عصر جديد،أطلق عليه عصر ملوك الطوائف،أو عصر الفرق[6].

---

[1] ينظر لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية إسلامية،صص94،98. العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص254.

[2] "بنو حمود الأدارسة العلويون،وهم من سلالة أبي حفص عمر بن إدريس الثاني الذي كان يحكم غمارة في شمال المغرب على شاطئ البحر االأبيض المتوسط.وفي خلال الفتنة التي عمت الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية انتهز أمير من سلالة الأمير أبي حفص عمر وهو"علي بن حمود"وكان واليا على طنجة وسبتة،فاستولى على مالقة ثم تقدم إلى قرطبة وقتل صاحبها الخليفة الأموي...الملقب ب"المستعين"و ذلك سنة 407هـ وأسس دولة الحموديين التي كانت قاعدتها مالقة." العبادي،في تاريخ المغرب و الأندلس،ص256.

[3] ينظر ابن خلدون،العبر،ج4،صص 192،196.عصام محمد شبارو،الأندلس،203.

[4] ينظر لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص147.العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص254.

[5] ينظر عصام محمد شبارو،الأندلس،ص212.

[6] ينظر العبادي،في تاريخ المغرب و الأندلس،ص255.

وكان أول الطوائف تأسيسا للدويلات بالأندلس البربر الذين دخلوا إلى العدوة الأندلسية في عهد المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر.و من أهم هذه الدويلات البربرية دويلة بني زيري في غرناطة (403-483هـ/1012م-1090م)،و دويلة بني برزال في قرمونة(404هـ-460هـ/1013م-1068م)،و دويلة بني ذي النون في طليلطة(427هـ-478هـ/1035-1085م)،و دويلة بني يفرن في رندة(431هـ-458هـ/1039م-1065م)[1]؛و أمّا العرب،فمنهم بني حمود،وهم من أصل عربي الذين دخلوا من المغرب إلى الأندلس،و أسسوا دويلة لهم في مالقة (407هـ-449هـ/1016م-1057م)،وأميرهم يُعرف بصاحب البربر[2].

و أمّا الصقالبة فهم في أغلبهم من مماليك المنصور مُحَّد بن أبي عامر وأولاده،وقد كانت لهم الدويلة العامرية الصقلبية في شرق الأندلس(412هـ-478هـ/1021م-1085م)،و تشمل دانيةو المرية و مرسية و بلنسية والجزر الشرقية المعروفة بالبليار،واستطاع بنو طاهر من الصقالبة إنشاء دويلة في مرسية(429هـ-471هـ/1037م-1078م)[3].

و من الذين كانت لهم دويلات أيضا أهل الأندلس،وهم أهل البلاد الذين استوطنوها وانصهروا في بوتقتها حتى صاروا أندلسيين ،سواء كانوا عربا أو قوطا أو بربرا[4]، ومن دويلتهم بني تجيب ثم بني هود في سرقسطة(408هـ-512هـ/1017م-1118م)،ودويلة بني عباد في إشبيلية(414هـ-484هـ/1023م-1091م)،ودويلة بني القاسم الفهريين في البونت(421هـ-497هـ/1030م-1103م)،ودويلة بني جهور في قرطبة (422هـ-461هـ/1031م-1069م)،و دويلة عبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية (429هـ/1037م)،و دويلة بني صمادح التجيبيين في المرية(433هـ-484هـ/1041م-1091م)[5].

و قد كثرت ألقاب الخلافة الفخمة بين هؤلاء الملوك حتى عبر الشاعر أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني عن هذه الحالة المخزية المتردية بقوله:

---

[1] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص176،236.عصام مُحَّد شبارو،ص212.

[2] العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص256.

[3] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص210.شبارو،الأندلس،صص212،213.

[4] العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص255.

[5] ينظر لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص145،208.شبارو،الأندلس،ص213.

ممــــــا يُزهّـــــــدني في أرض أنـــــــدلس سمـــــاع معتمــــــد فيهــــا و معتضــــــد
ألـقـــاب ممـلكــة في غـيــر موضـعـهــــا كــالهـــرّ يحكــي انتفــاخــا صــولة الأســـد[1]

و في مثل هذا الواقع المتفكك المتعفن سياسيا، نرصد في الجهة المقابلة،في شمال الأندلس، توحد مملكتي قشتالة و ليون تحت زعامة الفونسو السادس ملك قشتالة الذي بدأ ببسط سلطته على الممالك المسيحية،بقصد الزحف على بلاد الأندلس و ضمها إلى مملكته.. وفعلا تمكن من الاستيلاء على دويلة طليلطة سنة478هـ/1085م،وهي من أبرز دويلات الطوائف،وضرب حصارا على سرقسطة،وظنّ أنّه قادر على إسقاط كل ملوك الطوائف و الاستحواذ على جميع بلاد الأندلس،ولكن هناك قوة جهادية جاءت من المغرب لنجدة أهل الأندلس وإنقاذ بلادهم من كارثة السقوط،و هي قوة المرابطين[2]،وهذا ما جعل الأندلس تدخل في ظل الدولة المرابطية إلى مرحلة جديدة.

5_مرحلة دولة المرابطين:

كانت الأندلس تعيش حالة من التفرق والتناحر والتمزق الشديد سياسيا من خلال بروز إمارات مستقلة صغيرة وعديدة تُدعى بدويلات ملوك الطوائف،وفي الجانب المسيحي الإسباني،كان ملك قشتالة الفونسو السادس قد وحد قواته ،و شرع يخطط في بسط نفوذه وسيطرته على كل بلاد الأندلس،خاصة بعد استيلائه على إحدى أهم المدن الأندلسية وهي طليطلة،ثم تشديد حصاره على سرقسطة.وظهر أنّ أمر سقوط الجزيرة الأندلسية كلها في يد النصارى المسيحيين صار قريبا.وفي هذه الأثناء عقد أهل الأندلس اجتماعا بمدينة قرطبة طالبين من دولة المرابطين اللمتونية الصنهاجية العبور إلى الأندلس وإنقاذها من خطر الفونسو السادس و مخططاته العدوانية[3].

وفعلا،استجاب أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لاستغاثتهم،و عبر بجيشه إلى العدوة الأندلسية وخاض معركة مصيرية تاريخية فاصلة تكللت بالنصر للمسلمين،وهي معركة الزلاقة التي

---

[1] ابن رشيق،ديوان ابن رشيق القيرواني،جمعه ورتبه:عبد الرحمن ياغي،دار الثقافة،بيروت،لبنان ،سنة 1409هـ،1989م،صص 59،60.

[2] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج2،صص114،278.

[3] شبارو،الأندلس،ص227.

وقعت في يوم 12 رجب 479هـ/1086مـ.وبداية من هذه المعركة،شرع المرابطون في توحيد الأندلس وضمها إلى المغرب ،وإنهاء عصر ملوك الطوائف[1].

ولكن بعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106مـ،بدأ الضعف يظهر على الدولة المرابطية،حيث سقطت سرقسطة في يد الإسبان النصارى سنة 512هـ/1118م[2]،وحينما تولى تاشفين بن علي المرابطي الحكم،انشغل بمواجهة عبد المؤمن بن علي قائد الموحدين و رئيسهم،ونتج عن هذا الوضع استنزاف الدولة المرابطية وإنهاكها، وبالتالي إضعاف قبضتها على الأوضاع بالأندلس[3]. وهذا الأمر أعاد عصر ملوك الطوائف مرة أخرى،وظهر حكام ثاروا على السلطة المرابطية، و أظهروا استعانتهم بالممالك المسيحية التي كادت أن تضم كل بلاد الأندلس إلى ممتلكاتها، و إنهاء الوجود الإسلامي من الجزيرة الأندلسيّة لولا ظهور قوة أخرى بسطت نفوذها على كل بلاد المغرب، وهي دولة الموحدين بزعامة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي أنقذ الأندلس للمرة الثانية و جعلها تابعة لدولته الكبرى[4].

6_مرحلة دولة الموحدين:

ونجم عن ضعف المرابطين وانهزاماتهم المتتالية في مواجهة حركة الموحديين بالمغرب، تفكك الأندلس إلى إمارات مستقلة و ظهور الثائرين ضد السلطة المرابطية،وقد وصف هذه الحال لسان الدين بن الخطيب بقوله:"ولما اضطرب أمر المرابطين من لمتُونة بالأندلس،وضعفوا،وكثُرت الفتن والثوَّار،واغتنم العدوُّ ذلك،واستولى على البلاد،واشتهر ظهور الدولة المؤمنيَّة...وتعلَّقت آمالُ المسلمين بهم،واستصرخهم الناسُ،وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين،سوء جوارٍ وحبًّا في الإدالة وتبدُّل الملوك...فأجابهم صاحب الدَّعوة الأمير عبد المؤمن بن عليّ، وبعث إليهم جيشه...ووفد عليه أهلُ

---

[1] ابن خلدون،العبر، ج7،ص251.السلاوي،الإستقصا،ج2،ص55.المقري،نفح الطيب، ج1،ص439.

[2] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الاندلس،ج2،ص415.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش ،الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين،عصر الطوائف الثاني،دار الغرب ،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1408هـ/1988مـ،ص34.

[4] شبارو،الأندلس،ص254.

الأندلس ،"[1] طلبا للنصرة ودفعا لخطر الممالك المسيحية التي تستعد للزحف على المدن الأندلسية، و الاستحواذ عليها واحدة تلو أخرى.

وقد شرع الموحدون في جهاد المسيحيين الإسبان ،وحققوا انتصارهم الكبير ضدهم في معركة الأرك[2] سنة 591هـ/1195م،ولكن لم تمر مدة على هذا النصر حتى أُلحقت بهم هزيمة نكراء في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م.وقد نتج عن ذلك، تزايد الحرب العدوانية التي شنها النصارى الإسبان على بلاد الأندلس و تحقيقهم للانتصارات المتتالية على المسلمين و استيلائهم على كل المدن الأندلسية ماعدا غرناطة التي تأسست فيها إمارة بني الأحمر النصرية[3].

وبداية من القرن السابع الهجري ظهرت على أنقاض الدولة الموحديّة ثلاث دويلات تقاسمت تركتها في بلاد المغرب.ومادام المغرب الأوسط مركز اهتمام هذا البحث،سأعاين في الفصل الأول الواقع السياسي للمغرب الأوسط والأندلس من ق 7هـ إلى 9هـ.

[1] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص265.

[2] الأرك: موضع بنواحي بطليوس. المقري نفح الطيب،ج1،ص443.

[3] المقري،نفح الطيب،ج1،ص443،446،447.

مدخل

الفصل الأول

الواقع السياسي للمغرب الأوسط والأندلس من ق7ه إلى ق 9ه

أولا: الواقع السياسي للمغرب الأوسط

1- سقوط الدولة الموحدية

2- دولة بني عبد الواد الزيانية : النشأة و التطور

3- الدولة الحفصية و المغرب الأوسط

ثانيا: الواقع السياسي للأندلس

1- العدوان النصراني الإسباني على مدن الأندلس

2 - دولة بني الأحمر النصرية و سقوط الأندلس

أولا:الواقع السياسي للمغرب الأوسط:

خلال القرن السابع الهجري شهد المغرب الأوسط انهيار دولة الموحدين التي وحدت المغرب والأندلس سياسيا،وكان لها إنجازات سياسية وحضارية مهمة،ونتج عن تفككها وسقوطها بروز دولة إقليمية في المغرب الأوسط اتخذت من تلمسان عاصمتها،وهي دولة بني عبد الواد الزيانية،ولكن هذه الدولة الصغيرة كانت مهددة من دولة بني مرين* بالمغرب الأقصى ومن دولة بني حفص بالمغرب الأدنى،حيث كانتا تحاولان السيطرة على المغرب الأوسط وتحقيق ما حققه الموحدون من توحيد أقاليم المغرب الثلاثة كلها تحت راية دولة واحدة.

وفي وسط هذه الأجواء المشحونة بالصراع والاضطرابات،كانت جماعات من الأندلسيين تهاجر إلى العدوة المغربية بحثا عن الأمان،وبالتحديد إلى حاضرة تلمسان الزيانية وحاضرة بجاية الحفصية.و من المؤكد أن معرفة الواقع السياسي للمغرب الأوسط سيساعد على فهم ظاهرة الهجرة الأندلسية و استكشاف مراحلها والعوامل الدافعة إليها،وهذا ما سنحاول معاينته.

1_ سقوط الدولة الموحدية :

تعتبر معركة العقاب التي وقعت سنة 609هـ/1212م،في عهد الخليفة الموحدي أبي عبد الله محمد الناصر الموحدي بداية تغلغل الضعف في جسم الدولة الموحدية المنهزمة [1]،خصوصا بعد وفاة هذا الخليفة الموحدي سنة 610هـ/1213م،والذي تولى بعده خلفاء ضعاف،مثل الخليفة المستنصر بالله أبي يعقوب بن محمد الناصر،وقد شهد عهده كثيرا

* **بنو مرين**: هم فخذ من زناتة من أشرافهم. ينظر ،إسماعيل بن الأحمر،روضة النسرين في دولة بني مرين،تحقيق:عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية،الرباط،المغرب،ط2،سنة 1411هـ/1991،ص17. و ذكر ابن خلدون نسبهم فقال:" بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت ابن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سجيك بن واسين، وأنهم إخوة بني يلومي ومديونة. وربّما يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما بين صا وملويّة". ابن خلدون،العبر،ج7،ص221.

[1] فاطمة بوعمامة،اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14 _ 15 ميلادي ،مؤسسة كنوز الحكمة،للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 1432هـ/2011م،ص 40.

من الثورات و الفتن،[1].وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون واصفا حال الدولة الموحدية و عوامل ضعفها وانهيارها:"ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحّدين بالمغرب سنة عشر وستماية مرجعه من غزاة العقاب، وقام بأمر الموحّدين من بعده ابنه يوسف المستنصر، نصبه الموحّدون للأمر غلاما لم يبلغ الحلم. وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك، فأضاع الحزم وأغفل الأمور. وتواكل الموحّدون بما أرخى لهم من طيل الدالة عليه. ونفس عن مخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر، فضاعت الثغور وضعفت الحامية. وتهاونوا بأمرهم، وفشلت ريحهم."[2] هذا بسبب الفوضى التي أصابت هرم السلطة الموحدية والصراعات الداخلية بين الخلفاء الموحدين.

إذ بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة 620هـ/1223م خلفه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فحكم ثمانية أشهر و تسعة أيام، وكانت نهايته القتل سنة 621هـ/1224م،و تولى الحكم بعده أبو مُحَّد عبد الله بن يعقوب المنصور والمعروف بلقب العادل،فانتهى أمره إلى القتل سنة 624هـ/1227م بعدما حكم أربع سنوات[3]،وجاء بعده أبو العلاء إدريس الأول بن المنصور الملقب بالمأمون بمبايعة أهل الأندلس له، بينما بايع أهل المغرب الأقصى بمراكش يحي بن الناصر المكنى بأبي زكرياء و لقب نفسه بالمعتصم،ودار بين الخليفتين صراع شديد على من هو الأحق بالخلافة؛ثم قام نزاع آخر بين المأمون و أخيه أبي موسى الذي أعلن تمرده بمدينة سبتة،وصارت بلاد المغرب في عهد هؤلاء الخلفاء حلبة صراع واقتتال وفوضى[4]،إذ بعدما انتهت مدة المعتضد بن المأمون سنة646هـ/1248م بموته،تولى الحكم بعده المرتضي أبو حفص بن إسحاق،فثار عليه أبو العلاء إدريس الثاني

---

[1] ينظر شبارو،الأندلس،ص271.

[2] ابن خلدون،العبر، ج7،ص224.

[3] ينظر ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس،قسم الموحدين،التحقيق: مُحَّد إبراهيم الكتاني، مُحَّد زنبير، مُحَّد بن تاويت،عبد القادر رزمامة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،دار الثقافة،دار البيضاء،المغرب،ط1،سنة 1406هـ/1985م ،صص 269،270،273.

[4] ينظر السلاوي،الاستقصا، ج2،صص 233،234،236،240.

المعروف بأبي دبوس الذي انقرضت بمقتله سنة 668هـ/1269م الدولة الموحدوية[1]،و ظهرت على أنقاضها ثلاث دويلات إقليمية تقاسمت بلاد المغرب،اثنتين منها كان المغرب الأوسط تحت حُكمهما،وهما،دولة بني عبد الواد الزيانية وعاصمتها تلمسان،و دولة بني حفص وعاصمتها تونس،و من أبرز مدنها بجاية التي كانت عاصمة للحفصيين في بعض الفترات.وفيما يلي تفصيل لنشأة هاتين الدولتين ومراحل تطورهما.

2_دولة بني عبد الواد الزيانية:النشأة والتطور

أ_ أصل بني عبد الواد الزيانيين و موطنهم: ينتمي بنو عبد الواد إلى قبيلة زناتة البربرية[2]،وهم "من ولد يادين بن مُحَمَّد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد"[3]،و يصل نسبهم إلى مادغيس الأبتر[4]،ومكان استقرارهم ومعيشتهم "ضاحية المغرب الأوسط."[5] يعيشون حياة الرعي والبداوة والترحال،ويجوبون الصحراء من سجلماسة إلى زاب افريقية وجبل مصاب[6] .و ينتسب بنو عبد الواد الزيانيين إلى:"...بن زيان،بن ثابت،بن مُحَمَّد،بن زيدان،بن يندوكسن بن طاع الله علي بن يمل بن برجي ابن القاسم،ومن القاسم هذا تنسل جمهور بني عبد الواد."[7]ولعل هذا النسب هو سبب إطلاق تسمية بني عبد الواد الزيانية على على دولتهم.

---

[1] ينظر ابن خلدون،العبر،ج6،صص 45،48،51،53.علي بن أبي زرع الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس،دار المصور للطباعة والنشر والوراقة،الرباط،المغرب،سنة1972مـ،صص 308،310،311.

[2] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،تحقيق عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية،الجزائر،سنة 1400هـ/1980،ج1، ص178 .

[3] عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص 97.

[4] يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص186.

[5] عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص 97.

[6] يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 186.

[7] مُحَمَّد بن عبد الله التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، ص 109.

ب_ اتصال بني عبد الواد الزيانيين بالموحدين وقيام دولتهم:اتفق كل من أرّخ لدولة بني عبد الواد الزيانية كعبد الرحمن بن خلدون[1] و يحيى بن خلدون[2] و التنسي[3] على رواية واقعة واحدة كانت سببا في نشأة دولة بني زيان.وملخص هذه الواقعة أنّ السيد أبا سعيد عثمان شقيق المأمون سلطان الموحدين كان واليا على مدينة تلمسان،فتم اعتقال بعض مشائخ بني عبد الواد.فقصده إبراهيم بن علان الصنهاجي اللمتوني طالبا الصفح عنهم،فرفض أبو سعيد مطلبه،فكانت ردة فعله أن غضب عليه ،و فأعلن الثورة ضده ،ثم تغلب عليه واعتقله،و قام بإطلاق سراح مشائخ بني عبد الواد،ولكنه لم يقف عند هذا الحد،بل قام بخلع طاعة الموحدين، وعزم على تجديد مجد الدولة المرابطية اللمتونية واتصل بابن غانية* لنصرته،فبدأ يخطط لتحقيق مبتغاه،وذلك بالقضاء على مشائخ بني عبد الواد.

و لكن خطته افتضحت ،و قبض عليه مشائخ بن عبد الواد وقتلوه،وكان شيخهم يومئذ جابر بن يوسف،إذ أعلن دعوة الموحدين في تلمسان بعد دخولها،و أرسل إلى أميرهم معلنا ولاءه وطاعته. وبداية من تاريخ 627هـ/1229[4]صارت تلمسان و ما جاورها من بلاد زناتة تحت إدارته وتسييره بعهد من أمير الموحدين،فكانت هذه الولاية على المغرب

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج7،صص 99،100.

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص199.

[3] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،صص 112،113.

* **ابن غانية:**قال عبد الواحد المراكشي في التعريف بابن غانية:" وتلخيص خبر هؤلاء القوم –أعني بني غانية– أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تَاشُفين، وجّه إلى الأندلس برجلين ؛اسم أحدهما يَحْيَى، والآخر مُحَمَّد، ابني عليّ، من قبيلة مسوفة، يعرفان بـ "ابني غانية"، وهي أمهما. فأما يَحْيَى منهما، وهو الأكبر... كان عليَّ بن يُوسُف... ولاه مدينة بَلنسيَة، ثم عزله عنها وولاه قُرطبة؛ فلم يزل بها واليًا إلى أن مات –رحمة الله عليه– أول الفتنة الكائنة على المرابطين. لا أعلم له عقبًا. وكان أخوه مُحَمَّد واليًا من قِبله على بعض أعمال قُرطبة، فلما مات اضطرب أمر مُحَمَّد هذا، وبقي يجول في بلاد الأندلس والفتنة تتزيَّد، ودعوة المصامدة تنتشر. فلما اشتد خوف مُحَمَّد هذا أتى مدينة دَانِيَة فعبر منها إلى جزيرة مَيُورقة في حشمه وأهل بيته، فملكها والجزيرتين اللتين حولها: مُنُرقة، ويابسة. ويقال: إن أمير المسلمين علي بن يوسف نفاه إليها على طريق السجن بها... فاستقل مُحَمَّد بمملكة هذه الجزر، وضَبطها لنفسه، وأقام فيها جاريًا على أمر لمَتونة الأول: يدعو لبني العبَّاس." ثم حكم بعده ولده إسحاق و أبناؤه ،و ثاروا ضد دولة الموحدين وهاجموا ممتلكاتهم في بلاد المغرب خصوصا مدينة بجاية التي استولوا عليها لمدة من الزمن.المراكشي،المعجب،صص196،197،198،199،195.

[4] بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة 1993،ص25.

الأوسط " ركوبا إلى صهوة الملك."[1] و "مبتدأ الدولة عبد الوادية،"[2] التي تأسست فيما بعد.

وقد بدأ شيخ بني عبد الواد جابر بن يوسف في تسيير ولايته الجديدة في تلمسان و ضواحيها،فشرع في إخضاع من حوله من المناطق،وبسط نفوذه فيها،فدخل في طاعته الكثيرون،باستثناء ندرومة،فخرج إليها،ولكنه لقي حتفه بالقرب من أسوارها.

وتولى القيادة مكانه ابنه الحسن،ثم تنازل عنها لعمه عثمان بن يوسف،ولكن بسبب سوء إدارته حدثت ثورة ضده من بني عبد الواد،و أزاحوه عن منصبه،و جعلوا أبا عزة زيان بن زيدان مكانه بن ثابت بن مُحَّد،ولكنه ما لبث أن تمرد عليه بنو مظهر،ورفضوا الدخول في طاعته،بمساندة من بني راشد،و شنوا عليه حربا انتهت بمقتله.فخلفه في تولي تسيير أمور تلمسان وما جاورها أخوه يغمراسن بن زيان بن ثابت بن مُحَّد، فأخضع بني مظهر وبني راشد،وأعاد توحيد كلمة بني عبد الواد معلنا تأسيس دولة مستقلة عن سلطة الموحدين[3]، ومعلنا انفصاله عنهم،وذلك في سنة 633هـ/1235م ،بعدما كان يدعو لهم على المنابر وفي الأعياد[4].

وعليه،فإنّ قوة العصبية القبلية لبني عبد الواد و الثروة الاقتصادية التي حصلت عليها من دولة الموحدين الذين منحوهم أراضي زارعية خصبة من بلاد يلومي و ومانو،إضافة إلى الحنكة السياسية التي تميز بها مشائخ بني عبد الواد كجابر بن يوسف وابن أخيه يغمراسن،فإنّ كل هذه العوامل متضافرة ساهمت في قيام دولة بني عبد الواد الزيانية،في إقليم المغرب الأوسط،و ضمن حدود معينة[5].

ج _ حدود الدولة الزيانية و إقليمها: لم تكن حدود الدولة الزيانية تتميز بالثبات والاستقرار طوال المدة التي حكمتها،و ذلك بسبب وقوعها بين فكي قوتين إقليميتين،واحدة

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص 100.

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص199.

[3] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،ص113.عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص100.

[4] خالد بلعربي،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،ص69.

[5] ينظر بوزياني دراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،صص 28،29،30،31،32.

في المغرب الأقصى وهي دولة بني مرين،والأخرى في الشرق ودولة بني حفص،وكانت في حرب دائمة معهم[1]،و أيضا يعود اتساع حدودها تارة وانحسارها تارة أخرى إلى مقدار استعدادها عسكريا واقتصاديا وأوضاعها من حيث الاستقرار والأمن ووحدة حكامها و صدق ولاء قبائلها[2]. وعليه،فإنّ حدودها كانت بين مد و جزر[3]، فتتسع حتى تصل إلى قرية تاوريرت[4]،وعمالة قسنطينة من الناحية الشرقية[5]،وأحيانا تتقلص حتى لا يبقى منها إلاّ منطقة تلمسان[6].

وعملا بوصية الأمير الزياني يغمراسن[7]،فإن معظم حكام الدولة الزيانية ركزوا اهتمامهم في توسيع حدود دولتهم إلى الجهة الشرقية على حساب الحفصيين، لا سيما في عهد أبي حمو الأول و ابنه أبي تاشفين ،حيث وصلت جيوشهما إلى تونس و بجاية وقسنطينة و عنابة[8]،ولكن سرعان ما تتراجع إلى تخوم بجاية،وهو أقصى اتساع لحدود الدولة الزيانية من الجهة الشرقية[9].

---

[1] عبد الجليل قريان،التعليم في تلمسان في العهد الزياني،جسور للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 2011،ص46.

[2] ينظر،عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر،الجزائر،سنة 2011،ج1،ص43.

[3] ينظر بوزيان دراجي،نظم الحكم في دولة عبد الواد الزيانية،ص37.

[4] عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص 290.

[5] التنسي،تاريخ ملوك بني زيان ملوك تلمسان،ص 143.

[6]ينظر عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني،ص46.

[7] ذكر ابن خلدون هذه الوصية في تاريخه فقال:" (حدّثنا) شيخنا العلامة أبو عبد الله مُحَّد بن إبراهيم الآبلي قال: سمعت من السلطان أبي حمّو موسى بن عثمان، وكان قهرمانًا بداره، قال: أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان (ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم) فقال له: يا بني إنّ بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرّة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها. فإيّاك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحّدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك.ولعلك تصيّر بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك. فعلقت وصية الشيخ بقلبه." عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص 123.

[8] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،صص 137،143،144.

[9] عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص45.

و فيما يخص الحدود السياسية والإدارية الدائمة لدولة بني زيان،قد بلغت من الجهة الشرقية إلى جبل الزان*(جبل اكفادوا)،المتاخم لمدينة بجاية[1]،وتتميز هذه الحدود بالثبات غالبا غالبا وهي المجاورة لدولة بني حفص[2]،و الحدود الغربية،فتكاد تستقر عند نهر ملوية كما ذكر ذلك القلقشندي[3]،و أحيانا إلى تاوريرت والتي تبعد عن مدينة وجدة حوالي مائة وست وثلاثين كلم[4]،وهذه الحدود من الناحية الغربية. وتميزت بالثبات والاستقرار،بحيث استطاع سلاطين بني زيان المحافظة عليها منذ عهد السلطان يغمراسن[5].

و يمكن القول أنّ الحدود الجنوبية الغربية والجنوبية والشمالية للدولة الزيانية لها نفس الصفة من حيث الاستمرارية وعدم التغيير،فمن الناحية الجنوبية الغربية وصلت الحدود إلى سجلماسة(تافيلالت)،وأما في الجنوب فقد بلغت إلى الصحراء التي تفصل بين المغرب في الشمال وبلاد السودان في الجنوب[6]،ووصفها حسن الوزان بصحراء نوميديا[7]،و أمّا الحدود الشمالية فتنتهي إلى البحر الأبيض المتوسط[8].

و أمّا إقليم دولة بني عبد الواد الزيانية فهو يُعرف بالمغرب الأوسط،ويمكن رسم معالمه في وقتنا الحالي بوسط الجزائر و غربها،وله تضاريس متنوعة و مناخ متباين و مناطقه

* **الزان**(جبال): تقع جبال الزان غرب بجاية في الناحية الشرقية من سلسلة جرجرة(= جبال زواوة)،وتغطيها غابات الزان وهو شجر يشبه البلوط.محمود آغا أبو العيد،التعريف بالأماكن الواردة في نص التنسي،ضمن تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، التنسي،ص286.

1 ينظر التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،ص 184.بوزيان دراجي،نظم دولة بني عبد الواد الزيانية،ص38.

2 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص44.

3 القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج5،ص 144.

4 عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص290.عبد الرحمن بن مُحَّد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج2،ص 146.

5 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص 44.

6 القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج5،ص 144.

7 الحسن بن مُحَّد الوزان الفاسي،المعروف بليون الإفريقي،وصف إفريقيا، ج2،ص7.

8 ينظر عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج2،ص146.بوزيان الدارجي،نظم الحكم في دولة بن عبد الواد الزيانية،ص38.

مختلفة[1]،ويشتمل على مدن ساحلية، نذكر منها هنين* و وهران ومستغانم* وتنس وبرشك* ودلس*،و مدن مثل ندرومة[2]* والمدية[3]* و مليانة و تيهرت،وهي مدن داخلية[4].

و تعد مدينة تلمسان أهم مدن إقليم المغرب الأوسط،فهي حاضرة الدولة الزيانية وعاصمتها السياسية والثقافية والاقتصادية،وقد توافد عليها الأندلسيون بأعداد كبيرة دون غيرها من مدن مملكة بني زيان.ولهذا من المهم أن نسلط الضوء على تاريخ هذه المدينة و جغرافيتها:

د ــ أهمية تلمسان الجغرافية والاقتصادية والسياسية: تعود أهمية هذه المدينة إلى كونها حاضرة الدولة الزيانية و عاصمتها السياسية والثقافية،و مركزا مهما من مراكز الإشعاع

---

[1] بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ص37.

* **هنين:** هو ميناء لمدينة تلمسان،ويبعد عن ندرومة 35كم من جهة الشمال،وهو الآن عبارة عن أطلال،وحاليا بنيت في مكانه، مدينة صغيرة تحمل اسم هنين. محمود آغا أبو العيد،التعريف بالأماكن الواردة في نص التنسي،ضمن تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، التنسي،ص287.ووصفه البكري بقوله :"حصن...وهو على مرسى جيد مقصود،وهو أكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب ثمر يسكنه قبيلة تسمى كومية."البكري،المغرب،ص70.

* **مستغانم:**وصفها الحميري بقوله:" مدينة بقرب نهر شلف...وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحن ماء...وهي على البحر...وهي صغيرة."الحميري،روض المعطار،ص 558.

* **برشك:** ذكر الحميري أنّها:" بين تنس وبرشك في الساحل ستة وثلاثون ميلاً، وبرشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر." الحميري،الروض المعطار،ص88.

* **دلس:** ذكر الحسن الوزان أنّها:"مدينة قديمة عتيقة على بعد تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط."الحسن الوزان،وصف إفريقيا،ج2،ص42.

* **ندرومة:** ذكر ابن خلدون،أنّها موطن لندرومة إحدى بطون قبيلة كومية البربرية،ولهذا سميت المدينة بهذا الاسم،وهي تقع في الشمال الغربي من تلمسان في أحد الطرق الرابطة بين هنين وعاصمة الزيانيين،وتبعد عنها بمسافة 60كم[2].ابن خلدون،العبر،ج6،ص165. محمود آغا أبو العيد،التعريف بالأماكن الواردة في نص التنسي،ضمن تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، التنسي،ص287.

* **المدية:** موقعها على مسافة 80 كلم جنوب الجزائر العاصمة. محمود آغا أبو العيد،التعريف بالأماكن الواردة في نص التنسي،ضمن تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، التنسي،ص287.وذكر ابن خلدون أن أصل تسمية المدينة بهذا الاسم هو أنّها موطن بطن من بطون صنهاجة يسمى بـ"لَمَدِيّه".ابن خلدون،العبر،ج7،ص 210. وقال البكري عنها :"بلد جليل قديم". البكري،المغرب،ص65.

[4] خالد بلعربي،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،صص 104،105،106،107.

الحضاري[1]،يصفها البكري في القرن الخامس الهجري بأنّها:" مدينة مسوّرة في سفح جبل شجره الجوز، ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمّام وباب وهب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قُرّة. "[2]ثم ذكر أنّها:" قاعدة المغرب الأوسط و لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين، وهو نهر سطفسيف. وهي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجّار الآفاق."[3] وأمّا الإدريسي ،فقد ذكر حالها في القرن السادس الهجري،فقال:"وتلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة.وهي مدينتان في واحدة،يفصل بينهما سور.ولها نهر يأتيها من جبلها المسمّى بالصخرتين...وغلاتها و مزارعها كثيرة وفواكهها جمّة.وخيراتها شاملة...ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه حالا."[4] وعليه،فإنّ مدينة تلمسان خلال القرن السادس كانت مدينة اقتصادية مزدهرة وحاضرة عامرة بالسكان والتجار.

وفي القرن السابع الهجري أورد يحيى بن خلدون في بغية الرواد أن تلمسان هي:"قاعدة المغرب،ودار مملكة زناتة،ومحل العلماء والمحدثين والصلحاء. "[5] ثم ذكر أنّها دار ملك الزيانيين و أنّها تسمى عند البربر تلمسن،وهي كلمة مركبة من تلم،ومعناها تجمع،وسن تعني اثنان،أي الصحراء والتل[6]، و يضيف أنّها:" مدينة عريقة في التمدن لدنة الهواء عذبة الماء،كريمة المنبت،اقتعدت بسفح جبل... بها للملك قصور زهرات ،اشتملت على المصانع الفائقة،و الصروح الشاهقة،والبساتين الرائقة. "[7]و ذكر أنّ لها "خمسة أبواب،قبلة باب الجياد،وشرقا باب العقبة،وشمالا باب الحلوى وباب القرمدين،وغربا باب كشوطة."[8] وهي"مؤتلفة من

---

[1] عبد الجليل قربان،التعليم في تلمسان في العهد الزياني،ص47.
[2] البكري،المغرب،ص76.
[3] المصدر نفسه ،صص76،77.
[4] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،صص100،101.
[5] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص91.
[6] المصدر نفسه،ج1،ص85.
[7] المصدر نفسه ،ج1،صص 85،86.
[8] المصدر نفسه ،ج1،ص90.

مدينتين ضمهما الآن سور واحد،أحدهما أولية...وتُعرف بأجادير...والأخرى تُعرف بتاجرارت بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين في حدود اثنتين وستون وأربعمئة،بمكان محلته ولذلك سميت باسم تاجرارت،فإنّه اسم المحلة بلسان زناتة."[1]فمدينة تلمسان قد حافظت على مكانتها كمدينة محورية في كل نشاط سياسي أو اقتصادي أو عمراني في كل العصور التي مرت عليها.

وأمّا عبد الرحمن بن خلدون فذهب إلى أنّ مدينة تلمسان تمثل " قاعدة المغرب الأوسط، وأم بلاد زناتة اختطّها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم. "[2]وفضلا عن ذلك،أشار إلى أنّها كانت قاعدة سياسية مهمة لعدد من الدول الإسلامية التي قامت في بلاد المغرب،فذكر منهم الأدارسة ثم الصنهاجيين،وجاء بعدهم المرابطون والموحدون الذين قاموا بتخريب تلمسان ثم أعادوا بناءها وتعميرها،حتى أسندوا تسييرها إلى بني عبد الواد[3]،فاتخذوها الواد[3]،فاتخذوها :" دارًا لملكهم، وكرسيًّا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب. ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام. وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية. "[4]وعليه،فإنّها صارت مركز جذب للعلماء والشخصيات الكبيرة والبيوتات العريقة من مختلف بقاع المغرب الإسلامي وبالأخص من بلاد الأندلس.

هـ_ الأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية:

لقــــد مــــرت دولـــــة بــــني زيان في مســـــارها التــــاريخي، بأدوار تاريخيـــــة متباينة ،ويمكن حصرها في خمسة أدوار.تبدأ بتأسيس الدولة وتنتهي بسقوطها،أي من سنة 633هـ/1235م إلى سنة 962هـ/1554م.وهي كالآتي:

[1] يحيى بن خلدون،بغية الرواد ،ج1،صص 90،91.

[2] عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص 102.

[3] المصدر نفسه ،ج7،صص 102،103،104،105.

[4] المصدر نفسه ،ج7،ص105.

ـ الدور الأول:النشأة والتأسيس:

وبدأ الدور الأوّل بتولي السلطان يغمراسن الحكم سنة 633هـ/1235م[1]،وينتهي بدخول السلطان أبي الحسن المريني* و استيلائه على تلمسان سنة 737هـ/1336م[2].والسلاطين الذين حكموا في هذا الدور هم خمسة،أولهم المؤسس يغمراسن(من 633هـ/1235م) إلى (681هـ/1238م) ودام حكمه 48 سنة،والثاني هو ابنه أبو سعيد عثمان وحكم 21 سنة،أي من (سنة 681هـ/1283م) إلى (سنة702هـ/1302م)،وثالث السلاطين هو أبو زيان بن عثمان كانت مدة حكمه خمس سنوات،أي من (سنة702هـ/1302م)إلى (سنة 707م /1307م)،ورابعهم السلطان أبو حمو موسى الأول بن عثمان و يبدأ عهده من سنة 707هـ/1307م إلى سنة 718هـ/1318م،فمدة حكمه هي 11 سنة،و آخر سلاطين الزيانيين هو أبو تاشفين عبد الرحمان بن موسى،ودام عهده 19 سنة،بداية من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 737م/1336م[3].

و امتاز هذا الدور ببروز يغمراسن الواضع لقواعد دولة بني زيان،كشخصية فرضت نفسها على مسرح الأحداث بسبب ما أظهره من:"أبهة الخلافة...و استعمل ما يورث الملك كمالا وجمالا...فانتخب الوزراء والحجاب،وانتقى القواد،والكتاب"[4]و ما اتصف به من:"جرأة وشهامة ،و دهاء،وجزالة،وحزمًا."[5] حيث استطاع أن يصمد أمام ضربات الدولة

---

[1] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص204.

* **السلطان المريني أبو الحسن المريني**:علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق،لقبه المنصور بالله،بويع بعد أبيه في سنة 731هـ،ولد سنة 692هـ،وتوفي سنة 752سنة وعمره 60 سنة،دامت مدة حكمه 20 سنة .قال عنه ابن الأحمر:"كان رحمه الله تعالى ضخم الملك متسع السلطان،ملك المغرب بأجمعه،واستولى على ملك تلمسان بعد قتله لسلطانها أبي تاشفين العبد وادي،وملك مدينة تونس وسائر بلاد إفريقية بعد قتله لملكها عمر بن أبي يحيى الموح الهنتاتي. "ابن الأحمر،روضة النسرين،صص 37،35.

[2] عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7،ص148.

[3] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،من ص 204 إلى ص 219.

[4] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،ص115.

[5] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق:محمّد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر،ط2،سنة 1393هـ/1973م،مج1،ص563.

الحفصية و الهجمات القوية التي كانت تشنها دولة بني مرين، و رغم هذه الظروف القاهرة والصعبة فإنّه استمر في تسيير دولته و حمايتها من كل انهيار[1].

ثم جاء بعده ابنه عثمان الذي شهد عهده " الحصار الكبير الذي ضربه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف على تلمسان الذي امتد بشكل غير متوقع مدة ثماني سنوات طويلة،وبالتحديد من عام 698هـ/1299م إلى عام 706هـ/1307م."[2]و قد تكبد فيه سكان هذه المدينة خسائر كبيرة و مجاعة شديدة [3]،فذكر يحي بن خلدون أنّ :"مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنين و ثلاثة أشهر وخمسة أيام،بلغ فيها عدد موتى أهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مائة ألف وعشرين ألفا. "[4] و جاء بعده ابنه أبو زيان مستمرا في مواجهة حصار المرينيين[5]،وانتهى الحصار بمقتل السلطان المريني يعقوب بن يوسف المريني سنة 706هـ[6].

و تولى حكم مملكة بني زيان أبو حمو الأول،فكان عهده تثبيتا لأركان الدولة وتنشيطا للحياة العلمية،فأسس مدرسة للتدريس،وجعلها تحت إشراف العالمين الكبيرين "أبو موسى وأبو عيسى ابني الإمام"،ولكن مالبث أنّ تعرض لعملية اغتيال من ولده أبي تاشفين الذي تولى الحكم بعد أبيه[7].وقد أثنى عليه التنسي،و ذكر أنّه:"خلد آثارا لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده."[8]وانتهى عهده بقتله من المرينيين عند هجومهم على مملكته سنة 737هـ.وهكذا،سقطت الدولة الزيانية مؤقتا وصارت تلمسان في حوزة دولة بني مرين لمدة

---

[1] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،صص 116،117،118،119.

[2] Sid Ahmed Bouali,Les deux grands sièges de Tlemcen,dans l'histoire et la legende,L'arbre a livres,Tlemcen,Algérie,2011,p75.

[3] ابن الأحمر،روضة النسرين،صص60،61.

[4] يحي بن خلدون، بغية الرواد،ج1،ص211.هـ

[5] ينظر ابن خلدون،العبر،ج7،صص127،128.

[6] ينظر يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص211.ابن الأحمر،روضة النسرين،ص31.

[7] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،صص 132،138،139.

[8] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،ص140.

محدودة[1].وتميز هذا الدور كذلك باعتماد المدرسة كمؤسسة للتدريس، تحت إشراف كبار علماء تلمسان الذين برزوا في مختلف العلوم النقلية والعقلية[2].

_ الدور الثاني: الدولة الزيانية بين الانقطاع والانبعاث:

لقد كان توقع السلطان الزياني صحيحا،"عندما كان يخشى على الدولة الزيانية من بعده سطوة الدولة المرينية،فبعد الحصار الطويل الذي فرضه المرينيون على تلمسان،جاءت حركة الاحتلال على يدي أبي الحسن المريني سنة 737هـ/1336م،حيث قوّض أركان الدولة الزيانية،واستمال قبيل بني عبد الواد فاستعملهم."[3] وهكذا،تكون هذه المرحلة قد بدأت باستيلاء السلطان المريني أبي الحسن على تلمسان،وإسقاطه لدولة بني زيان[4]،وانتهت بوفاة السلطان المريني أبي عنان وتولي السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني حكم مملكة الزيانيين من جديد سنة 760هـ/1358م .[5].وقد حاول الأخوين أبي سعيد وثابت ابني عبد عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بعث الدولة الزيانية من جديد،حيث اغتنما فرصة حركة السلطان المريني أبي الحسن إلى تونس سنة 748هـ/1347م،وأعادا إحياء الدولة الزيانية سنة 749هـ/1348م ،وقد بذلا جهودا كبيرة لاسترداد العديد من المدن و إخضاعها لحكمهما،وقد ظهرت الدولة في عهدهما مستقلة عن أي سيطرة خارجية،حيث ضرب السلطان أبو سعيد السكة و صارت المساجد تدعو له ولأخيه[6]،ولكن حركة الانبعاث الانبعاث هذه لم تدم إلاّ أربع سنين وشهرا واحدا،حيث أعاد بنو مرين إخضاع تلمسان الزيانية سنة 753هـ/1352م،ونتج عن ذلك انقطاع دولة بني زيان مرة أخرى[7].

---

[1] ابن الأحمر،روضة النسرين،صص 62،63.

[2] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،صص 139، 141،142.

[3] عبد الجليل قربان،التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ص54

[4] ابن الأحمر،روضة النسرين،ص63.

[5] ابن خلدون،العبر، ج7،163.

[6] ينظر التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،صص 149،150،151،152.عبد الجليل قربان،التعليم بتلمسان في العهد الزياني،ص54.

[7] يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص247.عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج7،صص 161،162.

_ **الدور الثالث:الانبعاث و الازدهار**:يمكن اعتبار هذا الدور هو قمة ازدهار دولة بني زيان وبلوغها الذروة في النظم السياسية والاجتماعية والثقافية و غيرها من النواحي الحضارية[1]،ويبدأ هذا الدور باعتلاء أبي حمو موسى الثاني في سنة 760هـ/1358م،و انتهت بتآمر ولده أبي تاشفين مع بني مرين عليه،وموته سنة 791هـ/1389م،وقد دامت مدة حكمه واحدا وثلاثين سنة.

و قد وصل أبو حمو موسى الثاني إلى إحياء دولة بني زيان مرة أخرى،وذلك بعدما واجه بني مرين بتحالفه مع بني حفص ثم مع القبائل العربية،وتعرض لظروف قاسية وشدائد كثيرة،فأظهر مقاومة وصبرا وثباتا،حتى استطاع أن يدخل تلمسان و يعيد مجد أجداده الزيانيين ببعث دولتهم و الوصول بها إلى ذروة الأبهة والسلطان،وذلك في سنة 760هـ/1358م.

وقد تميز عهد السلطان الزياني بالحملات العسكرية لقمع المتمردين ،وحماية بلاده من هجمات بني حفص،وبني مرين،للمحافظة على استقلال مملكته في المغرب الأوسط من كل تبعية خارجية،وكانت سياسته تقوم على الحكمة والحنكة،والعدل،والعناية بشؤون رعيته من الضعفاء والفقراء والمحتاجين[2]،فقد ذكر يحيى بن خلدون أنّه لما تولى الإمارة:"صرف _ خلد الله ملكه _ وجه العناية لإحياء رسوم الخلافة،وتوطيد قواعد الملك،وتشييد مصانع الدولة،مضطلعا بتفصيل أحكام ذلك وإحكام تفاصيله؛عارفا بتحديد رسومه ورسم حدوده"[3]،و لقد شمل رعيته:" من قسطاس عدله الأسنى.فلقد قسم ... زمنه فيهم بين حكم حكم يقضيه،وحق يمضيه،وعافٍ يرضيه،وسيف لحماية الدين ينضيه."[4]ومن ثم،فإنّ عهده اتسم بالقوة والازدهار وصد العدوان عن عاصمته تلمسان.

---

[1] بوزياني دراجي،نظم الحكم في دولة عبد الواد الزيانية،ص34.

[2] عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص55.

[3] يحيى بن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد،تحقيق:بوزياني الدراجي،دار الأمل للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة2007،ج2،ص96.

[4] المصدر نفسه،ج2،ص36.

و من جهة أخرى،فإنّ السلطان أبا حمو موسى الثاني كان من طبقة العلماء واسع الثقافة ،شاعرا بارعا،يجمع العلماء حوله ويشجعهم و يعتني بنشر العلم وتشييد مؤسساته،وقد كان هو نفسه كاتبا صنف" كتابا أدبيا ملوكيا"[1] في نُظم الحكم سماه:"نظم السلوك في سياسة الملوك"[2]وبين فيه سياسته،ناصحا من خلاله ولده أبا تاشفين[3].

وللسلطان أبي حمو الثاني شعر جيد كثير أورده يحيى بن خلدون في بغية الرواد،وقد وصف شعر أميره بقوله:"وله _أيده الله_ نظم ارتفعت طبقته عن شعر الملوك."[4]،واستنادا إلى ذلك،فإنّه من ملوك بني زيان الذين دعموا الحياة الثقافية والاجتماعية،وهو نفسه كان متبحرا في العلوم العقلية والنقلية،وقد تسبب تمرد ولده أبي تاشفين عليه و تحالفه مع أعدائه بني مرين في نهاية فترته، التي تعتبر من أكثر فترات دولة بني عبد الواد الزيانية ازدهارا واستقلالا[5].

_الدور الرابع:الضعف والتبعية للمرنيين والحفصيين:

بدأ الدور الرابع بانتهاء فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، العصر الذهبي للدولة الزيانية،و تولي ابنه أبي تاشفين سدة الحكم بمساعدة من المرينيين وذلك سنة 791هـ/1388م .وكان في مدة حكمه "مقيما ... لدعوة صاحب المغرب أبي العبّاس ابن السلطان أبي سالم، ومؤدّيًا الضريبة التي فرضها عليه منذ ملك."[6] وامتاز هذا الدور بالتبعية المطلقة للدولة المرينية وللدولة الحفصية،فأصبح الأمير الزياني يُنصب بسند منهما ،وكان عدد السلاطين الزيانيين في هذا الدور أربعة عشر سلطانا،وكان منهم من يحكم بضعة أشهر أو بضعة أيام[7].باستثناء فترة السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني،الذى تقلد الإمارة سنة 814هـ/1411م،والذي استرجع ما أخذته الدولة الحفصية من مملكته،بل واستطاع بشجاعة وحنكة أن يدخل فاس،ويستولي عليها،و ينصب عليها واليا من قبله،وكان

---

[1] التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،ص161.
[2] المصدر نفسه،،ص161.
[3] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،صص 31،32.
[4] المصدر نفسه ،ج2،ص31.
[5] ينظر،عبد الجليل قريان،التعليم بتلمسان،صص 58،59.
[6] ابن خلدون،العبر،ج7،ص482.
[7] عبد الجليل قريان،التعليم بتلمسان،ص60.

ذلك انتهاء تدخل بني مرين في شؤون الدولة الزيانية،ولكنه بداية لتبعية بني زيان للحفصيين،حيث استطاع السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز إخضاع تلمسان،وإدخال المرينيين في طاعته،فصار كل المغرب الإسلامي تحت سيطرته وحكمه.وهكذا استمر الحال بالسلاطين الزيانيين،تابعين للدولة الحفصية،حتى وفاة السلطان أبي عبد الله مُحَّد بن مُحَّد بن أبي ثابت المتوكل سنة 890هـ/1485م،لتأتي التبعية للأجنبي ثم الدولة التركية[1]ورغم التردي الشديد والتفكك الرهيب الذي تعرضت له الدولة الزيانية في هذا الدور،فإنّ هذا لم يؤثر على ازدهار العلوم النقلية والعقلية بحاضرة تلمسان.وهذا ما سجله وأكده القلصادي في زيارته لها سنة 840هـ/1436م[2] ،فذكر أنّه وجد بها:"كثيرا من العلماء،والصلحاء والعباد والزهاد،وسوق العلم حينئذ نافقة،وتجارة المتعلمين رابحة،والهمم إلى تحصيله مشرفة،وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية،فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان،المشهور لهم بالفصاحة والبيان."[3] ثم ذكر العلماء الذين أخذ عنهم بعض العلوم.وهكذا انتهت الدولة الزيانية إلى دورها الأخير،فكان زوالها نهائيا.

_الدور الخامس:سقوط الدولة الزيانية وزوالها:

اتّسم الدور الخامس بذهاب هيبة السلاطين الزيانيين،وسادت الفوضى في كل النواحي السياسية والاجتماعية،و تمرد الولاة ورؤساء القبائل وعمال الجهات وقادة الجيش،فكان ذلك سببا لكثرة المشاكل و اضطراب الأحوال ممّا أطمع الإسبان والبرتغال في الإغارة على منطقة المغرب الإسلامي واحتلال مدنه[4].

وقد استمر هذا الدور زهاء اثنتين وسبعين سنة، وقد حَكم فيه ثلاثة عشر سلطانا،أي من تولي الحكم السلطان تاشفين بن المتوكل سنة 890هـ/1485م،[5]إلى خلع الدولة التركية

[1] عبد الرحمن مُحَّد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج2،صص 195،200.

[2] أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي،رحلة القلصادي،تحقيق:مُحَّد أبو الأجفان،الشركة التونسية للتوزيع،سنة 1978م،ص94.

[3] المصدر نفسه،ص95.

[4] عبد الرحمن مُحَّد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج2،ص 202.

[5] ينظرعبد الجليل قريان،التعليم بتلمسان في العهد الزياني،ص64.

للسلطان مولاي الحسن سنة 962هـ/1554، بسبب ميله إلى الإسبان،وألحقت تلمسان بالجزائر.وهكذا،"وكان ذلك نهاية النهاية للدولة الزيانية التي عمرت ثلاثة قرون وثمانية عشر عاما"[1]،وما بقي منها إلاّ ما سجله التاريخ من فترات زاهية مزدهرة قوية سياسيا وحضاريا.

3_الدولة الحفصية والمغرب الأوسط:يلاحظ أنّ إقليم المغرب الأوسط ،خلال القرن السابع الهجري،تتقاسمه دولتان متنافستان متنازعتان،وهما الدولة الزيانية التي تستحوذ على الجهة الغربية من هذا الإقليم،والدولة الحفصية التي اقتطعت الجزء الشرقي منه ،وأهم مدينة بهذا الجزء هو حاضرة بجاية التي صارت العاصمة السياسية والاقتصادية الثانية لدولة بني حف/ص بعد تونس ،ومقرا لكثير من الوافدين من الأندلس.وعليه،فإنّه من الضروري التعرف على نشأة الدولة الحفصية و أهم مراحلها،ثم الحديث عن حاضرة بجاية جغرافيا خلال القرن السابع الهجري.

أ_ نشأة الدولة الحفصية و مراحلها: يعود أصل الحفصيين إلى الشيخ أبي حفص عمر[2] بن يحيى الهنتاتي[3]،من قبيلة هنتاتة*،وقد كان له دور أساسي و مهم في ترسيخ قواعد الدولة الموحدية وتمكين عبد المؤمن بن علي من خلافة ابن تومرت بعد موته في قيادة الموحدين[4]،وبعد وفاته سنة 571هـ/1175م،ترك وراءه عددا من الأولاد كان لهم مساهمة في إدارة دولة الموحدين و تسييرها،وذلك لما تولوه من مناصب عليا[5]،ومن أبرزهم عبد الواحد بن أبي حفص الذي كان له نفوذ في البلاط الموحدي،وكان أيضا كبير أشياخ الموحدين[6].

---

[1] يحيى بوعزيز،الأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية،مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر ،العدد 26،سنة 1975،ص 27.

[2] كان أبو حفص عمر الهنتاتي من طبقة العشرة المقربة من ابن تومرت الزعيم الروحي لدولة الموحدين،والتي تسمى بالجماعة،و اسمه عمر بن ومَزَال،وكان يسمى بـ" فَصْكة "،فسماه ابن تومرت عمر.ينظر المراكشي،المعجب،صص 141،146.

[3] ابن خلدون،العبر، ج6،ص360.

* **هنتاتة**:من أكبر قبائل المصامدة،و موصوفة بالكثرة والبأس،وموطنهم جبال الدرن،والجبل المتاخم لمراكش. ينظر ابن خلدون، ج6،ص360.

[4] عبد الواحد المراكشي،المعجب،ص146.

[5] ابن خلدون،العبر، ج6،ص372.

[6] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ج4،ص270.

تعتبر الحركة التمردية التي قادها بنو غانية لاستعادة حكم دولة المرابطين من أخطر ما واجهته الدولة الموحدية في منطقة المغرب الإسلامي،حيث استطاع بنو غانية من السيطرة على بجاية سنة 580هـ/1184م[1]،وشن الهجمات منها على ممتلكات الموحدين.وبعد انهزامهم أمام الجيوش الموحدية[2]،عادوا مرة أخرى منطلقين من موطنهم جزر البليار،ليستولوا على تونس والمهدية وبلاد الجريد،فساق الخليفة الموحدي الناصر جيشا كبيرا بقيادة أحد أولاد أبي حفص الهنتاتين هو أبو سعيد عثمان،فاستطاع هذا القائد الهنتاتي أن يهزم جيش عبد الله بن غانية ويقتله،ثم الاستيلاء على جزر البليار الثلاث:ميورقة،و منورقة، ويابسة في سنة 599هـ/1202م[3]،ثم تتبع الناصر قوات ابن غانية المتواجدة بإفريقية،فاستطاع يحيى بن غانية الهروب إلى قفصة،فلحق أحد قادته، وهو أبو مُحَّد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص،فهزمه وأجبره على الفرار،فكانت هذه المعركة سببا في ارتفاع مكانة أولاد الشيخ ابن أبي حفص عند الخليفة الموحدي وبالأخص أبي مُحَّد عبد الواحد ،الذي كافأه على إخلاصه وتفانيه بأن عيّنه واليا على إفريقية،واستمر في ولايته حتى توفي سنة618هـ/1221م[4]،فصار ولده أبو زيد واليا واليا مكانه،ولكن ما إن علم الخليفة الموحدي المستنصر بولايته،ومنعا لاستقلال الحفصيين عن سلطته،طلب منه ومن إخوته المجيء إليه بمراكش،ثم عيّن واليا مكانه[5].

ولما تولى الخليفة الموحدي العادل الحُكم،رأى أن الأقدر على بسط الأمن بإفريقية و إخماد الثورات بها هم الحفصيون، فعيّن أبا مُحَّد عبد الله بن أبي مُحَّد عبد الواحد الحفصي سنة623م واليا عليها،فبدأ الوالي الحفصي بتعيين إخوته في المناصب المهمة[6]،ثم واجه ثورة

---

[1] عبد الواحد المراكشي،المعجب،ص195.

[2] ابن خلدون،العبر، ج6،صص 254،255،256،257.

[3] عبد الواحد المراكشي،المعجب،صص 231،232.

[4]أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تحقيق:مُحَّد الشاذلي النيفر،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس،سنة 1968، صص 104،105.

[5] ينظر أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن الشّماع،الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تحقيق: الطاهر بن مُحَّد المعموري،الدار العربية للكتاب،تونس ،سنة 1984، ص 53.ابن خلدون،العبر، ج6،ص377.

[6] الزركشي،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،ص 21.

ابن غانية التي اجتاحت معظم مدن المغرب الأوسط،فطاردهم و حرر كل المناطق التي سيطروا عليها،و أنهى تمردهم[1].

و بفضل هذا الانتصار الباهر الذي حققه أبو مُحَّد عبد الله،صارت قوته السياسية تتزايد،إلا أنّ أخاه أبو زكرياء بن أبي مُحَّد عبد الواحد بن أبي حفص خالفه،و قام بمبايعة أبي العلاء الذي تسمى بالمأمون واستحوذ على الخلافة بمراكش بدلا من أخذ البيعة للخليفة الشرعي، فأراد أبو مُحَّد مواجهة أخيه المتمرد ولكن عسكره تخلى عنه و انضم إلى أبي زكرياء الذي دخل تونس سنة 625هـ،ثم أعلن استقلاله عن الخلافة الموحدية،وتلقب بالأمير،وبويع من شيوخ الموحدين سنة 626هـ.وبهذه الخطوة،أعلن قيام دولة بني حفص،فشرع في توسيع سلطته من جهة الغرب،فاستولى على قسنطينة و بجاية، وخلع من تولاها من الموحدين، ونصب عليهما ولاة من قبله.و لتأكيد سلطانه،جدد بيعته للمرة الثانية سنة634[2]،وقد خرج سنة 632هـ في حملة عسكرية كبيرة سعى من خلالها إلى بسط سلطته في جميع المغرب الأوسط فدخلت تلمسان تحت سيطرته سنة 639هـ،وعند عودته إلى عاصمته تونس جعل ولده الأمير أبا يحيى زكرياء حاكما على بجاية[3].

وبايع أهل الأندلس أبا زكرياء ،وصاروا يخطبون الخطبة باسمه، وبذلك أصبح أقوى شخصية في العدوتين المغربية والأندلسية،حتى وافته المنية سنة 646هـ/1250هـ.فتولى مكانه ولده أبو مُحَّد عبد الله الملقب بالمستنصر الذي تلقب بالخليفة وبأمير المؤمنين،وقد بويع سنة 647هـ/1251هـ .،وقد وصلته بيعة شرفاء مكة والشام والأندلس،فصار بذلك وريثا للخلافة العباسية،وخلفه بعد وفاته ابنه المولى أبو زكريا يحيى وتلقب بالواثق[4]،ولكن خرج عليه عليه عمه أبو إسحاق إبراهيم، وتولى الخلافة مكانه[5]،إلاّ أنّ أبا عمارة المسيلي تمرد عليه و

---

[1] ينظر ابن خلدون،العبر، ج6،ص380.

[2] ينظر ابن القنفذ ،الفارسية،صص 107،108.ابن خلدون،العبر، ج6،ص 381.

[3] ابن خلدون،العبر، ج6،صص 383،391،392.

[4] الزركشي،تاريخ الدولتين،صص 31،32،33،40،41.

[5]ابن الشماع، الأدلة النورانية،ص75.

استولى على الحكم وقتله[1]،ففر ابنه أبو زكريا يحيى بن أبي إسحاق إلى تلمسان لاجئا عند يغمراسن[2]. وفي سنة 683هـ/1284م،استطاع أبو حفص عمر بن أبي زكريا الواثق من استعادة حكم أبيه والقضاء على أبي عمارة المسيلي[3]،وفي الوقت نفسه تمكن أبو زكريا يحيى بن أبي إسحاق من الاستيلاء على بجاية سنة 684هـ/1285م ، و إعلانه أميرا عليها، تلقّب المنتخب لإحياء دين الله، و استحوذ على المناطق المجاورة،أرسى دعائم الملك لنفسه ولأولاده في الناحية الغربية من الدولة الحفصية[4].وبناء على ذلك، صارت الدولة الحفصية دولتان،واحدة في الشرق وعاصمتها تونس،والأخرى في الغرب،وبالتحديد في الجهة الشرقية من المغرب الأوسط،وعاصمتها بجاية.

واغتنم الزيانيون هذا الانقسام،فقاموا بمحاصرة بجاية سنة686هـ/1287م،و جددوا لأبي حفص عمر بيعتهم[5].ولما تولى الحكم أبو عبد الله مُحَّد الثاني الملقب بأبي عصيدة[6] سنة 694هـ،قرر إرجاع الشطر الغربي إلى مملكته، وأيد بني مرين في حصارهم للزيانيين الذين بدورهم استنجدوا بصهرهم أبي زكريا الحفصي الذي لم يخيب ظنهم، وأعلنوا إلغاء ولائهم للحفصيين نهائيا[7].

وعليه،فإنهم بدأوا يحاولون توسيع نفوذهم وسيطرتهم على بجاية وقسنطينة والجزائر،وتمكنوا من حصار بجاية سنة 729هـ/1328م،في عهد السلطان الزياني أبي تاشفين

---

[1] مُحَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار افريقية والمغرب،مطبعة الدولة التونسية،تونس ،سنة 1286هـ،ط1،صص 131،132.

[2] ابن خلدون،العبر، ج6،ص445.

[3] الزركشي،تاريخ الدولتين،ص50.

[4] ابن خلدون،العبر، ج6،ص449.

[5] المصدر نفسه ،ج6،ص450.

[6] أبو عبد الله مُحَّد بن أبي عصيدة هو ابن المولى أبي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى أبي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص عمر،بويع سنة694هـ،دامت خلافته 14 سنة،توفي سنة 709هـ.ينظر ابن أبي دينار،المؤنس،ص133.

[7] ابن خلدون،العبر، ج7،ص122.

الثاني،والدخول إلى تونس سنة 730هـ،ولكن سرعان ما عادت عاصمة الحفصيين إليهم في السنة نفسها[1].

ولوقف مثل هذه الهجمات من الزيانيين عُقد اتفاق تحالف بين الحفصيين والمرينيين لمواجهة الخطر الزياني،وحاول الحفصيون في ظل هذه الاتفاقية توحيد دولتهم[2]، ولكن ما لبث أن خرج القسم من سيطرتهم وصار في قبضة المرنيين خلال الفترة الممتدة بين سنتي 754هـ-758هـ/1353-1358م [3].

وبحلول سنة772هـ/1370م تولى الحكم في الدولة الحفصية الأمير أبو العباس أحمد بن المستنصر،فقام بتوحيد مملكته بقسميها الشرقي والغربي[4]،وبعد وفاته خلفه ولده أبو فارس عبد العزيز سنة796هـ/1394م،وهو من أقوى سلاطين بني حفص و ألمعهم،حيث إنّه:"رتب الأحوال، وأعطى الأموال،وألف بين إخوته، وأخذ بالحزم في إمارته. "[5] ثم اختار الأصلح لتسيير دواليب دولته.فأراد توسيع مملكته،فاستطاع دخول تلمسان سنة827هـ/1424م،وعين أبا عبد الله مُحَّد حفيد أبي تاشفين أميرا عليها شرط أن يدين له بالولاء والطاعة[6].

وبعد وفاة السلطان أبي فارس،تولى الحكم بعده حفيده أبو عمرو عثمان سنة 839هـ/1453م، وقد طالت مدة حكمه أكثر من غيره من سلاطين بني حفص.وبوفاته سنة893هـ/1488م [7]توالى على حكم المملكة الحفصية ثلاثة سلاطين،إلى سنة 899هـ/.1494م ،تولى أبو عبد الله مُحَّد بن الحسن بن مُحَّد المسعود تسيير دولة بني حفص،وقد امتدت مدة هذا السلطان إلى 922هـ/1525م،وفي عهده بدأ الضعف

---

[1] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص218.ابن خلدون،العبر،ج6،صص 496،497.

[2] ابن خلدون،العبر،ج6،صص 497،498.

[3] ابن القنفذ ،الفارسية،ص170.ابن الشّماع،الدلائل النورانية،صص98.

[4] ابن الشمّاع،الدلائل النورانية،صص 108،109.

[5] ابن القنفذ ،الفارسية،ص189.

[6] الزركشي،تاريخ الدولتين،صص 125،126.

[7] ابن أبي دينار،المؤنس،صص 147،149.

والانحدار ينال من دولة بني حفص،بسبب المشاكل الداخلية والهجمات العدوانية التي كان يشنها الإسبان والبرتغال على سواحل المغرب الإسلامي[1].

و يتضح من خلال استعراض مراحل الدولة الحفصية أنّ القسم الغربي من مملكتها وهو جزء من المغرب الأوسط، كان في فترات ضمن سيطرتها وحكمها، وفترات أخرى إما تحت نفوذ سلطة حفصية منفصلة عن الدولة الأم أو في قبضة المرينيين أو الزيانيين.ويلاحظ أنّ حاضرة بجاية كانت مركزا له الثقل السياسي والثقافي والاقتصادي في الجزء الشرقي من المغرب الأوسط ،وكانت في فترات محددة عاصمة لدولة حفصية ثانية مستقلة عن التي في تونس. وتعتبر مكانا استقطب كثيرا من الأندلسيين المهاجرين خلال القرن السابع الهجري إلى العدوة المغربية كما أثبت ذلك الغبريني صاحب "عنوان الدراية"[2].فمن المهم استكشاف أهميتها الجغرافية والسياسية والاقتصادية من خلال ما كتبه الرحالة الجغرافيون أو ما دوّنه المؤرخون.

ب_أهمية مدينة بجاية جغرافيا و سياسيا واقتصاديا: المنطقة التي تقع فيها بجاية أسس فيها الفينيقيون مدينة اسمها "صَلدة"،ثم سكنها الرومانيون وصارت تُعرف عندهم بـ "صلداي""SALDAEA" ، وتعرضت للتخريب والاندثار، وقد كانت من أهم مدن نوميديا،و قد أقام بها أحد أباطرة الروم جالية رومانية،وكانت بها أسقفية إلى أواخر القرن الخامس الميلادي[3].

وفي العهد الإسلامي،وقبل أن يأتيها الحماديون ويؤسسوا فيها مدينتهم،لم يكن لها شأن إلا ما أشار إليه ابن حوقل في القرن الرابع الهجري أنّها كانت مرسى[4] دون تفصيل

---

[1] مُحَّد العروسي المطوي،السلطنة الحفصية،تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،سنة 1406هـ/1986،صص 641،647،648.

[2] أبو العباس أحمد بن أحمد الغُبريني،عُنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق:رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2،سنة 1981.

[3] ينظر عبد الحميد عويس،دولة بني حماد،صفحة رائعة من تاريخ الجزائر،دار الصحوة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،ط2،سنةه1411/1991م،ص 102.

[4] ابن حوقل ، صورة الأرض،ص77.

يُذكر،وقد أفاد عبد الرحمن بن خلدون أنّها موطن لقبيلة بربرية تُعرف ببجاية،ولهذا أطلق على مكانها هذا الاسم[1].

ولعل شهرتها بدأت بتأسيس خامس أمراء دولة بني حماد الناصر بن علناس مدينة جديدة بها سماها الناصرية سنة 460هـ،بسبب خراب القلعة التي كانت هي عاصمة الحماديين و أيضا للامتناع عن هجمات قبائل بني هلال العربية[2].

وتم اختيار هذا المكان لحصانته الطبيعية وقربه من البحر،فقد أوضح الإدريسي التضاريس البحرية الجبلية الصعبة والغنية بأنواع النباتات الطبية المفيدة التي تميز موقع هذه المدينة،فذكر أنّها:" على البحر لكنها على جرف حجر. ولها من جهة الشمال جبل يسمّى مسيون وهو جبل سامي العلو. صعب المرتقى. وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب... وغير ذلك من الحشائش. وفي هذا الجبل كثير من العقارب. صفر الألوان لكن ضررها قليل. "[3]واستنادا إلى هذا الوصف ،فالمدينة محصنة طبيعيا ومحمية جغرافيا.

و قد بيّن صاحب الاستبصار بدقة حصانة هذه المدينة و صعوبة اختراقها من الأعداء،فقال إنّها :" على ضفة البحر، والبحر يضرب فى سورها...ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في 3 جهات: في الشرق والغرب والجنوب. ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير، وطريق القبلة إلى قلعة حماد على عقاب وأوعار، وكذلك طريقها إلى الشرق. وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب، فلم يكن للعرب إليها سبيل، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها؛ فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر. " [4]وعليه،فإنّ الخطر الداهم الذي كان يهدد ملوك بني حماد هم القبائل العربية وهجماتهم المتكررة،ممّا نجم عنه بناء مدينة للحماديين بموقع بجاية كان بمثابة سد منيع أمام كل هجوم محتمل من هذه القبائل.

---

[1] ابن خلدون،العبر، ج6،ص232.

[2] ينظر ابن خلدون، ج6،ص27.ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج8،صص 202،203.أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،مصر،سنة 1423هـ، ج223،24.مؤلف مجهول،الاستبصار،ص128.

[3] الإدريسي،المغرب العربي،ص115

[4] مؤلف مجهول،الإستبصار،صص 129،130.

ثم نجد صاحب الاستبصار يُفصل أكثر في وصف الجبل الذي تقع عليه المدينة، و مبرزا كذلك حصانته ،فيقول:"وبجاية معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى مسيون ، وعليها سور عظيم، والبحر يضرب فيه. "[1] و في موضع آخر يصف هذا الجبل الذي تتموقع عليه المدينة، فيقول:" وهذا الجبل مسيون ، الذي فيه بجاية، جبل عظيم عال قد ذهب في الجو، وقد خرج في البحر، وفيه مياه سائحة، وعيون كثيرة وبساتين، وهو كثير القردة؛ ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب."[2]،وهكذا،فإنّ هذا الموقع الاستراتيجي لمدينة بجاية قد هيأ لمؤسسها الحمادي الناصر بن علناس بتعميرها بالقصور والمصانع والأسواق والمساجد حتى صارت مركزا ثقافيا واقتصاديا مهما و جاذبا للتجار والعلماء من كل الأقطار.

ولعل الأندلسيين هم أوّل من استقطبتهم بجاية ،فتوافدوا عليها فرادى و جماعات منذ وقت مبكر. فالبكري في القرن الخامس الهجري أكد على أنّها كانت عامرة بجماعات من الأندلسيين،و فيها مرسى تأتيه السفن محملة من الأندلس على الخصوص[3].

ووصفها الإدريسي في القرن السادس الهجري بالمدينة الكبيرة والعامر و المزدهرة اقتصاديا،فقال:" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة. وأهلها مياسير تجار. وبها من الصناعات والصُّناع ما ليس بكثير من البلاد. وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة. ولها بواد ومزارع. والحنطة والشعير بها موجودان كثيرا.والتين وكثير من سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد .وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي، لأن الخشب في أوديتها و جبالها كثير موجود. ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران .وبها معادن الحديد الطيب موجود وممكنة. وبها من الصناعات كلّ غريبة ولطيفة .وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب. وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلاً .ويجوزه من شاء في

[1] مؤلف مجهول،الإستبصار ،ص130.

[2] المصدر نفسه ،ص130.

[3] ينظر البكري،المغرب،ص82.

كل موضع...ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد." [1] و لهذا كانت طرق المواصلات والمسالك البرية تلتقي معها و تترابط عندها.

و يبدو،أنّ صاحب الاستبصار أكد استراتيجية هذه المدينة و ثرائها اقتصاديا و ازدهارها عمرانيا،وهو جغرافي من القرن السادس الهجري ،حيث وصفها بأنّها" مدينة عظيمة. "[2]ثم ذكر أنّ سلطانها صار :" في ملك شامخ وعز باذخ يضاهى في ملكه صاحب مصر. " [3] و شرع في ذكر صناعتها وزراعتها المزدهرة فقال:"فإن بجاية على نظر كبير وفائد عظيم... ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن...وهى مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين، وغيرها. ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات.وهى مشرفة، نزيهة، ومطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو 10 أميال، تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم. ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر، وله منتزه عظيم."[4]و من ثم ،نستطيع القول بأنّ بجاية قد صارت من أكبر و أهم حواضر المغرب الإسلامي و المغرب الأوسط بسبب مرساها المطلة على البحر و أراضيها العامرة بأنواع المحاصيل الزراعية والأنهار الجارية.

و قد تطرق صاحب الاستبصار إلى الناحية العمرانية للمدينة،فذكر قصورها الرائعة الجميلة وما تتمتع به من زخرفة و تصاميم،فقال:" وفى بجاية موضع يعرف باللؤلؤة، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر، متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء، ولا أنزه موضعا؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المحنية، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها؛ قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد، وقد كتبت فيها الكتابات

---

[1] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، ص116.

[2] مؤلف مجهول،الاستبصار ،ص128.

[3] المصدر نفسه،ص130

[4] المصدر نفسه ،ص 130.

المحسنة، وصورت فيها الصور الحسنة، فجاءت من أحسن القصور وأتمها منتزها وجمالا."[1]

ومثل هذا الثراء الهندسي،يؤكد بأنّ بجاية الحمادية كانت فعلا مدينة الأبهة والسلطان و مركز إشعاع ثقافي و حضاري يجذب إليه التجار والعلماء من كل الأقطار،إذ رغم سقوط الدولة الحمادية على يد الموحدين، واستيلاء عبد المؤمن علي مؤسس الدولة الموحدية عليها وضمها إلى مملكته،فإنّه اتخذها عاصمة لمنطقة المغرب الأوسط واختار لها أفضل الولاة.

و في القرن السابع الهجري،وفي العهد الحفصي ،حافظت مدينة بجاية على مكانتها الحضارية بين حواضر المغرب والمشرق،إذ كانت محط اهتمام الحفصيين حتى أنّ مؤسس دولتهم أبو زكريا نصّب ولده الأمير يحي زكريا واليا عليها، ثم صارت فيما بعد عاصمة لدولة حفصية مستقلة عن مملكة بني حفص بتونس،و قد سيطر على هذه المدينة المرينيون ولكن لفترات محدودة،وأيضا حاول الزيانيون الاستيلاء عليها فحاصروها عدة مرات،غير أنّ كل محاولاتهم باءت بالفشل.

و من العلماء الرحالة الذين عاصروا الحفصيين وزاروا بجاية نذكر منهم العبدري،حيث نجد له في رحلته وصفا لمدينة بجاية،ومتانة عمرانها، ونقدا لاذعا لحالة العلم بها،يتضمن حكما قاسيا على تدني العلم و قلته، وهو حكم يتناقض مع ما أوردها الغبريني في عنوان الدراية من كثرة العلماء بهذه المدينة،الذين اشتهروا بسعة المعرفة في جميع العلوم النقلية والعقلية .ولا بأس أن نورد،في هذا السياق، مشاهداته في هذه المدينة مع بعض التحفظ على رأيه في الحياة العلمية،فهو يصف بجاية بأنّها:"مبدأ الاتفاق والنّهاية،وهي مدينة كبيرة،حصينة شهيرة،برّية بحريّة،سنيّة سرية،وثيقة البنيان،عجيبة الإتقان،رفيعة المباني،غريبةُ المعاني... ولها جامع عجيب...من الجوامع المشهورة، الموصوفةالمذكورة...وهذا البلد بقَّية قواعد الإسلام،ومحلّة جلّة من الأعلام العُلماء؛وله مع حسن المنظر،طيبُ المخبر،ومع المرأى الرّائق المعنى الفائق...ولأهله من حسن الخَلق والأخلاق، ما أنبأ عن طيب الهواء والماء،والتُّربة والأعراق،؛غير أنّه قد اعتراهُ من الغِيَر،ما شمل في هذا الأوان البدوَ والحَضَر؛وقد غاض بحر العلم الذي كان به حتى عاد وشَلا،وعَفا رسْمُهُ حتّى صار طَلَلا؛وبه آحادٌ من طَلَبةِ العلم قد

[1] مؤلف مجهول،الإستبصار،ص130.

اقتصروا على مطالعة الصُّحف والدّفاتر،وسلكوا في طريق تصحيحِ الرّواية طريقًا لم يرضَه الأعلامُ الأكابر."[1]

و هناك رحالة آخر جاء في القرن العاشر الهجري،يؤكد وصفه أنّ هذه المدينة مازالت عامرة مزدهرة ثقافيا و اقتصاديا، وهو الحسن الوزان الذي يصف بجاية بأنّها ذات أسوار عالية متينة،و منازلها جميلة،وهي عامرة بالمساجد الجامعة والمدارس التعليمية التي تكتظ بالطلبة والأساتذة،وفيها عدد من الزوايا والحمامات،والفنادق والمستشفيات الكبيرة،ويحيط بها أشجار الثمار والبساتين،ولاحظ الوزان أيضا أنّ سكانها يتحلون بالطيبة و يميلون إلى عزف الموسيقى و الغناء و الرقص[2].

و عليه، فإنّ بجاية عرفت أزهى عصورها في عهد الدولة الحمادية بصفتها عاصمة و مركزا سياسيا و اقتصاديا وثقافيا لهذه الدولة،ولكن لا يعني هذا أنّ شُعلة الازدهار الحضاري،خصوصا الثقافي منه،قد انطفأت في العصور التالية،بل شهدت هذه المدينة في العهدين الموحدي والحفصي نشاطا علميا كبيرا و ظهر فيها علماء كبار تركوا ثروة علمية ضخمة في مختلف المجالات.ولعل من أسباب ذلك توافد جاليات أندلسية إليها،لتستوطنها وتواصل النهضة العلمية التي امتازت بها الأندلس قبل سقوطهاالكارثيّ.

ثانيا: الواقع السياسي للأندلس:

قبل تبيّن العوامل الدافعة لظاهرة الهجرة الأندلسية وتحديد مراحلها ، يجب أن نستكشف طبيعة البلد الذي سكنه الأندلسيون،و ظروفه السياسية المحيطة به،خصوصا في فترة بروز موجات الهجرة من الأندلس إلى غيرها من الأقطار مغربا أو مشرقا.

والملاحظ أنّه خلال القرن السابع الهجري وانتهاء بالقرن العاشر الهجري أنّ بلاد الأندلس مرت في أوضاعها السياسية بمرحلتين مفصليتين،مرحلة اجتياح الممالك المسيحية للمدن الأندلسية واستيلائها عليها وتحويلها إلى مدن نصرانية تعيش فيها أقلية مسلمة مضطهدة ومهددة بالانمحاء،ومرحلة تأسيس إمارة غرناطة في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية

---

[1] أبو عبد الله محمّد بن سعود العبدري،رحلة العبدري،علي إبراهيم كردي،دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،سنة 1426هـ/2005م،ص83.

[2] الحسن الوزان،وصف إفريقيا،ج2،صص 50،51.

بزعامة أسرة بني الأحمر التي بقيت الملاذ الوحيد للأندلسيين الذين مازالوا يحاولون البقاء بوطنهم الأندلس.واستنادا إلى ذلك، سأحاول تسليط الضوء على هاتين المرحلتين اللتين تشكلان بداية النهاية للوجود الإسلامي في بلاد الأندلس.

1_ العدوان النصراني الإسباني على مدن الأندلس:

خلال القرن السابع الهجري،أصبحت بلاد الأندلس في مهب الريح،بسبب تضعضع قوة الموحدين وانحسار قوتهم، خصوصا بعد الضربة القاصمة التي تلقتها الدولة الموحدية في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م،والتي وصفها لسان الدين بن الخطيب بأنّها:"كانت على المسلمين الهزيمةُ الكبرى المنسوبة إلى العقاب."[1] وبذلك فَقَد الأندلسيون الدولة التي كانت حامية لهم،مدافعة عنهم من الخطر المتزايد من الشمال،حيث الممالك النصرانية التي بدأت تخطط لابتلاع كل المدن الأندلسية تحت شعار "الاسترداد"،وقد استمرت حملاتها العدوانية حتى لم يبق من الأندلس إلا إمارة صغيرة في الجنوب تنتظر مصيرها.وقد نتج عن هذا نزوحا جماعيا للأندلسيين داخل بلادهم و خارجها.ولهذا من الضروري تتبع مصير المدن الأندلسية الهامة بعد هذه الحملات النصرانية الإسبانية.

كان من نتائج هزيمة العقاب المشؤومة و ضعف الخلفاء الأمويين وتنازعهم سقوط العديد من المدن الأندلسية،إذ سقطت حاضرة قرطبة في سنة 633هـ/1236م[2]،وبعدها استولى النصارى الإسبان على حاضرة إشبيلية سنة646هـ/1248م[3]،وفي الناحية الشرقية من الأندلس استولى النصارى الإسبان على جزيرة ميورقة سنة 627هـ/1230م[4]،و فيما يخص جزيرة يابسة،صغرى الجزائر الثلاث،فقد سقطت بعد جزيرة ميورقة بسنوات قليلة[5]،وأما

---

[1] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص270.

[2] ينظر عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ج4،ص 424.

[3] المقري ، نفح الطيب،ج4،ص 472.

[4] أبو مطرف أحمد بن عميرة المخزومي،تاريخ ميروقة،تحقيق:محمّد بن معمر،منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا،جامعة وهران،الجزائر،منشورات دار الأديب،وهران،الجزائر،سنة 2006مـ،صص 57،122. الحميري،الروض المعطار،ص568.

[5] ينظر الحجي،التاريخ الأندلسي،ص471.

جزيرة منورقة فكان سقوطها سنة 686هـ/1287م[1].والمصير نفسه لاقته مدنٌ أندلسية أخرى،مثل مدينة بلنسية سنة636هـ/1237م[2]، ومدينة مرسية سنة 664هـ [3]،وكذلك جزيرة شقر ومدينة شاطبة[4].

وبذلك صارت كل المدن الأندلسية في قبضة الممالك المسيحية،ولم يبق لمسلمي الأندلس إلا إمارة غرناطة التي تأسست فيها دولة بني الأحمر،وصارت القاعدة الأخيرة للمسلمين في الجزيرة الأندلسية،فصار صراعها مع العدوان النصراني الإسباني صراع وجود لا حدود،وسقوطها معناه نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس وبالتالي ضياع هذه البقعة من العالم الإسلامي وغروب شمس الحضارة الإسلامية هناك.ولذلك،لابد في هذا المقام من تسليط الضوء على تأسيس إمارة غرناطة و مراحل نشوئها وتطورها، ثم ظروف سقوطها ونتائج ذلك على بلاد الأندلس.

2_ دولة بني الأحمر النصرية و سقوط الأندلس: استطاع الإسبان النصارى وبمساعدة من الدول النصرانية وبتحالفهم فيما بينهم الاستيلاء على معظم المدن الأندلسية وضمها إلى ممتلكاتهم و اتباع سياسة إفراغها من سكانها المسلمين،بدفعهم إلى الهجرة إمّا إلى الخارج وبالتحديد إلى العدوة المغربية،أو حشرهم في المنطقة الجنوبية من الأندلس،حيث تأسست هناك،إمارة صغيرة مازالت متمسكة بالبقاء بوطنها الأندلسي،و مانحة بصيصا من الأمل لاستعادة المدن الأندلسية الواقعة في قبضة النصارى الإسبان، تُعرف هذه الإمارة تاريخيا بالدولة النصرية أو دولة بني الأحمر.

وهذه الإمارة قد جعلت من مدينة غرناطة عاصمة لها،و قد مرت بمراحل في تأسيسها ثم في قوتها ثم في سقوطها وطرد أمرائها من بلاد الأندلس،وكانت نهايتها نهاية للتواجد الإسلامي في الجزيرة الإيبيرية، والذي دام قرونا وأنشأ حضارة زاخرة يانعة.

---

[1] ينظر ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص276،277.

[2] محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي،الحلة السيراء،تحقيق: حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط2،سنة 1985،،ج2،ص127.

[3] ينظر ابن عذارى،البيان المغرب،قسم الموحدين،ص432.الحجي،التاريخ الأندلسي،ص481. وعند ابن خلدون الاستيلاء على مرسية كان سنة 665هـ.ينظر ابن خلدون،العبر،ج4،ص219.

[4] المقري،نفح الطيب،ج4،ص472.

وقد نتج عن ذلك وقوع سكان الأندلس من المسلمين بين التهجير القسري و التعذيب الوحشي و التمسيح الإجباري.وعليه،فمن الضروري استعراض نشأة إمارة بني الأحمر و كيفية سقوطها والنتائج المترتبة عن ذلك،لأنّ هذا الأمر يجلّي ظاهرة الهجرة من الأندلس خلال القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين.

أ_ تأسيس دولة بني الأحمر النصرية:

بعد انهزام الدولة الموحدية في معركة العقاب،استقل ولاة الموحدين بالأندلس المعروفين بالسادة بنواحي الأندلس،وحدث بينهم نزاع واستعانوا بالنصارى الإسبان ضد بعضهم بعضا،ووصل بهم الأمر إلى تسليم حصون المسلمين إليه،فأجمع رجالات الأندلس وأعقاب العرب على طردهم من الأندلس[1]،فأعلنوا عليهم ثورة بزعامة مُحَمَّد بن يوسف بن هود الجذامي ،فنجح في ثورته،وخضعت له الَمرية ثم سيطر على غرناطة ومالقة سنة 625هـ، و تملك إشبيلية والجزيرة الخضراء سنة629هـ[2]. ،وتغلب على شرق الأندلس كلها،و دعا للخليفة العباسي المستنصر[3].

وفي هذه الأثناء ظهر مُحَمَّد بن يوسف بن نصر،المعروف بالشيخ[4]،وبابن الأحمر[5]،منافسا لمحمد بن يوسف بن هود الجذامي ،وأعلن الثورة ضده. وتجدر الإشارة إلى أنّه ينتمي إلى أسرة تُنسب إلى الصحابي الجليل سعد بن عُبادة الخزرجي سيد الأنصار ﵁[6]،ويُعرف أفرادها ببني نصر،وأصلهم من أرجونة من حصون قرطبة،ولهم سلف كانوا يعملون في الجيش الأندلسي جنودا وقادة[7].

---

1 المقري،نفح الطيب، ج1،ص446.

2 لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص. 279،289

3 ابن خلدون،العبر، ج4،ص214.

4 المقري،نفح الطيب، ج1،ص447.

5 ابن خلدون،العبر، ج4،ص214.

6 أبو عبد الله مُحَمَّد لسان الدين بن الخطيب،اللمحة البدرية في الدولة النصرية،تحقيق:مُحَمَّد مسعود جبران،دار المدار الإسلامي،ليبيا،ط1،سنة2009، ص 57.

7 ابن خلدون،العبر، ج4،ص218.

و مُحَمَّد بن يوسف بن نصر الذي كان كبير بني نصر ورئيسهم حينما أعلن ابن هود الجذامي ثورته على الموحدين بالأندلس وإعلانه انفصاله عنهم و تبعيته للخلافة العباسية،فتصدى مُحَمَّد بن يوسف له،وبويع سنة 629هـ،ودعا لأبي زكرياء الحفصي صاحب إفريقية،وخضعت له جيّان وشريش سنة 630هـ،وحدثت بينه وبين ابن هود نزاعات فاضطر في أول الأمر الدخول في طاعته،فتمكن ابن هود من السيطرة على غرناطة،ثم ما لبثت هذه المدينة أن تملكها ابن الأحمر سنة 635هـ باتفاق مع أهلها،ثم واجه ابن هود و أولاده حروبا و ضربات قاصمة أضعفتهم،فكان آخر أمرائهم الواثق بن المتوكل الذي تعرض للتضييق الشديد من فرديناند الثالث ممّا دفعه هذا إلى الدخول في طاعة ابن الأحمر الذي بعث إليه قائدا اسمه ابن اشقيلولة،فسلمه مرسية وخطب لابن الأحمر بها،وحين قفول قائد ابن الأحمر إلى أميره بغرناطة،لقيه النصارى و قتلوه،فرجع الواثق إلى مرسية وبقي فيها حتى استولى عليها الإسبان سنة 668هـ،فعوضه ابن الأحمر بدلا منها حصنا من حصونها يُطلق عليه يسر،فاستمر فيه حتى مات،وبذلك انقرضت دولة ابن هود[1].

وفي خضم هذا الصراع المحتدم بين ابن هود وابن الأحمر وتعاونهما مع المماليك المسيحية ضد بعضهما ضاعت قاعدتا الأندلس قرطبة وإشبيلية،و تقهقر مُحَمَّد بن يوسف الخزرجي إلى جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية لاجئا بمسلمي الأندلس النازحين من مدنهم الضائعة إلى سيف البحر متحصنين بأوعاره و متمسكين بمعاقله وحصونه،واختار ابن الأحمر مدينة غرناطة عاصمة مملكته و دولته[2] المعروفة بدولة بني الأحمر النصرية،وقد تمكنت هذه الدولة الأندلسية المسلمة من الصمود و الثبات في المقاومة أمام العدوان النصراني الإسباني القوي مدة قرنين ونصف،وصارت الملجأ الوحيد لكل مسلمي الأندلس الذين هُجّروا من مدنهم و طردوا منها،فصارت أندلسا صغرى،وقد شهدت ازدهارا حضاريا وأحداثا سياسية وعسكرية كان لها أثرها على الوجود الإسلامي ببلاد الأندلس[3].

---

[1] ينظر المقري،نفح الطيب،ج1،ص447.

[2] السلاوي،الاستقصا،ج3،صص 37،38.

[3] مُحَمَّد عبده حتامله،الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة،دراسة شاملة،مطابع الدستور التجارية،عمان،الأردن،سنة1420هـ/ 2000م،ص561.

ب_ مراحل تطور دولة بني الأحمر النصرية وسقوطها:

وبذلك تأسست دولة بني الأحمر بزعامة أول ملوكها **محمد بن يوسف**،كانت ولادته سنة 591هـ[1]،وقد عرّفه ابن الخطيب في اللمحة البدرية بقوله:"أمير المسلمين أبو عبد الله بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري سلطان الأندلس،ودائلها،وجذم الأُمراء النصريين بها،يلقب بالغالب بالله.نشأ بأرجونة من كنبانية قرطبة،أطيب البلاد مَدَرة و أوفرها غلّة في ظل نعمة وعلاج فلاحة،وبين يدي نجدة وشهرة،بحيث اقتضى ذلك أن نبض له شريان طلب الملك،وانطوت أفكاره على تأميل الأمر والرياسة،ورآه مرتادو أكفاء الدول أهلاً؛فقدحوا رغبته،وأثاروا طمعه."[2] وقد دخل مدينة غرناطة في شهر رمضان سنة 635هـ بدعوة من ابن خالد ،وقد كان مقيما بجيان،وقد بعث إليها جماعة من أهل غرناطة ببيعتهم إليه مع رجلين من مشيختهم[3]؛ وقد عقد صلحا طويل الأمد مع الممالك النصرانية ،بعد أن أوقع بها هزيمة بالقرب من حصن بليّلُش،وذلك في سنة 643هـ/1245هـ[4].

و يبدو أنّ علاقات دولة ابن الأحمر مع المماليك النصرانية كانت تصطبغ بالصبغة الحربية،مع استثناءات تقتضيها الضرورة،فيلتجئ الطرفين إلى عقد اتفاقات ومعاهدات هدنة وسلم،وقد كانت سياسة الشيخ محمد بن يوسف مؤسس الدولة النصرية تقوم على عدم الصدام مع جيوش الممالك النصرانية،حتى عندما يحقق نصرا عليهم.وهذا ما حدث عندما تمكن من صد الفونس العاشر ملك قشتالة عن غرناطة بمساندة من المرينيين،ولكنه تنازل للملك النصراني عن بعض الحصون والنواحي.وهذا الأمر دفع الفونس العاشر إلى معاودة الهجوم مرة أخرى،فاستنجد ابن الأحمر بالسلطان المريني أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[5].

---

[1] لسان الدين بن الخطيب،اللمحة البدرية،ص73.

[2] المصدر نفسه،ص67.

[3] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة،مج2،ص98.

[4] لسان الدين بن الخطيب،اللمحة،ص73.

[5] ينظر محمد عبده حتامله،الأندلس،ص564.

وفي عهد مُحَّد بن يوسف الشيخ سقطت إشبيلية سنة 642هـ/1244م،دون أن يبادر لنجدتها،لعله آثر العناية بتنظيم مملكته الصغيرة و عدم تعريضها للمخاطر،و من منجزاتها العمرانية التي تنسب له بناء قصر الحمراء الذي يعد من أبرز المعالم العمرانية الأندلسية العربية الإسلامية الرائعة[1].

وكانت وفاته سنة 671هـ/1272م[2]،وذلك حينما كان راجعا إلى مملكته بعدما قاد حملة ضد أصهاره بني أشقيلولة الذين جعلهم ولاة على وادي آش،وكانوا يسعون إلى السيطرة على غرناطة فتحالفوا مع ملك قشتالة الفونس العاشر،و شرعوا في الإغارة على تخومها ،فتمكنوا من الاستيلاء على بعض المواقع[3].

وخلف مُحَّد بن يوسف ابنه **أبو عبد الله مُحَّد الثاني الفقيه بن مُحَّد الأول بن يوسف**،و كانت ولادته بغرناطة سنة 633هـ،و تولى الإمارة بعد وفاة والده سنة 671هـ/1273م[4].،وقد ذكر لسان الدين بن الخطيب أنّه كان يتصف بـ:"براعة الخط،وحسن التوقيع،إيثار العلماء،و الأطباء،والحكماءَ، والكتاب، والشعراء،وقَرْض الأبيات الحسنة،وكثرة المُلَح،وحرارة النَّادرة."[5] وقد بدأ منذ صغره في طلب العلم وتحصيله،لذلك عُرف بالفقيه[6].

و في بداية عهده ظهرت الفتن واضطربت الأوضاع و كثر الثوار والمتمردون على دولته،فواجه ذلك كما قال ابن الخطيب في اللمحة البدرية بثبات. فهو"رابط الجأش،ثابت المركز،وبذل من الاحتيال والدهاء المكنوفين بجميل الصبر ما أظفره بخلو جوه،وطال عمره،وبعُد صيته،واشتهر في الآفاق ذكره،وعظمت غزواته." [7]. وقد اتبع بعد توليه شؤون الدولة النصرية سياسة أبيه في عدم مواجهة ملك قشتالة و مهادنته،ولكن مالبث أن حدث نزاع داخلي في مملكة قشتالة النصرانية،فوجدها فرصة ليطلب العون من السلطان المريني

[1] ينظر شبارو،الأندلس،ص280.
[2] ينظر لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة،مج2،ص100.
[3] ينظر مُحَّد عبده حتامله،الأندلس،ص564.
[4] ابن الخطيب،اللمحة البدرية،ص83.
[5] ابن الخطيب،الإحاطة،مج1،ص557.
[6] ينظر مُحَّد عبده حتامله،الأندلس،ص565.
[7] ابن الخطيب،اللمحة البدرية،ص76.

يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور،ويتحالف معه على دحر خطر الممالك المسيحية على مملكته[1].

قام السلطان المريني بأربع حملات عسكرية في بلاد الأندلس مجاهدا ورادعا للعدوان النصراني الإسباني؛ففي الحملة الأولى حقق نصرا كبيرا بالقرب من إستجة سنة 674هـ/1275م[2].،وفي الحملة الثانية قام بحصار اشبيلية وقرطبة سنة 676هـ/1277م[3].،ثم أعاد غزو بلاد الأندلس فهاجم قرطبة للمرة الثانية و طليلطة في الحملة الثالثة سنة 681هـ/1282م[4]،وفي الحملة الرابعة سنة 684هـ/1285م شن هجوما على كثير من مناطق الأندلس وأوقع بالإسبان خسائر كبيرة ، فخضع ملك قشتالة للسلطان المريني طالبا الصلح قابلا برفع الضرائب عن المسلمين وعدم العدوان عليهم[5]؛وقد أعطى هذا الواقع الجديد سندا قويا لمملكة غرناطة في مقاومته للممالك المسيحية خصوصا مملكة قشتالة[6].

ويعتبر السلطان محمد الفقيه هو المؤسس الثاني لدولة بني الأحمر[7]،فهو الذي "وضع ألقاب خدمتها،وقدّر مراتبها...وأقام رسوم الملك فيها،واستدر جبايتها،مستظهرا على ذلك بسعة الذرع،وأصالة السياسة،ورصانة العقل...ووفور الدهاء، وطول الحنكة."[8] ووافته المنية سنة701هـ/1301م[9].

وقد أثمرت الحملات المرينية المتتابعة في مساندة الدولة النصرية بغرناطة بعض الانتصارات على الممالك المسيحية،وقد ظهرت بين أفراد أسرة بني الأحمر صراعات داخلية على السلطة،مثلما حدث للأمير **أبي عبد الله محمد المخلوع بن محمد الثاني**(701هـ-

---

[1] شبارو،الأندلس،ص284.

[2] ينظر ابن الخطيب،الإحاطة،مج4،ص359.المقري،ج1،449. محمد عبده حتامله،الأندلس،ص575.

[3] السلاوي،الاستقصا،ط،ج3،صص 45،46.

[4] المصدر نفسه،ج3،صص 55،56.

[5] المصدر نفسه،ج3،صص62،63.

[6] شبارو،الاندلس،ص284.

[7] محمد عبده حتامله،الأندلس،ص570.

[8] ابن الخطيب،اللمحة البدرية،ص75.

[9] ابن الخطيب،الإحاطة،مج1،ص566.

708هـ/1302م-1309) حيث ثار عليه أحد أقاربه وهو أبو الحجاج بن نصر فانتصر عليه،ثم تمردت عليه بعض من رعيته، وقامت طائفة من وجهاء الدولة بمناصرة أخيه **أبي الجيوش نصر**،وقاموا بخلعه في سنة708هـ/1308م،متهمين إياه بالخضوع لملك قشتالة و عجزه عن تسيير شؤون الدولة لضعف بصره[1].

فتولى الحكم بعده أخاه **نصر بن مُحَّد الثاني** الملقب بأبي الجيوش(708هـ-713هـ/1308م-1354م)[2] وفي عهده استطاعت الدولة النصرية من إلحاق الهزيمة بملك بملك قشتالة فرناندو الرابع حينما أرسل جنده لحصار جبل طارق و مدينة الَمَريّة بمساندة من ملك أرجون خايمي رغم وجود معاهدة تحالف والصداقة القائمة بينه وبين أمير غرناطة،وقد حقق جيش الدولة النصرية بقيادة عثمان بن أبي العلاء نصرا ضد جند أراغون،ورُفع الحصار عن مدينة ألمرية،ونجت من خطر السقوط،ولكن شدد النصارى الحصار حول ثغر جبل طارق رغم هزيمتهم، سنة 709هـ/1310م، ثم تمكنوا من السيطرة عليه[3].

وبعد إرغام السلطان أبي الجيوش على التنازل،تولى الحكم بعده **إسماعيل أبو الوليد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف**(713هـ-725هـ/1314م-1325م).و كان هذا السلطان حازما،فنشر الأمن والاستقرار و جدد عهد الجهاد،وقد تعرضت دولته لتهديد كبير و خطير من القشتاليين الذين زحفوا على مملكته،بجيش كثير العدد بسبب انضمام كثير من أمراء قشتالة معهم وأيضا من المتطوعين الإنجليز،فأخذ زحفهم هذا طابع الحملات الصليبية؛وقد طلب السلطان إسماعيل النصري مساعدة المرينيين ولكنهم رفضوا بسبب عدم تلبية أبي الوليد لبعض مطالبهم،فماكان من الجيش الإسلامي إلا أن قرر مواجهة جيش النصارى الضخم رغم أن عدد المسلمين لا يتجاوز ستة آلاف،فوقعت المعركة سنة 718هـ/1318م قرب مدينة غرناطة،وحقق الجيش الدولة النصرية بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء نصرا حاسما باهرا شبيه بموقعتي الزَّلاَّقة والأرك[4].

---

[1] ابن الخطيب،اللمحة البدرية،صص92،93.

[2] ينظر مُحَّد عبده حتامله،الأندلس،ص573.

[3] ينظر ابن الخطيب،اللمحة البدرية،ص 101.عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج5،ص115.

[4] ينظرعبد الرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي، صص 541،542.

وقد ذكر هذه المعركة الكبيرة لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة فقال:" ثم صرفت المطامع عزمه إلى الحضرة، فقصد مَرْجها، وكفّ الله عاديته، وقمَعَه، ونصر الإسلام عليه، ودالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على بريد منها؛ واستولى على محلّته النّهب، وعلى فرسانه ورجاله القتل، وعظم الفتح، وبهرَ الصنع وطار الذكر، وثاب السَّعد. وكانت الوقيعة سادس جمادى الأولى من عام تسعة عشر وسبعمائة."[1] وهكذا،فإنّ هذه الموقعة كانت نصراً مشهوداً أحيا من جديد معارك المسلمين الفاصلة في التاريخ. ويلاحظ أنّ هذا الانتصار الكبير يعود بالدرجة الأولى إلى الجند المغاربة وإلى شيوخهم بنى العلاء الذين تولوا قيادة الجيوش الأندلسية، فى ذلك العصر[2].

وقد تعرض السلطان أبو الوليد إسماعيل سنة 725هـ/1325م للاغتيال ،فخلفه ابنه **أبو عبد الله مُحَّد الرابع بن إسماعيل الأول**(725هـ-733هـ/1325م-1333م) الذي تمكن من استعادة جبل طارق من القشتاليين بمساندة من بني مرين سنة 733هـ/1333م،ولكنه اغتيل هو أيضا،فخلفه أخوه **أبو الحجاج يوسف الأول بن أبي الوليد إسماعيل**(733هـ-755هـ/1333-1354م) [3]،الذي كان من أعظم ملوك بني الأحمر،عالي الهمة شاعرا عالما معتنيا بنشر العلوم والفنون،وهو الذي زاد في قصر الحمراء منشآت عديدة،وفي عهده ظهر لسان الدين بن الخطيب في وظائف الدولة العليا في مكان أبيه ثم تولى الوزارة سنة 749هـ[4]،وفي عهد السلطان يوسف الأول حدثت معركة بحرية سنة740هـ عُرفت بـ"وقعة طريف"لوقوعها بالقرب من طريف،بين أمراء من قشتالة و أرغون والبرتغال،ومباركة من البابا،وبين الأندلسيين والمرينيين،وقد انتهت بهزيمة المسلمين.ولقد استمر عدوان مملكة قشتالة على المناطق الأندلسية،إلا أن صلحا انعقد بين سلطان الدولة النصرية

[1] ابن الخطيب،الإحاطة،مج1،ص389.

[2] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج5،ص118.

[3] ابن الخطيب،اللمحة البدرية، صص 112،114،116،118،122،127.

[4] عبد الله عنان،دولة الإسلام،ج،صص 125،126.

وملك أراغون، فاستتب الأمن وازدهرت إمارة غرناطة في عهد أبي الحجاج يوسف الأول الذي تعرض لعملية اغتيال سنة 755هـ/1354هـ[1].

وتولى الحكم بعده ابنه **مُحَمَّد الخامس الغني بالله بن يوسف الأول بن إسماعيل**(755هـ-793هـ/1354م-1391م)[2] الذي نجد أخباره مفصلة في كتاب"اللمحة البدرية في الدولة النصرية" وكتاب"الإحاطة في أخبار غرناطة"لوزيره المقرب إليه لسان الدين بن الخطيب[3] الذي ذكر سلطانه بقوله:"هذا السلطان مشتمل على خلال وأوصاف قلّ أن تجتمع في سواه:من حسن الصورة،واعتدال الخلق،والعراقة في الخير،وسلامة الصدر،وصحة العقد،وشمول الطهارة."[4] و قد ارتبط ازدهار مملكة غرناطة بعهده[5] .

ويبدو أنّ الوزير لسان بن الخطيب كان له مكانة مرموقة عند السلطان الغني بالله،حتى أطلق عليه لقب ذي الرياستين(القلم والسيف)،كما عُرف بوصف ذي العمرين لانكبابه على التأليف في الليل و تصريف شؤون الدولة النصرية في النهار،بحيث استطاع وهو وزير للسطان الغني بالله أن يؤلف ستين كتابا[6]،

ويعتبر أبو عبد الله مُحَمَّد لسان الدين بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب مؤرخ مملكة غرناطة و من أبرز كتاب الأندلس وشعرائها،وهذا المفكر البارع،قد شغل اهتمام العلماء والكُتاب في ذلك العصر[7]،إذ خصص له المقري كتابا كبيرا موسوعيا والمسمى ب"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" ، يتحدث فيه عن عبقرية ابن الخطيب في النثر والشعر و في مختلف العلوم والفنون،ووصفه بقوله:" هو الوزير، الشهير الكبير، لسان الدين الطائر الصّيت في المغرب والمشرق ... المثلُ المضروب في

[1] ينظر ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص 305،306.المقري،نفح الطيب،ج1،ص452.الحجي،التاريخ الأندلسي،صص543،549.

[2] ابن الخطيب،اللمحة البدرية،138.العامري،تاريخ بلد الأندلس،ص228.

[3] ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص306.

[4] ابن الخطيب،اللمحة البدرية،ص138.

[5] شبارو،الأندلس،ص285.

[6] ينظر مُحَمَّد عبده حتامله،الأندلس،ص584.

[7] ينظر عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج5،ص139.

الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته تخبُر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير، عَلَمُ الرؤساء الأعلام، الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والأقلام، وغَنَيَ بمشهور ذكره عن مسطور التعريف والإعلام، واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والأحلام."[1] و قال عنه عبد الرحمن ابن خلدون:" وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر، والمعارف والأدب، لا يساجل مَدَاه، ولا يُهتُدى فيها بمثل هُدَاه."[2]وكانت ولادته في لوشة من أعمال غرناطة في سنة713هـ/1313م،تنوعت معارفه فدرس اللغة والأدب والفلسفة والطب،وبرع في النظم والنثر،ودخل في خدمة الدولة النصرية منذ حداثته،فتقلد منصب الكتابة في عهد السلطان أبي الحجاج،ثم صار في خدمة ولده مُحَمَّد ،فنال ثقته و وولاه الوزارة،وقد أوفده بعد مدة قليلة من توليته إلى السلطان أبي عنان المريني بالمغرب سنة755هـ،يطلب مساعدته في صد عدوان ملك قشتالة،و ليعمق،في الوقت نفسه، صلات المودة والصداقة بينهما،فاستقبله السلطان المريني أحسن استقبال[3].

دامت مدة حكم السلطان مُحَمَّد الخامس أربع وثلاثين سنة،انقسمت إلى مرحلتين،الأولى من سنة 755هـ/1354م إلى سنة760هـ1359م،والثانية بدأت من سنة763هـ/1362م وتنتهي إلى سنة793هـ/1391م،وتفصل بين المرحلتين ثلاث سنوات(760هـ-763هـ/1359م-1362م) حكم فيها أخوه إسماعيل بن يوسف.وهذا ما دفع مُحَمَّد الخامس إلى اللجوء مع وزيره ابن الخطيب إلى فاس بالمغرب الأقصى،وطلب الحماية والمساعدة من السلطان أبي سالم إبراهيم المريني،فرحب بهما وأكرم وفادتهما[4].

ويظهر أنّ مُحَمَّد الخامس و وزيره ابن الخطيب استطاعا العودة إلى غرناطة سنة763هـ/1362م،بفضل مساندة السلطان أبي سالم إبراهيم المريني لهما،من جهة،وملك قشتالة من جهة أخرى،وقد حظي ابن الخطيب بمكانة عالية في بلاط مُحَمَّد الخامس،بحيث

[1] المقري،نفح الطيب،ج5،ص 7.

[2] ابن خلدون، رحلة ابن خلدون،عارضها بأصولها وعلّق على حواشيها مُحَمَّد بن تاويت الطنجي،دار الكتاب الحديث،القاهرة،الكويت،الجزائر،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2،سنة 2005،ص**135**.

[3] ينظر ابن خلدون،العبر،ج7،صص 440،441. المقري،نفح الطيب،ج5،ص7. عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج5،ص139.

[4] ينظر ابن الخطيب،اللمحة البدرية،ص147.السلاوي،الاستقصا،ج4،ص 9. شبارو،الأندلس،ص285.

صار له اليد الطولى في تسيير شؤون المملكة،وتحققت له نجاحات في سياسته وإدارته للدولة،و ظهر له منافسون وحساد ،وعلى رأسهم معاونه الأقرب الشاعر أبو عبد الله بن زمرك الذي أفسد علاقته مع السلطان مُحَّد الخامس،فاضطر ابن الخطيب إلى مغادرة غرناطة باتجاه السلطان المريني عبد العزيز سنة 773هـ/1371م،وطالب سلطان الدولة النصرية من سلطان المرينيين تسليم ابن الخطيب إليه ولكنه رفض.ولما مات السلطان عبد العزيز المريني قامت الحرب بين بني حفص وبني الأحمر بسبب ابن الخطيب،فكان النصر لصاحب غرناطة،وانعقد الصلح بين الطرفين وكان من شروطه تسليم ابن الخطيب الذي قُبض عليه وتعرض للتعذيب و مصادرة أمواله،ثم قُتل و أُحرق في سجنه سنة 776هـ/1374م[1].

ويمثل عصر مُحَّد الخامس عصر ازدهار شامل في كل مناحي الحياة ،حتى أنّ المؤرخين يرونه شبيها بعصر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، و تطورت فيه بإمارة غرناطة الصناعة والزراعة و تطور تصنيع الأسلحة والصوف و الجلود والأدوية والخزف،كما نشطت التجارة،وصارت غرناطة مستودع التراث الأندلسي،كما شهد الأدب نهضة كبيرة بفضل بروز العديد من الأدباء والشعراء وعلى رأسهم الوزير لسان الدين بن الخطيب[2]،فقد عرفت الدولة النصرية في عهد السلطان مُحَّد الخامس فترة ذهبية تتسم بالرخاء والرفاهية والرقي الحضاري الذي لم تعرفه الأمة الأندلسية منذ عهود[3].

وبعد انقضاء عهد مُحَّد الخامس عرفت غرناطة مرحلة جديدة من المنازعات والصراعات الداخلية أفضت بالدولة النصرية إلى الضعف، ثم السقوط ونهاية الوجود الإسلامي ببلاد الأندلس.و الملاحظ أنّ الأمراء الذين أعقبوا مُحَّد الخامس ، قد تباينت قدرتهم بين القوة والضعف[4].وقد وصف المقري حال الدولة النصرية في مرحلة ضعفها بقوله:"ثمَّ إن بني الأحمر ملوك الأندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد وجلاد في

[1] ينظرابن خلدون،العبر، ج7،صص452،453،454. مُحَّد عبده حتامله،الأندلس،صص587،589.
[2] ينظر مُحَّد عبده حتامله،الأندلس،ص590.
[3] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ج5،ص149.
[4] ينظر الحجي،التاريخ الأندلسي،ص549.

غالب أوقاتهم، ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتَهم الهرمُ الذي يلحق الدول ."[1] وبعد وفاة الغني بالله تولى حكم الدولة مُحَّد السادس بن يوسف المستعين بالله،وكان من أقوياء حكام غرناطة،وكان عنيفا جريئا طموحا شجاعا، وأميرا موهوبا،شن عدة هجمات على مدن مملكة قشتالة،والدخول في معارك مع أمرائها،وفي الوقت نفسه كان يعقد معهم معاهدات الهدنة إذا اقتضت الضرورة[2].

وبعد وفاة السلطان مُحَّد السادس جاء بعده يوسف الثالث سنة 810هـ/1407م،ثم خلفه مُحَّد السابع سنة 820هـ/1417م،وقد طالت مدة حكمه،وقد اعتمد في حكمه على بني سراج،وهم من أسرة عربية عريقة،وقد كانوا يتولون الوزارة وكان لهم نفوذ كبير في الدولة النصرية،ثم ظهر الضعف على مملكة غرناطة ،واستمر هذا الحال في عهد سعيد بن إسماعيل الذي تولى الإمارة سنة858هـ/1454م[3]،و ازدادت أوضاع دولة بني الأحمر تدهورا خصوصا في عهد أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الأحمري الذي انشطرت فيه الدولة إلى دويلتين،فرغم محاولاته للقضاء على الاضطرابات بداخل مملكته،إلاّ أن أخاه عبد الله مُحَّد بن سعد المعروف بـ"الزغل"تمرد عليه بمعونة من ملك قشتالة،فانفرد بحكم مالقة[4].

وفي هذه الأثناء،وقع حدث سيكون له تأثيراته السلبية على الدولة النصرية ،وهو اتحاد مملكتي قشتالة وأراغون في عام884هـ/1479م بسبب الزواج الذي انعقد بين فراندة أو فريناند الخامس ملك أراغون وايزابيلا ملكة قشتالة في سنة874هـ،فبعد هذه الوحدة بين المملكتين المسيحيتين شرعا في المفاوضات مع السلطان أبي الحسن علي،حيث طلبا منه

---

[1] المقري،نفح الطيب، ج4،ص511.

[2] ينظر مُحَّد عبده حتامله،الأندلس،صص590،591.

[3] ينظر شبارو ،الأندلس،ص288.

[4] ينظر مؤلف مجهول ،نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب،ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني،مكتبة الثقافة الدينية،مصر ،ط1،سنة 1423هـ/2002م،ص 2.المقري،نفح الطيب، ج4،ص511.

شروطا ثقيلة،رفضها الأمير الغرناطي،فشرعت المملكتان في الهجوم على نواحي غرناطة ومحاولة الاستيلاء عليها،ولكنهما لقيا مقاومة قوية من الجيش الأندلسي الغرناطي[1].

وفي هذه الظروف ظهر دور عائشة"الحرة" زوجة أبي الحسن الغالب بالله و ابنة عمه أبي عبد الله الأيسر ،وقد أنجبت له ولدين أحدهما أبو عبد الله مُحَمَّد المعروف بابن الحرة،وقد احتدم الصراع بينها وبين ضرتها الاسبانية ثريا التي كان لها ولدان من السلطان أبي الحسن،وكانت مقربة عنده مقدمة على غيرها ،لا يرد لها طلبا، و كلتهما كانتا تطمحان ليكونا أحد ولديهما الوريث لتولي حُكم الدولة النصرية ،ويبدو أن عائشة خافت أن الكفة قد تميل لمنافستها الاسبانية وولديها،فحدث بسبب ذلك خلاف و تعصب شديد بين أنصار عائشة وأولادها،وأنصار الإسبانية وأولادها ،لذلك،اغتنمت أم أبي عبد الله ابن الحرة خروج السلطان الغالب بالله للدفاع عن أحد حصونه،فانقلب عليه أنصار عائشة ونصبوا ولدها أبا عبد الله مُحَمَّد حاكما سنة 887هـ/1482م،ففر أبو الحسن إلى أخيه الزغل في مالقة،ولكن سرعان ما وقع ابن الحرة أسيرا لدى النصارى الإسبان أثناء حصاره لإحدى القلاع سنة 888هـ/1483م،فقامت عائشة بدعوة زوجها أبي الحسن إلى تسلم الحكم بغرناطة، ولكنه تنازل عنه لأخيه الزغل سنة 890هـ/1485م،فتمكنت عائشة من تحرير ولدها أبي عبد الله من الأسر بمبلغ كبير،ثم قاد ثورة ضد عمه فانتصر عليه و دفعه إلى العودة إلى مالقة[2].

وفي هذه الأثناء اغتنم ملك قشتالة هذه الصراعات الداخلية،فقام بالسيطرة على لوشة سنة 891هـ/1486م، ثم استولى على حصن بلش،و على مالقة بعد أن حاصرها سنة 892هـ/1487م،وقد خرج أميرها الزغل بعد مقاومته الشديدة من الأندلس إلى العدوة المغربية لاجئا.و لم يبق إلا غرناطة تنتظر نهايتها المحتومة،فقد أخذت المدن والحصون تتساقط[3]،و أُضرب حصار شديد على مدينة غرناطة من قبل جيوش ملكة قشتالة ايزبيلا

---

[1] ينظر خليل إبراهيم السامرائي ،عبد الواحد ذنون طه،ناطق صالح مطلوب،تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان،ط1،سنة 2000،ص300.

[2] ينظر مؤلف مجهول،نبذة العصر،صص 5،6،10،12،13. المقري،نفح الطيب،ج4، ص 512،514،515.

[3] ينظر مؤلف مجهول،نبذة العصر،صص25،28،22،24. المقري،نفح الطيب،صص 517،519،520،522،524.

وملك أراغون فرديناند،وقد بقي الحصار مستمرا طيلة شهر،أظهر فيه أبو عبد الله مُحَمَّد وجنوده شجاعة وبطولة وثباتا،ولكن زاد ضغط الحصار على أهل غرناطة مما اضطر أبو عبد الله وقادته إلى تسليم المدينة،فأوكل إلى وزيره أبي القاسم عبد الملك القيام بالمفاوضات التي انتهت بالتوقيع على معاهدة تتضمن بنودها تسليم غرناطة و إطلاق الأسرى، وتأمين المسلمين وترك لهم الحرية في الانتقال إلى المغرب،و أن يخرج ابن الحرة من قصر الحمراء ليذهب حيث يريد[1]،وكان التوقيع و التسليم بين أبي عبد الله مُحَمَّد و ملكيْ قشتالة في 21 محرم897هـ/25 نوفمبر 1492م[2].

و دخل ملكيْ قشتالة الملكة ايزبيلا والملك فرديناند سنة 897هـ/1492م غرناطة قاصدين قصر الحمراء،ليعلنا انتصارهما ،وبالمقابل غادر أبو عبد الله مُحَمَّد ليتخذ من البشرات المطلة على غرناطة مقرا له،وقد رأى من فوق هذا المكان قصره الحمراء وقد علته الصلبان و أعلام النصارى الإسبان،فبكى ملكه الضائع، و أطلق زفرته الأخيرة،فقالت له أمه مقولتها المشهورة "أجل فلتبك كالنساء، ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال"[3]،فأخذ المكان الذي شهد هذا المشهد الحزين اسم: "زفرة العربي الأخيرة"[4]، ثم أمر ملكيْ قشتالة أبا عبد الله مُحَمَّد بالخروج من بلاد الأندلس، فرحل إلى العدوة المغربية،واستقر في مدينة فاس[5].

وهكذا، تغرب شمس الأندلس المسلمة الزاخرة بأنوار الحضارة والعلوم والفنون وبالمساجد العامرة والقصور الأندلسية وأخلاق التسامح ، لتحل محلها إسبانيا النصرانية التي مارست كل صنوف التعذيب والإكراه و أقامت محاكم التفتيش المخزية، و أجبرت مسلمي الأندلس على التهجير القسري و التمسيح الإجباري و التعذيب الوحشي.وأمام هذا الوضع،سنسعى في الفصل الثاني إلى تتبع مراحل الهجرة الأندلسية وعواملها.

---

1 ينظر مؤلف مجهول،نبذة العصر،ص39،40،41،42.شبارو،الأندلس،ص291.

2 ينظر الحجي،التاريخ الأندلس،ص552.

3 عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج5،ص257.

4 المرجع نفسه،ج5،ص257.

5 ينظر مؤلف مجهول،نبذة العصر،ص43.

الفصل الثاني

مراحل الهجرة الأندلسية وعواملها

أولا- مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط

1- الهجرة الأندلسية ما قبل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس

2- الهجرة الأندلسية ما بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس

ثانيا- عوامل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط

1 _ العامل السياسي

2_ العامل الجغرافي و الاقتصادي

أولا: مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط:

مما لا شك فيه، أنّ العلاقة التي تربط الأندلس ببلاد المغرب كانت وثيقة و عميقة و متعددة المجالات منذ الفتح الإسلامي و مرورا بجميع العصور التاريخية اللاحقة.ومن ثم،لا يمكن حصر الهجرة الأندلسية في فترة زمنية معينة ومحدودة،لأنّ الهجرة الأندلسية إلى العدوة المغربية كانت حاضرة في مختلف الفترات التاريخية بأعداد قليلة أو كثيرة.

و من ثم،يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الهجرة الأندلسية إلى مرحلتين أساسيتين:مرحلة ما قبل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس،ومرحلة ما بعد سقوطها،على اعتبار أنّ انهيار الخلافة الأموية وتفككها هو المؤثر الأول في تغيّر مسار الهجرات الأندلسية و طبيعتها ،لأنّه بزوال سلطة الأمويين و أفول شمس خلافتهم انتقلت بلاد الأندلس من القوة إلى الضعف، ومن الوحدة إلى التفرق،ومن دولة مركزية متماسكة ذات هيبة و بأس إلى دويلات متقاتلة أطمعت النصارى الإسبان في اكتساح المدن الأندلسية،فكان هذا الأمر بداية للهجرات القسرية الجماعية للأندلسيين فرارا من الصراعات الدموية لملوك الطوائف و من خطر الغزو النصراني الإسباني.

ولذلك، ارتأيت تقسيم الهجرات الأندلسية إلى مرحلتين أساسيتين:المرحلة الأولى تبدأ من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة الأموية،والمرحلة الثانية تكون بدايتها ما بعد سقوط الخلافة الأموية،وهذه المرحلة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين فرعيتين:مرحلة ماقبل سقوط غرناطة،و مرحلة ما بعد سقوط غرناطة،ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها التي تميّزها عن غيرها.

1_الهجرة الأندلسية ما قبل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس:

بدأ الحضور الأندلسي في المغرب الأوسط في وقت مبكر، ويتجلى ذلك من خلال توافد عدد من الجالية الأندلسية على هذا الإقليم ،و إسهامها في تشييد المدن وتعميرها و تجديدها منذ القرن الثالث الهجري، و هذا أكده الرحالة الجغرافي البكري حينما سجّل تواجد عدد من الأندلسيين الذين استوطنوا بعض المدن الساحلية بالمغرب الأوسط،و أسهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية والعمرانية ،وقد وصفهم البكري بـ "البحريين من أهل الأندلس" و بـ"الأندلسيين"[1].

[1] البكري،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،صص61،65،69،70.

ويلاحظ أنّ استقرار الأندلسيين بداية من منتصف القرن الثالث الهجري على طول السواحل المغربية زاد من عمق وقوة ترابط الصلات بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية[1]،وقد ظهر ذلك واضحا في قيام بعض الأندلسيين من سكان "البيرة" و"تدمير" بتشييد مدينة تنس سنة 262هـ/876م، واشتهر منهم الكركوني وأبو عائشة والصقر و صهيب وغيرهم[2].و بالقرب من هذه المدينة تقع مدينة بني جليداسن يسكنها:"الأندلسيون و القرويون"[3].

في حين وصف البكري بجاية في عصره بأنّها:" مدينة أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس."[4] وذكر الجغرافيون الرحالة أنّ مدينة مرسى الدجاج الواقعة بساحل المغرب الأوسط و المحاطة بالبحر من ثلاث جهات ،ولها مرفأ ضيق،يسكنها الأندلسيون الذين ساهموا في إعادة النشاط التجاري لمرساها[5]،و أيضا كان للمهاجرين الأندلسيين دور في تأسيس مدينة وهران و تعميرها،وذلك في سنة 290هـ/903م[6]. " وبداية من ذلك التاريخ صار لمدينة وهران علاقات متينة مع العدوة الأندلسية،إذ كانت بحكم موقعها الجغرافي "تقابل مدينة المرية من ساحل بحر الأندلس"...كما كان لمينائها دور هام في الاتصالات والمبادلات بين ضفتي البحر المتوسط." [7] وهكذا كان للموقع الجغرافي لمدينة وهران القريب من سواحل العدوة الأندلسية دور بارز في توثيق الروابط الثقافية والحضارية بين الأندلسيين والمغاربة.

و في أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي برزت في مدينة المسيلة و تحت ظل الدولة الفاطمية أسرة بني حمدون الأندلسية التي ترأست إمارة قوية سياسيا و مزدهرة حضاريا

---

[1] ينظر ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر،العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ص 128.

[2] البكري،المغرب،ص61.

[3] المصدر نفسه ،ص69.

[4] المصدر نفسه ،ص82.

[5] ينظر شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،لبنان،ط2،سنة1997، ج5،ص 106.

[6] البكري،المغرب،ص 70.

[7] عبد القادر بوباية،الروابط الثقافية والعلمية بين وهران و العدوة الأندلسية،إنسانيات،المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية،وهران،عدد مزدوج 23 _ 24،جانفي _ جوان 2004،مجلد 1 _2،صص61،62

و كانت ذا طابع أندلسي في عمرانها و حياتها الثقافية ،وهذا بفضل تواجد العديد من الأسر الأندلسية الوافدة على حاضرة المسيلة[1].و فضلا عن ذلك، استحوذت جماعات من الأندلسيين على عدد من المدن الساحلية بالمغرب الأوسط،مثل مدينة بونة و مرسى فروخ، و سيطرت كذلك على التجارة بها[2].

إضافة إلى ذلك،فقداستعان الرستميون بشخصيات أندلسية زاد نفوذها في دولتهم، بحيث أصبحت من الأعضاء البارزين في مجلس الشورى للدولة الرستمية،و من أشهر هذه الشخصيات الوافدة من الأندلس:عمران بن مروان الأندلسي،ومسعود الأندلسي.وقد تطور التعاون الأموي الرستمي إلى التبادل التجاري،حيث كانت السفن المحملة بالبضائع وبالعلماء والمسافرين تتردد بين المراسي الأندلسية والمغربية.ولعل هذا التقارب الرستمي الأموي كان من العوامل التي رسخت الحضور الأندلسي في المغرب الأوسط[3].

ويبدو أنّ علاقة الأندلسيين بالمغرب الأوسط تعمقت أكثر حينما شرعت الخلافة الأموية بالأندلس في استمالة القبائل البربرية إليها لمواجهة مخططات الدولة الفاطمية[4]،وعملت على على بناء قاعدة أندلسية أمامية في منطقة المغرب الإسلامي لوقف التوسع الفاطمي و مطامعه في العدوة الأندلسية،و ذلك عن طريق تأسيس قواعد لها على طول شواطئ المغرب الإسلامي خصوصا في المغرب الأوسط [5].

ولابد أن نشير إلى أنّه في مرحلة ما قبل سقوط الدولة الأموية لم تكن الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب فحسب،بل كانت أيضا من العدوة المغربية إلى العدوة الأندلسية،فبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وبالأخص في عصر الولاة وقعت هجرة جماعية و بأعداد غفيرة من القبائل

---

1 ابن خلدون،العبر، ج4،صص 107،108.

2 عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب،صص 101،102.

3 عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية،صص 96،100.

4 ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر،العهد العثماني، ص127.

5 ينظر عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1.ص174.

العربية والمغربية إلى الأندلس لتستوطنها و تؤسس وحدة بشرية و إدارية وثيقة الصلة ببلاد المغرب.[1]

ويبدو أنّ هجرة المغاربة إلى بلاد الأندلس ،لم تنقطع ،و تواصلت دونما توقف[2].وفي هذا الصدد يقول المقري:"وتسامع الناس من أهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق."[3] و كذلك وقعت هجرة أخرى للمغاربة البربر إلى بلاد الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر الذي استجلبهم لمآرب سياسية،إذ استعان بهم في تثبيت سلطانه[4]،وقد ذكر ذلك ابن خلدون،فقال:"...ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع إلى الجند فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتّب منهم جندا واصطنع أولياء، وعرّف عرفاء من صنهاجة ومغراوة، وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم ... وقدّم رجال البرابرة زناتة، وأخّر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر."[5] وقد اقتفى ابنه عبد الملك الاستراتيجية نفسها في استجلاب البربر والاعتماد عليهم[6].

وبسبب هذه الهجرة المعاكسة للقبائل البربرية، و توافد عدد كبير منهم إلى بلاد الأندلس و تزايد نفوذهم السياسي استطاعوا تأسيس دويلات خاصة بهم بعد سقوط الخلافة الأموية ،وصاروا العنصر الثاني بعد العرب في التركيبة السكانية للمجتمع الأندلسي ،والقوة الفاعلة والمؤثرة في الأوضاع السياسية بالجزيرة الأندلسية[7].ويبدو أنّ الهجرات إلى بلاد الأندلس لم تنقطع، كما أنّ الأندلسيين لم يتوقفوا عن الارتحال إلى بلاد المغرب.

---

1 ينظر خليل إبراهيم الكبيسي،هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي،مجلة المجمع العلمي العراقي،العراق،المجلد الرابع والأربعون، . الجزء الثالث،سنة 1418هـ/ 1997م،ص 133.

2 ينظر عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية،ص39.

3 المقري،نفح الطيب، ج1،ص259.

4 محمد رزوق،الأندلسيون وهجراتهم،خلال القرنين، 16 _17، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب،ط3،سنة 1998،ص 24.

5 ابن خلدون،العبر، ج4،ص189.

6 ينظر محمد رزوق،الأندلسيون وهجراتهم،ص32.

7 ينظر محمد رزوق،الأندلسيون وهجراتهم ،ص 24.عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ج2،ص121.

ويلاحظ في فترة قيام الخلافة الأموية في الأندلس ،أنّه لم تكن الهجرة الأندلسية بمجموعات كبيرة أو من جميع فئات المجتمع الأندلسي،و بطريقة قسرية،وإنما كانت هجرة طبيعية فردية و اختيارية.ولعل ذلك يعود إلى الاستقرار الذي تميزت به دولة بني أمية في الأندلس[1]،حيث وصلت الزراعة إلى أعلى المراتب،وتطورت الصناعة والتجارة .ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادي،تطور العلوم وكثرة المؤلفات،ممّا حوّل الأندلس في عهد الأمويين إلى مركز إشعاع حضاري و ازدهار ثقافي واقتصادي يجذب إليه الوافدين من المشرق والمغرب[2].وعليه،فإنّ الهجرة الأندلسية في فترة الخلافة الأموية كانت هجرة طبيعية و اختيارية و بأعداد قليلة وفردية.

ومن ثم،فإنّ الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة لم تكن وليدة اضطراب الأوضاع السياسية بالأندلس و وقوع مدن أندلسية بيد النصارى الإسبان،و مظهرا من مظاهر اللجوء السياسي،و إنّما كانت نتيجة للوحدة الجغرافية والحضارية التي تربط بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية ،على اعتبار أن هاتين العدوتين منطقة جغرافية وثقافية و اقتصادية تتوحد في الدين واللغة والمصير. ولذلك،فإنّ الأندلسيين كانوا يرون أنّ ساحل المغرب الأوسط مكان مهم للثراء الاقتصادي و التبادل التجاري و الاستقرار المعيشي.وبناء على ذلك،يبدو أنّ الهجرة الأندلسية في هذا الوقت المبكر كان دافعها الأكبر تحقيق مصالح سياسية و اقتصادية بالدرجة الأولى.

2_ الهجرة الأندلسية ما بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس: تتفرع هذه المرحلة إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل سقوط غرناطة، و مرحلة ما بعد سقوطها:

أ_ مرحلة ما قبل سقوط غرناطة:

تخللت هذه المرحلة ظهور عدة دول كان لها دور مهم في تغيير الخريطة السياسية لمنطقة المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس،كما أنّها تعاملت بإيجابية مع ظاهرة الهجرة الأندلسية إلى العدوة المغربية،وهذا العامل شجع على استقطابهم. ولأجل ذلك،فإنّه من الأجدر أن نتناول سير الهجرات الأندلسية في ظل هذه الدول المغربية ذات الأصول البربرية والقبلية،و أولها دولة المرابطين اللمتونية

[1] ينظر خليل إبراهيم الكبيسي،هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي،ص 134.

[2] ينظر علي أحمد،الأندلسيون في بلاد الشام،من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا،سنة 2008،ص34.

الصنهاجية، وثانيها دولة الموحدين،ثم الدويلات الثلاث الإقليمية، التي تقاسمت أقاليم المغرب الإسلامي، وهي دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وعاصمتها مدينة فاس، ودولة الزيانيين بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان،و دولة بني حفص بالمغرب الأدني وعاصمتها تونس.و الملاحظ أنّ الهجرات الأندلسية في هذه المرحلة أصبحت ظاهرة اجتماعية ملموسة[1]،وكانت تتم بفتراتها المختلفة في شكل مجموعات صغيرة أو كبيرة، ولذلك أطلق عليها ابن خلدون اسم "الجاليات"[2] التي تتحرك في تنقلاتها إلى أمكنة مختلفة و أزمنة متغايرة[3].و يبدو أنّه في هذه المرحلة قد تزايد تيار الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب بسبب سقوط خلافة قرطبة و اشتداد الضغط النصراني[4]،وهذا ما سنوضحه فيما يلي:

ـ في العهد المرابطي:

يبدو أنّ الحضور الأندلسي قد ترسخ وجوده أكثر في المغرب الأوسط بعد أن قامت الدولة المرابطية ثم الدولة الموحدوية بضم أقاليم بلاد الأندلس إلى ممتلكاتها بالمغرب الإسلامي[5].وهذا الأمر جعلهما دولتين مغربيتين أندلسيتين،ففي عهدهما اختفت الحدود بين العدوة المغربية و الأندلسية،ونتج عن ذلك تدفق جماعات من الأندلسيين إلى المدن المغربية،ممّا أدى إلى تطور الحضارة المغربية والأندلسية،فمنذ عصور الدولة المرابطية تحوّل المغرب بفضل الجاليات الأندلسية المهاجرة إلى مستودع للإنتاج الحضاري الأندلسي،بل كان الأمراء المرابطون والموحدون أنفسهم متأثرين بحضارة الأندلس،وكانوا يجمعون حولهم الأندلسيين من العلماء والأدباء و يضمونهم في مجالسهم العلمية[6]،فكانت سياسة ضم الأندلس إلى بلاد المغرب سياسيا في العهد المرابطي والموحدي ذات أثر كبير في تنشيط الهجرة الأندلسية إلى نواحي بلاد المغرب.

---

1 خليل إبراهيم الكبيسي،هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي،ص135.

2 ينظر ابن خلدون،العبر،ج7،صص 106،141،519.

3 روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 م،ترجمة: حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،سنة 1988، ج2،ص 159.

4 حسين مؤنس،تمهيد المحقق،ضمن وثائق المرابطين والموحدين، عبد الواحد المراكشي، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر،ط1 ،1997،صص 200،201.

5 ناصر الدين سعيدوني،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،ص127.

6 ينظر حسين مؤنس،تمهيد المحقق،ضمن وثائق المرابطين والموحدين، عبد الواحد المراكشي ،صص201،202،203.

غير أنّ ما زاد من أعداد المهاجرين الأندلسيين إلى العدوة المغربية في مرحلة ما بعد سقوط الخلافة الأموية، و حوّل الهجرة الأندلسية إلى وسيلة للجوء السياسي و البحث عن الأمان والاستقرار هو حدوث الاضطرابات السياسية ونشوء النزاعات العسكرية في بلاد الأندلس[1] ، وقد كانت بدايتها مع انهيار الخلافة الأموية بالأندلس في القرن الخامس الهجري، و بروز ما يسمى بملوك الطوائف وما تبع ذلك من احتدام الصراعات فيما بينهم مما أضعفهم و ساهم في تعاظم الخطر النصراني الإسباني،و جعل كثيرا من الأندلسيين يبحثون عن مكان آمن يلجأون إليه،فكانت العدوة المغربية قبلتهم .

ولعل أول حدثٍ فتح باب الهجرة الأندلسية إلى العدوة المغربية هو ما قام به ملك قشتالة ألفونسو السادس من الاستيلاء على مدينة طليطلة سنة 478هـ/ 1085م.والظاهر أنّ سقوط هذه المدينة الأندلسية الكبيرة هو بداية لشيوع عقلية انهزامية تدعو إلى التخلى عن أرض الأندلس والفرار إلى خارجها و اتخاذ سبيل الهجرة وسيلة لمواجهة الخطر الإسباني النصراني المتزايد. و قد عبر عن هذه العقلية الهروبية[2] المتخاذلة الشاعر الأندلسي عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن عسال،متحسرا على سقوط طليطلة:

يا أهلَ أندلسٍ حُثّوا مَطِيَّكُم فما المُقامُ بها إلاّ منَ الغلطِ
الثوبُ يُنسلُ من أطرافه وأرى ثوبَ الجزيرة منسولاً من الوسطِ
ونحنُ بينَ عَدُوٍّ لا يفارقنا كيفَ الحياة مع الحيّاتِ في سفطِ[3]

وأمام الخطر النصراني الإسباني قام بعض ملوك الطوائف كالمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس بطلب النجدة والمساعدة من الدولة المرابطية الحاملة لراية الجهاد و نصرة الاسلام[4].و فعلا، قاد المرابطون بقيادة أميرهم يوسف بن تاشفين جيشا كبيرا لإنقاذ لإنقاذ الاندلس من الغزو النصراني، و قد تحقق لهم النصر على الجيوش النصرانية بقيادة ألفونسو

[1] خليل إبراهيم الكبيسي،هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي،ص 136.

[2] ينظر مُحَّد طالبي،الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر،سنة 1975،العدد 26،ص 49.

[3] المقري،نفح الطيب،ج4، ص352.

[4] ينظر عبد الرحمن علي الحجي،التاريخ الأندلسي،صص397،398.

السادس في معركة الزلاقة سنة 479هـ/1144م .ويبدو أنّ أمراء الدولة المرابطية لم يكتفوا برد العدوان النصراني عن الجزيرة الأندلسية،بل أطاحوا بدويلات ملوك الطوائف،وضموا الأندلس إلى دولتهم،وقد كان هذا من أسباب هجرة أحد ملوك الأندلسيين من أبناء المعتصم بن صمادح صاحب مملكة ألمرية إلى المغرب الأوسط مع جماعة كبيرة من عائلته و حاشيته،وبالتحديد إلى بجاية عاصمة الدولة الحمادية.

وقد حدثت هذه الهجرة أثناء قيام الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين بحملته الثالثة إلى بلاد الأندلس سنة 483هـ ، ليقضي على دويلات ملوك الطوائف الضعيفة المتخاذلة،فبعد أن سيطر على غرناطة وأزال إمارتها، اتجه إلى مملكة ألمرية،وقام بمحاصرتها،ثم أوصى أمير ألمرية المعتصم بن صمادح قبل وفاته[1] ابنه معز الدولة أحمد،أنّه إذا علم بسقوط إمارة بني عباد بإشبيلية،أن يهاجر بجميع عائلته و أمواله عن طريق البحر إلى بجاية عاصمة الحماديين ،بسبب ماكان بين أمراء مملكة ألمرية ودولة بني حماد من علاقات متينة و طيبة.وفعلا بعد سقوط إشبيلية ووقوع أميرها المعتمد في الأسر في شهر رجب سنة 484هـ،نفذ معز الدولة وصية والده،و ركب البحر مغادرا ألمرية قبل أن يحاصرها المرابطون_ و ذلك في شهر رمضان سنة 484هـ/1091م_ قاصدا بجاية، فأكرم وفادته الأمير الحمادي المنصور بن علناس بن حماد الصنهاجي،و منحه كل الرعاية والعناية[2].

وقد زار معز الدولة بإقامته في بجاية الشاعر الأندلسي"ابن اللبانة"،فقال واصفا حاله وذاكرا مناقبه :" فإني رأيت منه خير من يجتمع به، كأنّه لم يخلقه الله تعالى إلا للملك والرياسة وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تنمُّ من تحت خموله كما ينم فِرِنْدُ السيف وكرمه من تحت الصدأ، مع حفظه لفنون الأدب والتواريخ وحسن استماعه وإسماعه، ورقة طباعه ولطافة ذهنه."[3] ومن

---

[1] فيما يخص سقوط ألمرية بيد المرابطين،هناك روايتان،الرواية الأولى تقول إنّ المعتصم بن صمادح كان حيا عند محاصرة ألمرية من المرابطين،ثم توفي بعد ذلك،و الرواية الثانية تقول أنّه مات قبل مجيء المرابطين إليها.وقد حكمها ولده معز الدولة بعده بضعة أشهر،ثم هرب إلى بجاية. ينظر ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2،صص 89،90.

[2] ينظر عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري ،مذكرات الأمير عبد الله،آخر ملوك بني زيري بغرناطة، المسماة بكتاب البيان،تحقيق: إليفي بروفنسال،دار المعارف،مصر، صص 167،168.محمّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر، ط4، 1417 هـ /1997 م،ج2،ص173.

[3] المقري،نفح الطيب،ج3،ص 368.

الواضح،أنّ مقولة ابن اللبانة في الثناء على هذا الأمير الأندلسي اللاجئ ببجاية الحماديين،قد توافقت مع ما كان يدور في تفكير الأمير الحمادي المنصور،فأنزله مدينة دلس[1] وجعله حاكما عليها وعلى ضواحيها[2].

و لقد صارت مدينة دلس في ولاية أمير أندلسي،وبفضل الأندلسيين الذين جاؤوا إليها بأعداد غفيرة[3]،غدت كما قال الإدريسي :" ديار منتزهات.وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ماليس يوجد بغيرها مثله.وبها الغنم والبقر موجودة كثيرة... ويخرج من أرضها إلى كثير الآفاق."[4] إذ أصبحت الفلاحة بها مزدهرة.إضافة إلى ذلك،فإنّ تواجد أمير أندلسي واليا على هذه المدينة مع أعداد من الأندلسيين، كان له الأثر العميق بما يحملونه من ثقافة وعادات أندلسية في سكان هذه المدينة من البربر وغيرهم[5].

و من ملوك الطوائف الذين هاجروا أيضا إلى المغرب الأوسط في العهد المرابطي مفضلين مدينة بجاية مقرا لهم،علي بن مجاهد العامري الذي بادر بالهروب من ابن الحاج قائد يوسف بن تاشفين المرابطي،متوجها إلى عاصمة الحماديين،فاستقبله الأمير الحمادي علي بن الناصر بن علناس بكل حفاوة و أكرمه[6].

وقد استمر المرابطون في دفاعهم عن الأندلس و رد الهجمات النصرانية،رغم أن هناك مناطق من الأندلس بدأت تضيع من الأندلسيين و تصير في سلطة النصارى الإسبان. وطبعا هذا الوضع السيء في الأندلس دفع بعض الأندلسيين باللجوء إلى منطقة المغرب الإسلامي.وقد

---

[1] ذكر عبد الله بن بلقين،آخر ملوك بني زيري بغرناطة في مذكراته أنّ المنصور الحمادي:"خيّره(معز الدولة) حيث يحب السكنى؛فاختار تدلس،لأنّها على البحر،وليغيب عن عين السلطان،خوفا من الطلب ."ينظر عبد الله بن بلقين،مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة ،ص 18.

[2] ينظر، ابن الأبار،الحلة السيراء، ج2،ص90. مُحَمَّد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983ص 147.

[3] ينظر مُحَمَّد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ،ص147.

[4] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، ص115.

[5] مُحَمَّد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،ص148.

[6] ابن خلدون،العبر، ج6،ص 248.

حدثت بعض الهجرات الأندلسية في العهد المرابطي،و خاصة بعد ظهور الضعف والتسيب والفوضى في الدولة المرابطية وتلقي الهزائم المتكررة في معاركها مع جيوش الممالك النصرانية.

ويبدو أنّ هناك هجرة أندلسية أخرى و بأعداد كبيرة كانت وجهتها عاصمة الحماديين بجاية، وذلك بسبب قضاء البربر على مدينتي الزهراء والزاهرة،وتشتت سكان قرطبة على الخصوص،فكان هذا دافعا إلى هجرة كثير من الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ،وبالأخص إلى مدينة بجاية[1].وكانت هذه المدينة من المغرب الأوسط هي الوجهة المفضلة للأندلسيين الهاربين من بلادهم بسبب الفوضى والعدوان النصراني.وممّا حفزهم للتوافد عليها موقعها على ساحل البحر المقابل لبلاد الأندلس،وأيضا لوجود جالية أندلسية سكنتها من قبل[2]،إضافة إلى أنّها صارت عاصمة سياسية واقتصادية للدولة الحمادية.

وقد وصف الإدريسي بجاية في القرن السادس الهجري بقوله:" مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد والسفن إليها مقلعة،وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برًا وبحرًا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة...وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء،وتجار المشرق."[3] ولهذا،فإنّ المهاجرين الأندلسيين إذا انتقلوا إلى المغرب الأوسط في العهد المرابطي ،فلن يجدوا أفضل من بجاية موطنا لهم يستقرون فيه،إذ كانت بالنسبة لهم ملجأ سياسيا مهما خصوصا في عهد الازدهار الحضاري الحمادي.وعموما كان لهم المغرب الأوسط المرفأ الذي يجدون فيه العناية و الترحاب،إذ كان المغرب الأقصى تابعا للمرابطين، وبنو زيري منشغلين في حماية دولتهم من خطر العرب والنورمان[4].

و الجدير بالذكر،أنّ الأحداث الخطيرة التي عرفتها الأندلس في ظل الدولة المرابطية من اعتداءات إسبانية متكررة،وتآمر الأندلسيين على سلطة المرابطين،و ضربات الموحدين المتتالية

---

[1] محمّد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،ص147.

[2] البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،ص 82.

[3] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،ص116.

[4] عبد الحليم عويس،دولة بني حماد،صفحة رائعة من تاريخ الجزائر،دار الصحوة للنشر والتوزيع،القاهر،مصر،ط2،سنة 1411هـ/1991م،ص 184.

للجيش المرابطي بالمغرب، كانت سببا قويا في سقوط الدولة المرابطية وانهيارها على يد الدولة الموحدية التي شهدت فيها وتيرة الهجرة الأندلسية تزايدا ملحوظا.

_في العهد الموحدي:

تم في عهد الدولة الموحدية توحيد كل منطقة المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس تحت حكم سلطة واحدة. ويبدو أنّ تحقيق هذا المشروع التوحيدي الموحدي بين العدوة الأندلسية و العدوة المغربية ساعد على دخول عدد من الأندلسيين الى المغرب الاسلامي و تسهيل حركة الهجرة والانتقال بين المدن الأندلسية والمغربية، وخصوصا أنّ الموحدين استعانوا بالدرجة الأولى في تنظيم دولتهم المترامية الأطرف وإدارتها بالخبرات الاندلسية .و هذا ما أكده ابن خلدون في مقدمته حيث ذكر أنّ المغرب الإسلامي: " انتقل إليه منذ دولة الموحّدين من الأندلس حظّ كبير من الحضارة، واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس وانتقل الكثير من أهلها إليهم طوعًا وكرهًا."[1] وبطبيعة الحال، كان لهذه السياسة الموحدية دور في تحفيز كثير من الأندلسيين للهجرة إلى ربوع المغرب الإسلامي،خصوصا حين اقترن هذا الأمر مع تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية في العدوة الأندلسية.

و هكذا،يكون الموحدون ،قد أعادوا الاطمئنان إلى نفوس الأندلسيين،بما أظهروه من قوة وصمود أمام عدوان الإسبان النصارى،بخاصة في انتصارهم الكبير في معركة الأرك سنة 591هـ/1195م،ولكن خابت الظنون فيهم،إذ بدأوا يفقدون قوتهم وسيطرتهم و هيبتهم،سواء في المغرب الإسلامي أو في بلاد الأندلس،وبالأخص بعد هزيمتهم الكارثية في معركة العقاب سنة 609هـ/1212مـ.وهذا ما جعل الأندلسيين يفقدون الأمل في البقاء ببلدهم و رد العدوان النصراني،فتسرب إليهم اليأس ،و تملّكتهم الهزيمة و الرغبة في الهجرة خارج الأندلس. و وصف أبو إسحاق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي الحالة النفسية التي أصابت الأندلسيين بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب في قوله:

[1] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة،التحقيق:عبد السلام الشدادي،خزانة ابن خلدون،بيت الفنون والعلوم والآداب،الدار البيضاء،ط1،سنة 2005،ج2،ص225.

وقائلـــــــــة أراكَ تُطِيــــــــــلُ فكـــــــــرًا كأنّـــــك وقفـــــت لــــــدى الحســـــابِ
فقلـــــــتُ لهـــــا أُفكـــــر في عقـــــابٍ غــــــدا ســـــببًا لمعركـــــة العقـــــابِ
فـمـــــا في أرض أنـــــــدلــــس مُـقـــامٌ وقـــد دخـَـلَ البَــلا مــتن كــلّ بـــابِ[1]

ونتيجة ما أصاب الموحدين من ضعف و هزائم،استطاع النصارى الإسبان الاستيلاء على الجهة الشرقية والغربية من الأندلس ،في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر ميلادي[2]،و تتابع سقوط كثير من المدن الأندلسية و على رأسها أكبر حواضر الأندلس وعاصمة الخلافة الأموية مدينة قرطبة التي ما إن دخلها ملك قشتالة بعد أن حاصرها حصارا شديدا سنة 633هـ/1236م حتى غادرها أهلها تاركين ديارهم و أوطانهم ،حاملين معهم أمتعتهم،مُودعين مدينتهم العزيزة،وقد أصابهم الحزن والجوع،و تفرقوا في نواحي الأندلس الأخرى[3].

و جاء بعد ذلك الدور على بلنسية التي سقطت سنة636هـ/1238م،وقد قام النصارى الإسبان بعد احتلالها بترحيل عشرات الآلاف من أهلها،وصل عددهم إلى خمسين ألفا،وصارت مساجدها كنائس[4]،و وقع على المسلمين أنواع من العذاب و الأذى الشديد حتى بلغ بهم الأمر إلى التعدي على الأموات ونبش القبور.و قد شهد ابن الأبار تسليم مدينته إلى النصارى الإسبان والإذلال الذي لحق أهلها الذين طردوا منها.و قد سجل في كتابه "الحلة السيراء" هذه الأحداث،فقال:" ثم ملَكها الرومُ ثانية، بعد أَن حاصرها الطاغية جاقم البرشلوني من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس و ثلاثين وستمائة إِلى يوم الثلاثاء السابِع عشر من صفر سنة ست و ثلاثين، وفِي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان ابن مدافع بن يوسف بن سعد الجُذامي من المدينة ــ وهو يومئذ أميرها ــ في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند، وأقبل الطاغية وقد تزيَّي بأحسن زِيّ فِي عظماء قومه، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة، فتلاقيا بالوَلجة، واتفقا على أَن يتسلم الطاغية البلد سَلمًا لعشرين يوما، ينْتَقل أَهله أثناءها بِأَمْوَالِهِمْ وأسبابهم. وحَضَرت ذَلِك كُله، وتوليتُ العقد عَن أبي جميل فِي ذَلِك. وابتُدئ بضَعَفَةِ النَّاسِ، وسُيِّروا فِي الْبَحْر إِلَى نواحي دانية،

1 المقري،نفح الطيب،ج4،ص464.
2 روبَار برنشفيك ،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 م ،ج2،ص158.
3 ينظر عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج4،ص424 .
4 ينظر الحجي،التاريخ الأندلسي،صص 478،479.

واتصل انْتِقَال سَائِرهِمْ برّاً وبحراً. وصبيحة يَوْم الْجُمُعَة السَّابِع وَالْعِشْرين من صفر الْمَذْكُور كَانَ خُرُوج أبي جميل بأَهْله من الْقصر فِي طَائِفَة يسيرَة أَقَامَت مَعَه، وَعند ذَلِك استولى عَلَيْهَا الرّوم، أحَانَهُم الله."[1] ثم استمرت المدن الأندلسية القريبة من بلنسية في السقوط.

استولى النصارى الإسبان على جزيرة شُقَر سنة 639هـ[2].،و دانية سنة641هـ[3].،وجيّان سنة643هـ،وشَاطبة التي دخلها النصارى الإسبان 644هـ صلحا،ثم نقضوا الهدنة مع سكانها من المسلمين و أجبروهم على الجلاء سنة 645هـ[4] /1247م، وإشبيلية سنة 646هـ/1248م[5]، ومُرسيَة سنة 664هـ[6].والملاحظ أنّ سياسة طرد مسلمي الأندلس من مدنهم بعد الاستيلاء عليها سياسة واضحة ،و خطة متبعة من الممالك المسيحية .والشواهد على ذلك كثيرة[7]،و من ذلك ما أورده ابن الأبار في كتابه "الحلة السيراء" من أنّ بعض أهل شاطبة أخبروه أنّ العدو النصراني :" أجلاهم عَنْهَا مَعَ أهل جهاتها وهم أُلُوف من الْمُسلمين فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَاد. "[8]وفي كتاب التكملة ذكر ابن الأبار أنّ جزيرة شقر لمّا :" ملكهَا الرّوم صلحا وأجلوا أَهلهَا فِي آخر سنة تسع وَثَلَاثِينَ وستّمائة."[9] و ذكر أيضا أن سياسة الجلاء المنتهجة من الممالك النصرانية طُبقت في شرق الأندلس،حيث قاموا بإجلاء :" من كَانَ يساكنهم من الْمُسلمين بِبِلَاد الشرق الَّتِي تغلبُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ فِي شهر رَمَضَان سنة خمس وَأَرْبَعين وستّمائة. "[10] والأمر نفسه حصل لأهل إشبيلية بعدما سقطت مدينتهم بيد النصارى الإسبان،وقد نالهم كثير من الأذى

---

[1] ابن الأبار،الحلة السيراء، ج2،ص127.

[2] المقري،نفح الطيب، ج4،ص472.

[3] ابن الأبار،الحلة السيراء، ج2،ص303.

[4] ينظر المقري،نفح الطيب، ج4،ص472.عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ج4،ص459.

[5] المقري،نفح الطيب،، ج4،ص 472.

[6] ينظر ابن عذارى،البيان المغرب،قسم الموحدين،ص432.الحجي،التاريخ الأندلسي،ص481.

[7] الحجي،التاريخ الأندلسي،ص480.

[8] ابن الأبار،الحلة السيراء، ج2،ص303.

[9] ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،التحقيق: عبد السلام الهراس،دار الفكر للطباعة،لبنان،سنة 1415هـ،1995م، ج1،ص125.

[10] المصدر نفسه، ج1،ص198.

و الأسى،و طُردوا من مساكنهم، و قد بلغ عددهم ما يقارب أربع مئة ألف،وتوجهوا إلى المدن الأندلسية و إلى بلاد المغرب[1].

ومن ثم،فإنّ ضياع أجزاء كثيرة من أرض الأندلس على يد الإسبان وما تبعها من سياسة الطرد والإبعاد لسكان المدن الأندلسية المحتلة قد نتج عنه تزايد توافد اللاجئين الأندلسيين إلى بلاد المغرب مُفضلين الاستقرار بالمدن ذات الأهمية الاستراتيجية والتجارية والسياسية،مثل مدينة بجاية و مدينة تلمسان ، باعتبارهما من أهم حواضر المغرب الأوسط[2]،فرارا بدينهم طالبين الأمان و اللجوء بعدما وقعت ممتلكاتهم وديارهم في قبضة النصارى الإسبان.

ـ في عهد الدويلات الإقليمية :

و يبدو أنّ الإمبراطورية الموحدية الشاسعة قد فقدت قدرتها على تسيير ولاياتها بالعدوتين المغربية والأندلسية بسبب ضعف الأمراء الموحدين و صراعاتهم الداخلية والخارجية، فبدأ يظهر في الأفق حُكام جدد أحكموا قبضتهم على أقاليم المغرب الإسلامي، وأسسوا بها دويلات خاصة بهم.ومن ثم،فإنّ"الإمبراطورية التي شيّدها الموحدون انهارت،وتقاسمتها ثلاث ممالك بربرية."[3] فكان المغرب الأوسط لبني زيان،و المغرب الأدني لبني حفص، والمغرب الأقصى لبني مرين،وبالتالي بدأت مرحلة جديدة لها أثرها على وتيرة الهجرات الأندلسية.و سنحصر الحديث حول الهجرات الأندلسية في منطقة المغرب الأوسط ،الذي كان جناحه الغربي تحت حكم الزيانيين بمدينة تلمسان،و جناحه الشرقي، تحت إدارة الدولة الحفصية،من حاضرة بجاية .

لنبدأ بالمملكة الزيانية التي عاصمتها حاضرة تلمسان، وكيفية تعاملها مع ظاهر الهجرة الأندلسية. إذ نلاحظ أنّ سلاطين بني زيان أعطوا أهمية كبرى للمهاجرين اللاجئين إليهم من بلاد الأندلس ،والذين كانوا في معظمهم من الأعلام وأهل البيوتات،و من وجوه القوم و أعيان الأندلس[4]،و بالتحديد من الجهة الشرقية منها[1].وبدأ هذا الاهتمام اللافت في عهد مؤسس دولة

---

[1] ينظر الحجي،التاريخ الأندلسي،ص482.

[2] ناصح مُحمّد،جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر الوسيط القرن 6هـ 12م،أطروحة دكتوراه لنيل د.د.ع كلية الآداب،الرباط ،سنة 1988،ص148.

[3] Georges Marçais,Tlemcen,EDIK,Oran,2003,p33.

[4] ابن خلدون،العبر،ج6،ص 438.

بني عبد الواد،يغمراسن بن زيان،حيث أصدر ظهيرا* يتضمن العناية بهؤلاء المهاجرين الأندلسيين و حقهم في اتخاذ المساكن و امتلاك الأراضي الفلاحية و تكريم أعيانهم[2]،حيث نص الظهير على أن يغمراسن:"بوأهم من اهتمامه الكريم و إنعامه العميم جنات ألفافا." [3] و حرص هذا الأمير الزياني على إسكان الأندلسيين الوافدين عليه في مدينة تلمسان دون غيرها من مدن المغرب الأوسط.و هذا ما صرح به ابن خطاب في قوله:"و أطلع(يغمراسن) على أغراضهم(الأندلسيون) السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى،على سائر البلاد،فلاحظ منهم النية واعتبرها وأظهر عليهم مزايا مالهم من هذه...وأذن أيده الله لهم ولمن شاء من أهل تلمسان."[4]

و يبدو أنّ الهجرة الأندلسية إلى حاضرة تلمسان قد بدأت في عهد مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن. ولعل ذلك يعتبر أول دُفعة من المهاجرين تستقبلها المملكة الزيانية بفائق الرعاية والعناية،وقد ضمت كبار الشخصيات والبيوتات الأندلسية مثل ابن وضاح و أبي بكر بن خطاب [5]. ولكن بسبب الشح في الوثائق والنصوص ،أصبح أمر تحديد عدد هذه المجموعات الأندلسية المهاجرة،و نسبتها المقدرة بين السكان صعبا[6]. و معظم ما وصلنا هو عبارة عن إشارات مقتضبة، مثلما نجد ذلك عند ابن خلدون الذي يشير إلى أنّ الوافدين من الأندلسيين على المملكة الزيانية قد جاؤوا على مجموعتين،فالمجموعة الأولى أتت من شرق الأندلس في عهد يغمراسن، وقد ذكرها في قوله:"ووفد عليه (الأمير الزياني يغمراسن) لأوّل دولته ابن وضّاح إثر الموحدين، أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس، فآثره وقرّب مجلسه وأكرم نزله،

---

[1] ابن خلدون،العبر ،ج7،ص 106.

* **الظهير**:"وهو المعين، سمّي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن كتب له." أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان ،ج10،ص309.

[2] ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص 175.

[3] أبو بكر بن خطاب،فصل خطاب في نثر أبي بكر بن خطاب،مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 4605،ورقة39،40. نقلا عن بلعربي ،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،ص 282 .

[4] أبو بكر بن خطاب،فصل الخطاب في نثر أبي بكر بن خطاب،ورقة 39،40.نقلا عن بلعربي خالد،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،ص 282.

[5] ابن خلدون،العبر، ج7،ص106.

[6] ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص180.

وأحلّه من الخلّة والشورى بمكان اصطفاه له. "[1] والمجموعة الثانية كانت من أهل قرطبة،لهذا وصفها بـ "جالية قرطبة"،حيث قال عند حديثه عن أصل أسرة بني ملاح القرطبية:"وهم أهل بيت من قرطبة... نزل أوّلهم بتلمسان مع جالية قرطبة. "[2]و يلاحظ هنا،أنّ ابن خلدونُ يعبر دائما عن المجموعات الأندلسية المهاجرة إلى العدوة المغربية بـ"الجالية".ومعنى ذلك أنّ النزوح من بلاد الأندلس إلى العدوة المغربية كان في هذه المرحلة جماعيا وبأعداد كبيرة،غير أنّه لم يمس جميع فئات المجتمع الأندلسي .

ولا شك أنّ هناك مجموعات أخرى تتابع نزولها بتلمسان في فترات من حكم الدولة الزيانية. وكان أكبرها في نصف القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، في عهد السلطان الزياني عبد الواحد بن أبي عبد الله(834هـ_ 862هـ)،ثم في عهد خلفه أبي العباس أحمد الزياني(834هـ_ 862هـ)، الذي رحب بهم بكل حفاوة ،و أسكن العلماء منهم وأشراف القوم وسادتهم بمدينة تلمسان،و خص أصحاب التجارة والحرف و الأموال بدرب يكون لهم مقرا إقامة[3]،عُرف بدرب الأندلسيين[4] في حاضرة تلمسان. حيث استقرت جالية من الأندلسيين بحاضرة تلمسان الزيانية،لِما وجدوه من الحفاوة و الترحيب من سلاطين بني زيان،بينما اختارت مجموعات أخرى من الأندلسيين مدنا أخرى في المغرب الأوسط،مثل مدينة الجزائر و بجاية و ندرومة وهنين[5].

ومن جهة أخرى،وبسبب الاعتداءات المتكررة للإسبان على بلاد الأندلس،أخذ أعداد من الأندلسيين يتسللون إلى العدوة المغربية،وبالتحديد المغرب الأوسط فرارا من القتل و الأسر،خصوصا في سنة 856هـ/1452م،ونتج عن هذا الأمر لحوق الإسبان بهم عن طريق البحر و ضرب السواحل المغربية،ممّا جعل الجالية الأندلسية تتحد مع أهل المغرب الأوسط دفعا

---

1 ينظر ابن خلدون،العبر،ج7،ص 106.

2 المصدر نفسه،ج7،ص 141.

3 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص176.

4 ابن مريم التلمساني،البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ص 135.

5 ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ص175.

للخطر الإسباني.وكان ذلك سببا في سقوط مدينة بونة بيد النصارى الإسبان سنة 867هـ/1462م[1].

و لعل السؤال الذي يطرح نفسه،هو لماذا هذه العناية الفائقة والرعاية الكبيرة من سلاطين بني زيان للجالية الأندلسية الوافدة عليهم،وهل ذلك مجرد عطف و مواساة لما أصابهم من تهجير و عدوان في بلدهم الأندلس أم أنّ هناك أسبابا أخرى؟

لقد كان للدولة الزيانية أسبابها الخاصة في ترحيبها بالأندلسيين.ومن أول هذه الأسباب هو أنّ بني زيان في بداية أمرهم كانوا يعيشون حياة البداوة والبساطة وغير متعودين على عوائد الملك و أبهة السلطان وليس لهم ثقافة الدولة،كما كانوا في تنافس شديد وصراع دائم مع جيرانهم المرينيين بفاس و الحفصيين بتونس.و لهذا فبني زيان كانوا في حاجة إلى من يمدهم بالخبرة و المهارة لتسيير شؤون الدولة بطريقة راقية تضاهي الدول المجاورة في المغرب أو في المشرق.و عندما التجأ عدد من الأندلسيين إلى تلمسان طالبين الأمان والسلامة،وجد سلاطين بني زيان فرصتهم في تطوير دولتهم و تطعيمها بهذه العناصر الأندلسية التي كانت في معظمها من العلماء والبيوتات الشريفة و ذوي الخبرة في المجال السياسي و الإداري والاقتصادي،فكان مؤسس دولة بني زيان يغمراسن أول من وضع الأساس لسياسة استيعاب الأدمغة الأندلسية وتقليدها مناصب عليا و حساسة في الدولة، ليتم تطوير النظام الملكي و ترقيته و تقويته تحقيقا للازدهار الحضاري في المملكة الزيانية ، حتى تسبق منافسيها في فاس و تونس في أُبهة الملك و فخامة السلطان و قوة الجيش وتنظيمه و في الثراء المعرفي.وإذا كانت العناية الكبيرة بالجالية الأندلسية من ملوك بني زيان رغبة في تطوير دولتهم التي كانت في البدء بدوية بسيطة، ومنافسة لبني مرين وبني حفص في السباق الحضاري والتفوق العسكري والثقافي.

فإنّ هناك سببا آخر قد يكون وراء ميل سلاطين الدولة الزيانية إلى الترحيب بالأندلسيين و تفضيلهم عن بقية عناصر المجتمع الزياني،ويرجع إلى طبيعة نشأة بعض هؤلاء السلاطين،فنجد مثلا أنّ ولادة السلطان عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى يغمراس كانت بالأندلس،وبالتحديد في

[1] ينظر عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج2،ص199.

غرناطة[1] ، و الأمر نفسه بالنسبة للسلطان أبي حمو موسى الثاني[2]،و كلاهما ترعرعا في البيئة الأندلسية و تشربا ثقافتها وعاداتها . ولا شك أنّ هذه التنشئة الأندلسية كان لها أثر كبير في طريقة حكمهما و في مشاريعهما، و في الاستفادة من كل ما هو أندلسي سواء كان فكرا أو سياسة أو كفاءات.وهكذا ،نسجل أنّ الطرفين كانا في حاجة ماسة إلى بعضهما، فملوك بني زيان كانوا في حاجة إلى الأندلسيين المهاجرين إليهم للاستعانة بخبرتهم الكبيرة وثقافتهم الراقية في بناء الدولة و ترقيتها حضاريا،و الأندلسيون هم أيضا كانوا في حاجة إلى الرعاية و المساعدة و الحماية من الأمراء الزيانيين.

و أمّا في عهد الدولة الحفصية،فيبدو أنّ الهجرة الأندلسية تزايدت مع قيام هذه الدولة سنة 624هـ،ولعل السبب وراء هذا الإقبال الأندلسي على بني حفص بالمدن الواقعة تحت حكمها ومنها بجاية،يعود للعلاقة الودية التي كانت تربط الحفصيين بأهل الأندلس،بسبب أن أسرة بني حفص التي أسسها أبو مُحَّد عبد الواحد قد سبق لها و أن استقرت في الأندلس،وتشربت من الثقافة والروح الأندلسية،ممّا جعل أمراء هذه الأسرة بعد تأسيس دولتهم بالمغرب الأدنى يميلون إلى الترحيب و الاحتفاء بكل وافد عليهم ينتمي إلى العدوة الأندلسية، و يسندون له مناصب عليا في دولتهم، خصوصا إذا كان يملك قدرات علمية وإدارية[3].

إضافة إلى ذلك،فإنّ الدولة الحفصية امتازت عن غيرها من الدويلات الإقليمية بالمغرب الإسلامي بالاستقرار النسبي والقدرة على صد العدوان و اتساع رقعتها و تحسن أحوالها الاقتصادية،ممّا جعلها قبلة أكثر الأندلسيين الباحثين عن الأمان والحماية.وفي هذا الصدد قال ابن خلدون:" فلمّا تكالب الطاغية على الدولة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها، وأشفّ إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وأفريقية. وكان قصدهم إلى تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها ."[4] و يؤشر هذا الوضع المستقر في دولة بني حفص على توافد

[1] لسان الدين الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج4،صص 51،52.

[2] المصدر نفسه،مج3،ص 292.

[3] مُحَّد رزوق،دراسات في تاريخ المغرب،ص 28.

[4] ابن خلدون،العبر، ج6، ص 438.

جاليات كبيرة من الأندلسين على مدن هذه الدولة،وأهمها حاضرة بجاية في الجهة الشرقية بالمغرب الأوسط.

و قد استقبلت دولة الحفصيين مجموعتين من الأندلسيين،الأولى جاءت من شرق الأندلس، والثانية من غربها .وفيما يخص جالية شرق الأندلس ،ذكر ابن خلدون أنّ رجلا:"اسمه يحيى بن عبد الملك الغافقي وكنيته أبو الحسن أندلسيًّا من أعمال مرسية، وفد مع الجالية من شرق الأندلس أيام استيلاء العدو."[1] وفي موضع آخر تحدث عن:" يعقوب بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عمر السَلِميّ، وكنيته أبو عبد الرحمن. كان جدّه مُحَمَّد فيما حدّثني أهل بيتهم قاضيا بشاطبة، وخرج مع الجالية أيام العدّو إلى تونس، ونزل بالربع الجوفي أيام السلطان أبي عصيدة."[2] و ذكر أيضا ابن خلدون جالية الشرق عندما أورد كيف أنزل أبو يحيى أبو بكر الثاني ولديه عزوز وخالد بسوسة،فقال:"وأنزل معهما مُحَمَّد بن طاهر من صنائع الدولة ومن بيوت أهل الأندلس القادمين في الجالية، ورياسة سلفهم بمرسية معروفة في أخبار الطوائف."[3] وكذلك ،عند تحث عن يوسف بن مُحَمَّد بن عبد الله أحمد الهمداني الذي قتله بنو مرين غدرا ،فقال أنّ بنيه انتقلوا " إلى تونس ومعهم صهرهم القاضي أبو الغنم عبد الرحمن بن يعقوب من جالية شاطِبة، انتقل هو وقومه إلى طنجة أيام الجلاء، فنزلوا بها وأصهر إليهم بنو الأمير، وارتحلوا معهم إلى تونس. "[4] والملاحظ أن ابن خلدون قد نعت المهاجرين من شرق الأندلس بـ "الجالية"،و هذا فيه دلالة على أنّ الهجرة كانت جماعية وكثيرة العدد ،ولم تكن فردية.

ويبدو،أنّ حركة الهجرة من شرق الأندلس ارتفعت وتيرتها مع سقوط مدن مهمة مثل قرطبة سنة 633هـ،و بلنسية سنة 633هـ،و مرسية سنة 666هـ،واشتداد الوطأة على الأندلسيين بتخييرهم على ترك دينهم أو مغادرة البلاد،وكان الإسبان النصارى يضغطون على من بقي على إسلامه ،فيأخذون أرضه عنوة و يمنحونها لأسر مسيحية استقدموها من الشمال.وقد دفع هذا أهل بلنسية إلى الثورة على ظلم النصارى لمدة ثلاث سنوات،من سنة 1254م إلى سنة

[1] ابن خلدون،العبر ،ج6،ص 433.

[2] المصدر نفسه ،ج6،صص 463،464.

[3] المصدر نفسه،ج6،ص 504.

[4] المصدر نفسه ،ج6،ص 401.

1257م،فكان رد فعل النصارى عنيفا ،واتخذوا قرارات بطردهم.ولوضع حد لثورة البلنسيين قام أحد أمراء النصارى وهو هوجامقو الغازي بتشجيعهم على ترك بلادهم والهجرة إلى العدوة المغربية.وكانت الظروف القاسية والمزرية التي كابدوها دافعا قويا إلى انتقال أعداد كبيرة من الأندلسيين من شرق الأندلس إلى غرناطة،ثم إلى أقطار المغرب الإسلامي،وخصوصا في المدن التي تحكمها دولة بني حفص[1].

و من الأسر الكبيرة الوافدة مع جالية شرق الأندلس على دولة بني حفص،أسرة ابن الآبار الذي ترك مدينته بلنسية بعد سقوطها، فكانت وجهته أولا إلى حاضرة بجاية لقربها من بلده،فرحب به أبو يحيى بن زكرياء وولي عهده[2]،ولم يلبث أن انتقل إلى تونس،وهناك عمل كاتبا للخليفة الحفصي أبو زكرياء[3]،ثم تقلد منصب الإنشاء والعلامة في عهد الخليفة المستنصر(647هـ _ 675هـ)[4].

و أما فيما يخص جالية غرب الأندلس فقد أشار إليها ابن خلدون عند حديثه عن أسرة "ابن الدباغ" التي ارتقت أعلى المناصب في عهد أبي زكريا الحفصي، فقال عنها:"وكان من خبر ابن الدبّاغ هذا أنّ إبراهيم أباه وفد على تونس في جالية أشبيليّة سنة ست وأربعين وستمائة فولد هو بتونس ونشأ بها. "[5] و ذكر ابن خلدون أيضا ، أسرة "سيد الناس" التي جاءت من غرب الأندلس إلى افريقية،والتي بلغت مناصب عليا في دولة بني حفص. وممّا أورده ابن خلدون عن أصلها عند حديثه عن ولاية الأمير أبي فارس الحفصي قوله:" وكان ممن اصطنعه وألقى عليه رداء محبته في الناس وعنايته أحمد بن أبي بكر بن سيد الناس اليعمري، وأخوه أبو الحسين لسابقة رعاها لهما، وذلك أنّ أباهما أبا بكر بن سيد الناس، كان من بيوت أشبيليّة حافظًا للحديث راوية له، ظاهريًّا في فقهه على مذهب داود وأصحابه."[6]و هذا يدل على أنّ الشخصيات الأندلسيّة الوافدة

---

[1] الطالبي مُحَمَّد،الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة،العدد 26،ص54.

[2] أحمد السليماني،تاريخ المدن الجزائرية،دار القصبة،الجزائر،سنة 2007،ص 110.

[3] خير الدين بن محمود،الزركلي الدمشقي ،الأعلام، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، سنة 2002م،ج6،ص 233.

[4] روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي،ج2،ص 427

[5] ابن خلدون،العبر،ج6،ص 456.

[6] المصدر نفسه ،ج6،437.

الوافدة من شرق الأندلس أو من غربه، كانت من الأسر المهمة التي لها دور في الحياة السياسية والثقافية في بلاد الأندلس.

و الظاهر أنّ الجماعة الأندلسية التي جاءت من غرب الأندلس واستقرت في إفريقية، كانت مقرّبة إلى سلاطين بني حفص من جالية شرق الأندلس، وهذا ما يؤكده ابن خلدون في قوله: "وكانت لأهل أشبيليّة خصوصًا من بين الأندلس وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه، منذ ولايته غرب الأندلس."[1] وعليه، فإنّ الدولة الحفصية و بفضل انتمائها الأندلسي، واستقرار أوضاعها، صارت موطنا جديدا و مفضلا لأعداد من الأندلسيين، خصوصا الوافدين من شرق الأندلس و غربها. ولعل أهم المدن الحفصية التي كانت بها كثافة مهمة من الأندلسيين، مدينة بجاية، حاضرة المغرب الأوسط في الجهة الشرقية منه. وهكذا، تكون بجاية قد بلغت "مكانة مهمة من التقدم والرقي، استقطبت العديد من السكان من العالمين العربي و الأوروبي، وحتى من الأندلس، خاصة بعد حركة الاسترداد المسيحية، وتضاعف عدد الهجرات التي تمتد من 606هـ/1212م إلى 898هـ/1492م... وهذا أدى إلى نزول العديد من الأندلسيين على مدينة بجاية خاصة في عهد بني حفص، ثم تلمسان في عهد بني زيان." [2] وعلى هذا النحو، نستطيع القول بأنّ تلمسان وبجاية كانتا من المدن الحضارية الهامة في العهد الحفصي والزياني.

ولابد من الإشارة إلى أنّ الهجرة الأندلسية لم تكن محصورة فقط في مدينتي تلمسان وبجاية، إلاّ أنّ عدد الوافدين عليهما كان أكثر بسبب موقعهما السياسي والاقتصادي و كونهما من أكبر وأبرز وأهم حواضر المغرب الأوسط خصوصا ،وبلاد المغرب عموما. فتلمسان كانت العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للمملكة الزيانية ،و أمّا بجاية فكانت العاصمة الثانية للدولة الحفصية، و المدينة الجاذبة للأندلسيين وبخاصة الطبقة المثقفة منهم ،بالإضافة إلى موقعها البحري القريب من الجزيرة الأندلسية ،و لوجود جالية أندلسية منذ وقت مبكر فيها؛ غير أنّ هذا لا ينفي

[1] ابن خلدون، العبر ، ج6، ص 437.

[2] عزوق عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، إحصاء و جرد و تحليل، مؤسسة الضحى، الجزائر، ط1، سنة 1434هـ/2013، صص. 49، 50.

وجود عدد من المهاجرين الأندلسيين استقروا ببعض مدن المغرب الأوسط،خاصة الساحلية منها،إلاّ أن الباحث يجد صعوبة في الإحاطة بأخبارهم و معرفة فئاتهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية و مستواهم الثقافي، وهذا إمّا لأنّ عددهم قليل والمكان الذي استوطنوه ليس له أهمية سياسية أو لانعدام المادة التاريخية التي تسجل حضورهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

و من خلال تتبع بعض المصادر التاريخية يلاحظ ورود بعض الأسماء لشخصيات أندلسية اتخذت من بعض مدن المغرب الأوسط موطنا لها بعد ارتحالها من الأندلس،فقد أورد صاحب كتاب "زهر البستان" في دولة بني زيان أنّ السلطان الزياني أبي حمو الأول لمّا امتلك مدينة الجزائر صُلحا،نظم أحد شعرائها قصيدة يرحب فيها بالسلطان و مُظهرا ولاء أهل مدينته و طاعتهم للدولة الزيانية، وهذا الشاعر اسمه مُحَمَّد بن صالح البلنسي[1]،و يظهر أنّ أصله من مدينة بلنسية، و أنّه من المهاجرين الأندلسيين الذين وفدوا على مدن المغرب الأوسط،واختار هو و أسرته الجزائر موطنا له.

فصاحب زهر البستان يصف هذا الشاعر الأندلسي الجزائري بأنّه:"أحد شعراء أهل الجزائر."[2] وقد تقدم نيابة عن مواطنيه ليلقي قصيدة شعرية"مستعطفا للمولى أبي حمو و مُعرّفا لمحبتهم في الباطن والظاهر."[3] ثم ذكر له قصيدته الطويلة التي تدل على براعة هذا الشاعر ومهارته في نظم الشعر.[4]

و مما سبق،يتضح أنّ هذا الشاعر البلنسي قد استقر بمدينة الجزائر لمدة طويلة جعلته واحدا من سكانها ،بل من شخصياتها البارزة ومن طبقتها المثقفة.و يؤشر هذا أيضا على تواجد عدد من الأندلسيين مع عائلاتهم بهذه المدينة، ثم صاروا فيها من المستوطنين الفاعلين سواء في الجانب الثقافي أو الاقتصادي.وهكذا تكون الجزائر قد"فتحت أبوابها لكل المظلومين،ومن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين الذين استقبلتهم،ولم تتوقف عن الترحيب بهم،بل ضمنت لهم الإقامة

---

[1] مؤلف مجهول،زهر البستان في دولة بني زيان،عناية وتقديم:مُحَمَّد بن أحمد باغلي،الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2،سنة 1433هـ/2012م،ص 142.

[2] المصدر نفسه،ص 142.

[3] المصدر نفسه ،ص142.

[4] المصدر نفسه ،صص 142،143،144.

وسخرت جزءا من أراضيها لصالحهم خلال القرن التاسع الهجري،فتشكل حي خاص بهم هو حي الثغريين بضواحيها والذي يعرف اليوم باسم تاغرة." [1] وهذا يؤكد أنّ الجزائر كانت مكانا حاضنا للجالية الأندلسية المهاجرة.

و ذكر القلصادي في رحلته أنّه لمّا نزل بمدينة وهران بعد مفارقته لمدينة تلمسان،وذلك في سنة 848هـ/1444م،التقى بعدد من العلماء و المشائخ،و منهم سعد الشلوني، و يكنى بأبي عثمان،وأصله من قندية في ناحية من مدينة شاطبة الأندلسية، فهو من المهاجرين من بلاد الأندلس إلى المدن المغربية[2] بحثا عن الأمن والاستقرار،وقد اختار مدينة وهران مكانا له للإقامة. وكان للأندلسيين في هذه المدينة في القرن الثالث الهجري دور في تشييدها و تعميرها،و هي مدينة ساحلية قريبة من العدوة الأندلسية،ولعل هذا ما شجع بعض الأندلسيين على الاستقرار بها، و قد ذكر القلصادي أن أبا عثمان كان يتولى إمامة الجامع الأعظم ،وقد وصفه بـ:"الشيخ المتبرك به،مقام الوالد إمام الجامع الأعظم سيدي أبو عثمان سعد الشلوني رحمه الله"،وهذه الصفات دالة على أنّه شخصية متصوفة لها مكانتها المرموقة،و منزلتها العلمية والفقهية في المدينة التي كان إماما لجامعها الأعظم.

ومن مدن المغرب الأوسط التي استوطنها المهاجرون الأندلسيون بأعداد كثيرة،مدينة القل التي ذكر مارمول كرفجال في رحلته بأنّها مدينة المهاجرين الأندلسيين،حيث حدد أعداد المهاجرين و المدن الأندلسية التي جاؤوا منها، و أسباب تفضيلهم لهذه المدينة،ويخبرنا أنّ فيها:"أكثر من ثلاثمائة من سكانها من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة و الأندلس ومن أهل الثغور من مملكة بلنسية،وتزداد هذه المستوطنة يوما بعد يوم لأن البلد خصب كثير القمح والماشية وبه جميع الفواكه كما في أوربا،منها أشجار الليمون و أشجار البرتقال الوافرة."[3] و قد أشار البكري في القرن الخامس على أنّها مرسى من المراسي[4].و وقد توسع الإدريسي في وصفها،حيث قال :"ومن جيجل

[1]. مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،دار الحكمة،الجزائر ،ط2،سنة 2012،ج1، ص 17.

[2] القلصادي،رحلة القلصادي،ص111.

[3] مارمول كرفجال،إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية:محمّد حجي،محمّد زنيبر،محمّد الأخضر،أحمد التوفيق،أحمد بنجلون،دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع،الرباط،المغرب،1409هـ/1989م، ج2،ص362.

[4] ينظر البكري،المغرب،ص.83.

إلى مدينة القُلّ سبعون ميلا. وهي آخر مدن هذا الجزء المرسوم. والقُلّ قرية عامرة. وكانت في سالف الدهر مدينة صغيرة عامرة. والآن هي مرسى. وعليه عمارات. والجبال تكنفه من جهة البَرّ."[1] و أمّا صاحب الاستبصار فقد ذكر أنّ:" مدينة القلّ: مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم؛ وهى على ضفة البحر، وهى مرسى مدينة القسطنطنية. وهى كثيرة الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير، وفيها تفاح جليل؛ ولها نظر وجباية عظيمة وهى برية بحرية."[2] و يبدو أنّ الجغرافيين بما فيهم صاحب روض المعطار لم يذكروا شيئا عن الجالية الكبيرة من الأندلسيين بمدينة القل،ولعل توافدهم بكثرة كان بعد سقوط غرناطة، وأيضا بسبب ما تعرضوا له من التهجير القسري،أو ربما هناك مدينة أخرى أخذت نفس اسم مدينة القل المذكورة في كتب الجغرافيين،فقد ذكر الرحالة مرمول أنّها مدينة بنتها شخصية تركية اسمها حسان باشا في القرن العاشر الهجري /السادس عشر ميلادي[3].

و على العموم،فإنّ تقدم النصارى الإسبان بجيوشهم نحو وسط الأندلس في القرن السابع الهجري،واستيلائهم على المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى،أجبر مئات الآلاف من سكان المدن والقرى على النزوح نحو الجنوب،وكذلك بسبب إصرار الإسبان على إخلاء المدن من سكانها الأندلسيين.ومن ثم، فإنّ ما ارتكبوه من مذابح مريعة،زاد من وتيرة النزوح الجماعي إلى جنوب الأندلس، ثم إلى العدوة المغربية.ولعل أكبر عملية نزوح جماعية للأندلسيين إلى أقطار المغرب الإسلامي ،وخصوصا إلى حاضرة تلمسان الزيانية و حاضرة بجاية الحفصية وقعت في القرن السابع الهجري،عندما استولى النصارى الإسبان على مدينة إشبيلية والمدن المجاورة لها[4].

ب_ مرحلة ما بعد سقوط غرناطة:

يبدو ،أنّ الهجرة الأندلسية إلى ربوع المغرب الإسلامي وبالتحديد بالمغرب الأوسط لم تنقطع واستمرت وتيرتها بأعداد أكبر خصوصا بعد سقوط إمارة بني الأحمر بغرناطة سنة

---

[1] الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ،ص125.

[2] مؤلف مجهول،الاستبصار،ص 127.

[3] ينظر مارمول،إفريقيا، ج2،ص362.

[4] عادل سعيد البشتاوي،الأندلسيون المواركة،القاهرة،ط1،سنة 1985،ص 102.

897هـ/1492م[1] .وقد شرع النصارى الإسبان في طرد أهل غرناطة من المسلمين من وطنهم إلى العدوة المغربية منذ الوهلة الأولى التي تسلموا فيها عاصمة بني الأحمر.وفي هذا الصدد يقول صاحب "نبذة العصر" عن سياسة الملك النصراني:"فلما اطمأن في البلد،سرح لهم الجواز وأتاهم بالمراكب إلى الساحل،وصار كل من أراد الجواز يبيع ماله ورباعه و دوره،فكان الواحد منهم يبيع الدار الكبيرة الواسعة المعتبرة بالثمن القليل...وأمرهم بالمسير إلى الساحل بمن معهم يرفعهم النصارى في البحر محترمين مكرمين ويجوزونهم إلى عدوة المغرب آمنين مطمئنين."[2] وبعدما كانت الهجرة الأندلسية جزئية محدودة العدد،صارت كلية،و بكثافة أعلى.

و تعتبر هذه المرحلة بالنسبة للأندلسيين وللعالم الإسلامي كارثة كبرى و فاجعة دامية،مازالت جروحها حتى الآن لم تندمل. إذ كان سقوط مدينة غرناطة واستسلام أميرها للنصارى الإسبان، إعلانا رسميا على ضياع أرض الأندلس من يدي العرب المسلمين بعدما حكموها ثمانية قرون،وبالتالي،لم يجد مسلمو الأندلس مكانا آمنا في بلادهم،إذ أصبحت كلها في يد النصارى،فلم يبق لهم إمّا اعتناق المسيحية والذوبان في المجتمع الإسباني النصراني والتخلي كلية عن الهوية العربية الإسلامية،وإمّا التعرض لأبشع أنواع التعذيب بواسطة محاكم التفتيش التي أقامها النصارى بإشراف الكنيسة لاضطهاد مسلمي الأندلس وإجبارهم على التحوّل إلى الديانة النصرانية،و إمّا الهجرة من بلاد الأندلس إلى أقطار أخرى،حيث إنّ ما وقع من عمليات التهجير والنفي والاضطهاد لمسلمي الأندلس من النصارى الإسبان بواسطة المحاكم التي أقاموها وُصف بأنّه من أشد القصص ألما على مر التاريخ،بل من الصعب أن تجد له مثيلا في جميع العصور،لاقتران عملية التهجير بأبشع الأفعال و أكثرها همجية في تاريخ الإنسانية.[3]

وقد وصف المقري حال من بقي من مسلمي الأندلس وما عانوه من الإسبان النصارى من تنصير وتعذيب وتقتيل وتشريد، فقال:" ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة... وبالجملة فإنهم تنصروا عن

[1] عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص177.

[2] مؤلف مجهول،نبذة العصر،ص43.

[3] محمّد بشير حسن راضي العامري،تاريخ بلد الأندلس،في العصر الإسلامي ،ص250.

آخرهم وبادية وحاضرة، وامتنع قوم من التنصر، واعتزلوا الناس، فلم ينفعهم ذلك، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق وأندرش وغيرهما، فجمع لهم العدو الجموع، واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسبياً... ثم بعد هذا كله كان مَنْ أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلّي، فشدد عليهم النصارى في البحث، حتى إنهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك، ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلاً عن غيرها من الحديد، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله لهم ناصراً، إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف. "[1] و ماقاله المقري في وصف حال الأندلسيين تأكيد على سياسة الطرد والإبعاد الكلي للأندلسيين المتمسكين بدينهم وثقافتهم العربية والإسلامية.

ويتفق لين بول lane – Poole مع المقري في وصفه لحالة الأندلسيين الذين بقوا في بلادهم و حاولوا أن يستردوا أرضهم أو الدفاع عن أنفسهم بإطلاقهم لثورة كبرى أندلسية انتهت بالفشل،حيث يقول:"كان السبي والنفي المصير الذي آل إليه من بقي حيا بعد الثورة،ولكن عدد هؤلاء لم يكن كثيرا...أولئك الذين أسروا والثورة مشتعلة أصبحوا عبيدا،وسيق الباقون إلى النفي تحت حراسة الجنود بينما شددت الحراسات على الممرات في التلال وكثير من المنفيين التعساء ماتوا في الطرق جوعا وتعبا من الحر أو البرد،وتمكن آخرون من الوصول إلى افريقيا حيث عانوا من الفاقة ولم يجدوا أرضا يحرثونها وبعضهم وصل فرنسا فقوبل بفتور الاستقبال."[2]وعليه، فإنّ هذه الظروف الضاغطة القاسية كانت دافعا قويا للأندلسيين الباقين على عقيدتهم وانتمائهم الإسلامي إلى الهجرة الجماعية من وطنهم الأصلي إلى بلاد المغرب الإسلامي،أفضل من حياة الذل والاستعباد والاضطهاد.

ولعل ممّا شجعهم أكثر على النزوح الجماعي من بلدهم وعدم اعتبار ذلك جبنا أو نقصا في الدين،هو صدور فتاوي تُشرّع وتؤصل الهجرة الأندلسية وتعتبرها واجبا وفرضا،و حرمة البقاء في بلاد الأندلس التي صارت دار كفر.ومن هذه الفتاوي،فتوى للونشريسي،والتي نجدها إما ضمن كتابه"المعيار" أو في مؤلف مستقل سماه"أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري

[1] المقري،نفح الطيب،ج4،صص 527،528.

[2] بشتاوي،الأندلسيون المواركة،ص 186.

ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر".وقد أكد الونشريسي في فتواه أنّه:"لَا تجوز الْإِقَامَة إِلَّا فِي حَالَة الْعَجز عَن الْهِجْرَة بِكُل وَجه الْأَدِلَّة من الْقُرْآن الْكَرِيم وَلَا يسْقط هَذِه الْهِجْرَة الْوَاجِبَة على هَؤُلَاءِ الَّذين استولى الطاغية لعنة الله تَعَالَى على معاقلهم وبلادهم إِلَّا تصور الْعَجز عَنْهَا بِكُل وَجه وَحَال لَا الوطن وَالْمَال فَإِن ذَلِك كُله ملغى فِي نظر الشَّرْع قَالَ الله تَعَالَى {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ من الرِّجَال وَالنِّسَاء والولدان لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَة وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا فَأُولَئِك عَسى الله أَن يعْفُو عَنْهُم وَكَانَ الله عفوا غَفُورًا}."[1]

و قد سئل عن رجل يريد أن يبقى في بلاد الأندلس و لا يهاجر،لغرض حماية مصالح الباقين من الأندلسيين عن طريق الاتصال بحكام البلد النصارى و مطالبتهم بحفظ حق من بقي من المسلمين،فرد عن ذلك بقوله:"فَالْوَاجِب على كل مُؤمن يُؤمن بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر السَّعْي فِي حفظ رَأس الْإِيمَان بالبعد والفرار عَن مساكنة أَعدَاء حبيب الرَّحْمَن والاعتلال بِإِقَامَة الْفَاضِل الْمَذْكُور بِمَا عرض من غَرَض التَّرْجَمَة بَين الطاغية وَأهل ذمَّته من الدجن العصاه لَا يخلص من وَاجِب الْهِجْرَة وَلَا يتَوَهَّم مُعَارضَة مَا سطر فِي السُّؤَال من الْأَوْصَاف الطردية لحكمها الْوَاجِب إِلَّا متجاهل أَو جَاهِل معكوس الْفطْرَة لَيْسَ مَعَه من مدارك الشَّرْع خَبره لِأَن مساكنة الْكفَّار من غير أهل الذِّمَّة وَالصغَار لَا تجوز وَلَا تُبَاح سَاعَة من نَهَار."[2]

و في موضع آخر ،يشدد الونشريسي على قضية تحريم الإقامة بالأندلس التي صارت بلاد كفر،حيث إنّ هذه الإقامة منافية للشرع جملة وتفصيلا،ومجلبة للذل والاحتقار،فيقول:"فَكيف يتَوَقَّف متشرع أَو يشك متورع فِي تَحْرِيم هَذِه الْإِقَامَة مَعَ استصحابها لمخَالفَة جَمِيع هَذِه الْقَوَاعِد الإسلامية الشَّرِيفَة الجليلة مَعَ مَا يَنْضَم إِلَيْهَا ويقترن بِهَذِهِ المساكنة المقهورة مِمَّا لَا يَنْفَكّ عَنْهَا غَالبا من التنقيص الدنياوي وَتحمل المذلة والمهانة وَهُوَ مَعَ ذَلِك مُخَالف لمعهود عزة الْمُسلمين ورفعة أقدارهم وداع إِلَى احتقار الدّين واهتضامه وَهُوَ أَي مَا يَنْضَم إِلَى مَا تقدم أُمُور أَيْضا تصطك مِنْهَا

---

[1] أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، أبو العباس المالكي، أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر،ط1،سنة 1406هـ/1986،ص 26.

[2] المصدر نفسه ،ص 59.

المسامع مِنْهَا الإذلال والاحتقار والإهانة."[1] و عليه،فإنّ الهجرة الأندلسية في مرحلة ما بعد سقوط غرناطة لم تصر ضرورة بشرية فقط، بل مطلبا شرعيا وواجبا إيمانيا.

و نتج عن ذلك نزوح جماعي كبير وكثيف للمهاجرين الأندلسيين.و المؤشر على ذلك، أنّ تعداد سكان غرناطة وتحديدا في سنة 886هـ/1482م، كان يعادل أكثر من مليونين. في حين تقدر بعض الوثائق من تبقى في غرناطة بعد تسليمها للنصارى،بحوالي ثلاثمائة ألف،وهذا معناه أنّ الهجرة تزايدت بدرجة عالية جدا وذلك في سنة 917هـ/1512م[2].

و لم تكن تنقلات هذه الأعداد الغفيرة من المهاجرين الأندلسيين آمنة وهم يبحثون عن مكان آمن يصلح للاستقرار،إذ اجتمع عليهم ألم فراق وطنهم وضياعه وحرقة الاغتراب مع مشقة الطريق والمعاناة والترويع والتشريد وسرقة أموالهم و التهديد بقلتهم ،فضلا عن تشتتهم في مدن المغرب الإسلامي،فمنهم من سكن مدن مغربية كفاس و تونس وتلمسان والجزائر ،ومنهم من رحل إلى بلاد المشرق،وقد أظهروا بعد استقرارهم نشاطا ثقافيا واقتصاديا وعمرانيا.وفي هذا الصدد يسرد المقري مأساة هؤلاء المهاجرين الأندلسيين، وفي الوقت نفسه يجلّي أثرهم الحضاري الإيجابي:" فخرجت ألوف بفاس، وألوف أُخر بتلمسان من وهران، وجمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومَنْ لا يخشى الله تعالى في الطرقات، ونهبوا أموالهم،وهذا ببلاد تلمسان وفاس، ونجا القليلُ من هذه المعَرّة، وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها، وكذلك بتطاوين وسلا ومتيجة الجزائر. ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكراً جراراً وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن، وحصنوا قلعة سلا، وبَنَوا بها القصور والدور والحمامات وهم الآن بهذا الحال، ووصل جماعة إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام."[3] فتوزع اللاجئون الأندلسيون المطرودين من ديارهم على مناطق العالم الإسلامي مشرقا ومغربا،حاملين معهم أحزانهم و مآسيهم

---

[1] الونشريسي،أسنى المتاجر ،صص 61، 62.

[2] مصطفى شاكر،موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان ،ط1،سنة 1993،ص1333.

[3] المقري،نفح الطيب،ج4،ص 528.

و همّ الاغتراب والحنين إلى الوطن،وفي الوقت نفسه ناشرين حضارتهم الأندلسية الثرية والغنية بالعلوم والفنون.

و كان لحاضرة تلمسان نصيبا من المهاجرين الغرناطيين،خصوصا العلماء والأمراء،فقد ذكر المقري أنّ:" جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تِلِمْسان، منهم القاضي الشهير أبو عبد الله بن الأزرق، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل، وكتابِ السِّياسة الملخَّص من مقدّمة تاريخ ابن خَلدون، وفيه زيادات بديعات، وكتاب روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، وغير ذلك، وارتحل من تِلِمْسان إلى المشرق، وسُئِل بذكره. ومنهم بنو داودَ المذكورون في فَهْرَسةِ الشيخ ابن غازي، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غَرناطة؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها، وأنّه آخذها لا محالة، قَوّضوا رِحالهم عنها، فنزلوا بتلِمْسان المحروسة، وأُخِذت الحضرة الغرناطية بعد ارتحالهم بقريب رحمهم الله. ومنهم الفقيه الأديب، حائز قَصَب السَّبْق في كثرة النَّسْخ والكتابة، أبو عبد الله مُحَّد بن الحَدّاد الشهير بالوادي آشِي ."[1]

وقد وفد على تلمسان الأمير الغرناطي النصري أبو عبد الله مُحَّد بن سعد المعروف بالزغل الذي حكم مالقة ثم صار أميرا على غرناطة مدة في مكان أخيه السلطان أبي الحسن،وقد خرج من الأندلس قبل سقوط غرناطة.إذ لـمّا رأى أنّ الأندلس على وشك السقوط النهائي في يد النصارى الإسبان، لجأ مع أسرته وكبراء القوم والأعيان إلى وهران ثم انتقل إلى تلمسان،حيث استقبله السلطان أبو عبد الله مُحَّد السابع بن أبي ثابت الثابتي الذي تولى الحكم سنة 902هـ بحفاوة وترحيب.وقد ترك الزغل عقبا له صار يعرف بعد ذلك ببني سلطان الأندلس[2].وقد ذكر المقري خروجه إلى العدوة المغربية والمكان الذي استقر فيه،فقال:" ولما رأى ذلك السلطان الزَّغَل وهو أبو عبد الله مُحَّد بن سعد عمّ سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العُدوة فجاز لوَهْران، ثمَّ لتلمسان، واستقر بها، وبها نسله إلى الآن يُعرفون ببني سلطان الأندلس."[3]وعليه،فإنّ تلمسان

[1] أبو العباس المقري التلمساني،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تحقيق: مصطفى السقا،إبراهيم الإبياري،عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،مصر،سنة 1358 هـ - 1939 م ،ج1،ص71.

[2] ينظر عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج2،ص201.

[3] المقري،نفح الطيب،ج4،ص524.

بخاصة،والمغرب الأوسط عامة شهدا توافد جماعات كثيرة العدد من الأندلسيين وبالأخص بعد سقوط مدينة غرناطة و ضياع الأندلس.

وهكذا،فإنّ المهاجرين الأندلسيين قد حاولوا أن يجدوا لهم في ربوع بلاد المغرب والمشرق وطنا بديلا يخفف عنهم فاجعة الفردوس المفقود،وفي الوقت نفسه يساهمون في تعميره وازدهاره ،بفضل ما عندهم من خبرات و معارف كثيرة.

ثانيا_عوامل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط:

بعد سقوط الخلافة الأموية و دخول بلاد الأندلس في عصر الفتن و دويلات ملوك الطوائف،بدأ الأندلسيون يميلون إلى الهجرة نحو مناطق من العالم الإسلامي،وبالأخص بلاد المغرب القريبة منهم جغرافيا،ومنها إقليم المغرب الأوسط،إذ تحوّلت الهجرة الأندلسية إلى هذا الإقليم من نزوح فردي إلى نزوح جماعي في شكل جاليات كثيرة العدد خصوصا خلال القرن السابع الهجري،ولابد أنّ وراء هذه الهجرة الجماعية من الأندلس إلى العدوة المغربية لها عواملها المتعددة.

ويلاحظ أنّ هذه العوامل المساعدة على بروز الهجرة الأندلسية و تزايدها منها ما هو متعلق بالأوضاع الداخلية للأندلس، وهذه العوامل اتسمت في عمومها بالسلبية،إذ كانت أداة إجبار وقهر وضغط و طرد،فهي عوامل أرغمت الأندلسيين على ترك وطنهم وديارهم و أملاكهم والارتحال إلى مناطق خارج بلادهم بحثا عن الأمان والاستقرار والحماية،وبالمقابل هناك عوامل تخص بلاد المغرب وهي تتميز بالإيجابية والجاذبية والتشجيع[1]،إذ ساعدت على استقطاب أعداد غفيرة من الأندلسيين إلى مدن مغربية محددة مثل مدينة تلمسان الزيانية و مدينة بجاية الحفصية.

ويمكن أن نرصد أهم العوامل التي كانت وراء الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط على النحو التالي:

1_ العامل السياسي: يعتبر العامل السياسي من أبرز العوامل التي دفعت الأندلسيين إلى الهجرة نحو المغرب الإسلامي عموما و المغرب الأوسط خصوصا، ويتضح ذلك أولا من خلال ما قامت به الدولة الموحدية من بسط نفوذها على كل ربوع المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس، بحيث صارت العدوتان الأندلسية والمغربية تحت حكم سلطة سياسية واحدة،وهذا ما

[1] ينظر علي أحمد،الأندلسيون في بلاد الشام، ص33.

هيأ الأجواء لانتقال كثير من سكان بلاد الأندلس إلى منطقة المغرب الإسلامي سواء كان بتشجيع من الأمراء الموحدين أو بإجبارهم على الهجرة[1] ؛ و ثانيا، نجد سلاطين الدولة الزيانية هم كذلك قد حثوا الأندلسيين على الهجرة إلى حاضرتهم تلمسان، حيث نجد أنّ الأمير الزياني يغمراسن يُصدر ظهيرا في شأن هؤلاء الأندلسيين الوافديين عليه،يؤكد فيه على ضرورة العناية الفائقة بهم ،و منحهم كل ما يحتاجونه من مال وسكن و أراضي،مواساة لهم على ما أصابهم من ضياع منازلهم و أموالهم ،و جبر خاطرهم على ما لحق وطنهم الأندلس من عدوان و غزو نصراني،و إظهار التعاطف معهم وطمأنتهم على حياتهم في الحاضر والمستقبل[2].و كان للسياسة الزيانية من قبل السلطان يغمراسن صداها في بلاد الأندلس، ممّا حث كثيرا من الأندلسيين المهددين في وطنهم بالقتل أو الأسر إلى اتخاذ حاضرة تلمسان الزيانية وطنا ثانيا لهم.

والملاحظ أنّ موقف سلاطين بني زيان من الهجرة الأندلسية إلى بلادهم كان عاملا جاذبا له تأثيراته الحضارية، حيث إنّهم لم يتبرموا من وجودهم، ولم يعتبروهم خطرا داهما عليهم ووافدا ثقيلا يهدد دولتهم الجديدة،بل نجد العكس تماما، فالاستقبال كان حارا، والترحيب كبيرا، والحفاوة لا نظير لها، و الإرادة قوية و الحماس شديد والنشاط بارز.ثم إنّ الزيانيين انتهجوا أيضا سياسية تعتمد على تنشيط الحياة الثقافية و العناية بجميع الفروع العلمية والأدبية والفنية،و رعاية العلماء و الأدباء،و تشجيعهم،ممّا أسهم في استقطابهم من مختلف الحواضر الإسلامية و المغربية خصوصا من البلاد الأندلسية[3]. وهذه والرعاية والعناية الزيانية للجالية الأندلسية لم تكن فقط بالقول واللسان، بل تُرجمت إلى أفعال و تسهيلات و مساعدات ،ووصلت إلى حد تمليكهم الأراضي و إمدادهم بالمال والسكن، و توظيفهم في المناصب العليا و جعلهم من الحاشية المقربة الخاصة. وقد تجلى ذلك في موقف مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن من ضيوفه الأندلسيين، حيث

---

[1] ينظر عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، ج2،ص225.

[2] ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج1،صص 175،176.

[3] المرجع نفسه، ج2،ص 319.

كان أول من اعتنى بالأعلام و الأعيان منهم و قربهم إليه و أعطاهم المناصب العليا في دولته[1]، وأصدر ظهيرا خاصا بهم منح فيه لهم الأراضي والمنازل والأموال[2].

وقد استمرت هذه الحفاوة الزيانية للجالية الأندلسية عند بقية سلاطين بني زيان، وخصوصا من كان مُحبا للعلماء و مجالسهم كالأمير أبي العباس[3] الذي أظهر ترحيبا خاصا و مميزا للجالية الأندلسية التي وفدت عليه[4]،أو للأمراء الذي تشربوا الثقافة الأندلسية و كانت لهم تنشئة أندلسية في بلاد الأندلس مثل الأمير عثمان بن عبد الرحمن بن يحي يغمراس الذي ولد بغرناطة و سكنها،وقد أفرد له لسان الدين بن الخطيب ترجمة مُفصلة في إحاطته [5]. ويعد مجدد الدولة الزيانية و أكبر ملوكها الأديب والشاعر أبو حمو موسى الثاني ممّن كانت ثقافتهم و سلوكياتهم مطبوعة بطابع أندلسي واضح[6].

و هناك عامل ثان ساهم أيضا في التأثير الحضاري الأندلسي بحاضرة تلمسان، وهو ما تميزت به الجالية الأندلسية المهاجرة إلى حاضرة تلمسان في تركيبتها البشرية، حيث كانت من الصفوة السياسية والثقافية ومن البيوتات العريقة و العلماء الكبار والشخصيات المرموقة و أصحاب الخبرة والمهارة في الحرف و مختلف المهن.

وهذه الميزة الخاصة و التركيبة النوعية للجالية الأندلسية الوافدة على المملكة الزيانية جعل تأثيرها في الحياة الثقافية والسياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية تأثيرا نوعيا و قويا وناجحا.وخاصة إذا اقترن هذا بتوظيف هذه الطاقات الأندلسية في أعلى مناصب الدولة وتقديم كل المساعدات لها لإفادة المجتمع الزياني بما لديها من معارف و مهارات ، فعلى سبيل المثال نذكر بعض الشخصيات الأندلسية ذات الثقافة العالية و التجربة الكبيرة في ميدان السياسة

---

[1] ابن خلدون،العبر، ج7،ص106.

[2] ينظر العلوي البلغيثي،فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي خطاب،مجلة دعوة الحق،رالعدد 249، رمضان1405هـ/يونيو1985م،وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،ص94.

[3] L'Abbé J.J.L. Bargès,Tlemcen,acienne capitale du royaume de ce nom,Benjamin Duprat,libaire de l'instut et de la bibliothèque impériale,libraire-commissionnaire pour l'Alérie et l' ètranger,Paris,1859,p333.

[4] عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص176.

[5] لسان الدين الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج4،صص 51،52.

[6] عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج2،ص323.

والإدارة ،و التي اعتلت مناصب مُؤثرة في البلاط الزياني في عهد الأمير الزياني يغمراسن، فمن هذه الشخصيات كاتب رسائله أبو بكر مُحَمَّد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي، و كذلك ابن وضاح الأندلسي فأكرمه و قربه إليه[1]، و كذلك،وصلت أسرة بني الملاح الأندلسية القرطبية مكانة مرموقة في الدولة الزيانية[2] في عهد السلطان أبي حمو الأول وابنه أبي تاشفين الثاني.

وعلى ضوء ما سبق، يبدو أنّ حاضرة تلمسان الزيانية كانت محظوظة بالوافدين الأندلسيين و بما لديهم من علم و فكر وأدب، حيث هاجر إليها عدد من الفقهاء و الأدباء والأطباء، ومعهم مؤلفاتهم ومكتباتهم،فرحب بهم البلاط الزياني واحتضنهم بكل حفاوة ورعاية، وشاركوا بقوة و فاعلية في ترقية النواحي الثقافية و الاقتصادية والاجتماعية[3].

و بسبب العوامل الجاذبة التي وفرتها الدولة الزيانية وسياستها المشجعة للأندلسيين المهاجرين على الاستيطان بحاضرة تلمسان، أقرّ بعض الدارسين لتاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني،أنّ الحضور الأندلسي كان له وجود في عاصمة الزيانيين،إذ يؤكد كل من جورج ماسي G.Marçais،و راشيل أريي R.Arié،أنّ انتقال المملكة الزيانية من طور البداوة إلى طور التحضر والتمدن كان بفضل التأثير الأندلسي،و يُضيفان أنّ هذا التأثير ظهر أكثر في وجود أربعة وزراء في مملكة بني زيان من أسرة أندلسية واحدة،و أنّ أقوى أمير زياني في تاريخ دولة بني زيان كان أندلسي النشأة و كانت حاشيته من الجالية الأندلسية، وهو السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي جعل يحي بن خلدون الإشبيلي و مُحَمَّد بن يوسف القيسي الأندلسي من مساعديه ومستشاريه الأقربين ؛و يرى وليام مارسي أنّ الأشعار الشفوية المتداولة إلى مطلع القرن العشرين على لسان فتيات تلمسان يتفق نسقها مع الزجل الأندلسي.[4]

وبناء على هذه المعطيات وغيرها، يميل فريق من الباحثين إلى وجود تأثير أندلسي واضح وراسخ في المغرب الأوسط،وبالأخص في حاضرة تلمسان الزيانية،وذلك بفضل عوامل مساعدة

---

1 ابن خلدون،العبر، ج 7،ص 106.

2 المصدر نفسه، ج7،ص 141.

3 ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص178.

4 مُحَمَّد رزوق،دراسات في تاريخ المغرب،ص53.

على نجاح الجالية الأندلسية في تطوير وازدهار الحياة الثقافية والعمرانية والاقتصادية لدولة بني عبد الواد الزيانية.

و يبدو،أنّ هناك رأيا آخر يناقض وجهة النظر السابقة، إذ يعتبر مُحَمَّد رزوق أنّ هناك عوامل قد ساهمت في التضييق على هجرة الأندلسيين و إعاقة الحضور الأندلسي بالمغرب الأوسط وعلى وجه التحديد بحاضرة تلمسان الزيانية بالمقارنة إلى الأثر النافذ والقوي للجالية الأندلسية بالمغرب الأدنى تحت حكم الحفصين وبالمغرب الأقصى و في ظل حكم المرينين ،إذ اعتبر أنّ منطقة المغرب الأوسط كانت للمهاجرين الأندلسيين مجرد ملجأ لمن فشل في تحقيق طموحاته السياسية والمصلحية في أحد القطرين(المغرب الأقصى والمغرب الأدنى)،أو محطة انتقال من مكان لآخر،مستندا في ذلك على ملاحظات بعض الرحالة الأندلسيين الذين مروا بتلمسان ،ولم يذكروا فيها شيئا له صلة بالحضور الأندلسي[1].

و يرى صاحب هذا الرأي أنّ العامل الأهم في ضعف الوجود الأندلسي و ضعف تأثيره بمملكة بني عبد الواد الزيانية هو الوضع السياسي الذي كان مفروضا على منطقة المغرب الأوسط،حيث كانت منطقة نزاع دائم و منافسة مستمرة بين القوتين الحفصية والمرينية ممّا جعلها مكانا قلقا غير آمن ولا يَصلح للاستيطان والاستقرار، فتسبب في ضيق المجال الجغرافي للمملكة الزيانية ،فكان مآلها الانكماش والاختفاء سياسيا، ثم الظهور من جديد والاتساع الجغرافيا.و طبعا هذا الوضع يخالف حال المغربين الأقصى والأدنى،حيث الأمان والسلام الدائمين مما يُرغب المهاجرين الأندلسيين إلى تفضيلهما عن المغرب الأوسط وعن الدولة الزيانية وحاضرتها تلمسان[2].

ممّا لا شك فيه،فإنّ لهذا الرأي وجاهته و مبرراته الجغرافية والسياسية،إلا أنّ ما استدل به هذا الرأي على ضعف إقبال المهاجريين الأندلسيين و قلة تأثيرهم في المملكة الزيانية،يمكن الاستناد عليه في بيان مدى الطموح السياسي و النزوع الحضاري الذي ظهر من سلوك السلاطين الزيانيين و حرصهم الشديد على تعمير مملكتهم و نقلها من البداوة إلى العمران والحضارة رغم كل

[1] مُحَمَّد رزوق،دراسات في تاريخ المغرب،ص 48.

[2] المرجع نفسه ،ص 48.

التهديدات التي كانت تحاصرهم من الغرب و الشرق، والضربات القاصمة التي كانت تأتيهم من جيرانهم الحفصيين والمرينيين.

و رغم طبيعة الموقع الجيوسياسي الصعب الذي فرض هذا الاضطراب وهذه الفوضى،فإنّ ملوك بني عبد الواد قاموا بمجهودات جبارة في تحويل حاضرتهم تلمسان إلى مركز إشعاع حضاري من خلال جلب العلماء والفقهاء والأدباء والخبراء إليها من العدوة الأندلسية، و تشجيع القادمين إليها من الأندلسيين، وتوفير كل شروط الاستقرار والراحة لهم.

وبناء على ما تقدم، لا يمكن أن ننكر مساهمة العامل الجغرافي والسياسي الهش في منطقة المغرب الأوسط في إضعاف الدولة الزيانية و اضطراب أحوال عاصمتها تلمسان بالحصار تارة وبالحرب تارة أخرى.و هذا الوضع جعل التأثير الأندلسي فيها أقل مما هو عليه في تونس أو فاس. إلا أنّه يجب الإقرار أنّ هناك توافدا للجاليات الأندلسية إلى حاضرة تلمسان بدافع اللجوء والبحث عن مكان آمن،فضلا عمّا لقوه من تشجيع ورعاية من السلطة الزيانية ،ممّا رغبهم في الاستقرار و تفضيلهم البقاء في المملكة الزيانية بدل الذهاب إلى مناطق أخرى[1].

ولهذا لا يجب المبالغة في اعتبار حاضرة تلمسان كانت منطقة عبور للمهاجرين الأندلسيين أو مأوى لشخصيات أندلسية فشلت في تحقيق طموحها عند الحفصيين أو المرينيين،لأنّ هذا الأمر لا سند له في المصادر التاريخية، ويتناقض مع ما ورد في النصوص التاريخية من أنّ توافد الجاليات الأندلسية على حاضرة تلمسان لم يكن بسبب فشل سابق أو رغبة في اتخاذ الحاضرة الزيانية محطة عبور فقط،بل كان المهاجرون الأندلسيون يقصدون مملكة بني زيان قصد الاستقرار و الحماية كغيرهم من الجاليات الأندلسية التي وفدت على الحفصيين والمرينين.إلاّ أنّه من الطبيعي أن يكون عدد المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأقصى أو الأدنى أكثر من

[1] و مثال ذلك ما أُشيع من رفض كاتب السلطان الزياني يغمراسن محمد بن خطاب الغافقي الأندلسي طلب الأمير الحفصي بالدخول في خدمته ومغادرة حاضرة تلمسان رغم الإغراءات المالية الكثيرة. وفي هذا الصدد قال صاحب "الإحاطة في أخبار غرناطة" مفصلا لهذا الخبر :" وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا، استقدمه على عادته في استدعاء الكتّاب المشاهير والعلماء، وبعث إليه ألف دينار من الذهب العَيْن، فاعتذر وردّ عليه المال، وكانت، أشقّ ما مرّ على المستنصر، وظهر له عُلُوّ شأنه، وبعدُ همّته. " لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص427.

الوافدين إلى المغرب الأوسط و بالتحديد إلى حاضرة تلمسان، وذلك للطبيعة الجغرافية و الوضعية للسياسية الخاصة بكل إقليم من أقاليم المغرب الإسلامي.

ولهذا، يجب التنويه بالتحدي السياسي والحضاري الذي أبانه سلاطين بنو زيان في مواجهة جغرافية مملكتهم الصعبة ونجاحهم ولو بقدر ما في استجلاب أعداد من المهاجرين الأندلسيين والذين كان معظمهم من كبار الشخصيات و أشهر البيوتات والعلماء،ثم إقناعهم باتخاذ حاضرتهم تلمسان موطنا ثان لهم،و مشاركتهم الفعّالة في إثراء الفضاء الحضاري و إبراز اللمسة الأندلسية على الحياة الثقافية و العمرانية أ الاجتماعية.

وإذا انتقلنا إلى حاضرة بجاية في العهد الحفصي،يكفي الاطلاع على كتاب "عنوان الدراية "للغبريني،لاكتشاف ذلك العدد الكبير من الشخصيات الأندلسية المترجم لها،والتي ساهمت بفاعلية في الازدهار الحضاري والثقافي الذي ساد مدينة بجاية.ولهذا نتساءل عن العوامل التي استقطبت هذه الجالية الأندلسية إلى هذه المدينة،و جعلتها تساهم في إثراء حياتها الثقافية وتحويلها إلى حاضرة من أهم الحواضر العلمية والسياسية والاقتصادية خلال القرن السابع الهجري،منافسة مدنا كبرى مثل تونس وفاس وتلمسان.

لعلّ أول عامل سهّل التواجد الأندلسي في هذه المدينة الساحلية هو موقعها الجغرافي الواقع على البحر،ومن ثم، فهي من المراسي التي تربط العدوة المغربية ببلاد الأندلس،وقد لاحظ الجغرافي البكري هذه الخاصية لمدينة بجاية،فقد ذكر أنّها كانت عامرة بالأندلسيين في القرن الخامس الهجري ،وأنّها باب مفتوح لكل وافد أندلسيّ يريد الدخول إلى المغرب الإسلامي[1].

وإضافة إلى العامل الطبيعي الجغرافي،هناك عامل له صلة بالجانب السياسي،إذ إنّ الأهمية السياسية والاقتصادية لمدينة بجاية لم تظهر بشكل واضح إلاّ بعدما صارت عاصمة للحماديين،الذين اتخذوها عاصمة لدولتهم،وقاموا بإعادة بنائها وتعميرها بالقصور والمصانع والبساتين،وجلبوا لها العمال والتجار والعلماء،فكانت كما وصفها الإدريسي في القرن السادس الهجري:" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسر تجار وبها من

[1] ينظر البكري،المغرب،ص82.

الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة...ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد. "[1] وهذا الوضع السياسي المستقر و الحالة الاقتصادية الجيدة لبجاية جعل منها مدينة مُفضلة للمهاجرين ،وبخاصة الأندلسيين.

وقد استمرت حالة الاستقرار والازدهار في بجاية حتى في عهد الدولة الحفصية،ولكن مع بعض الاضطرابات التي تحدث بسبب ضربات ابن غانية المرابطي ضد الدولة الموحدية.وأيضا،لاكتساح الجيوش الزيانية والمرينية لها في بعض الفترات،إلاّ أنّه على العموم كانت بجاية ملائمة نسبيا للاستيطان والاستقرار.وطبعا،فإنّ العطاء الثقافي يزدهر وينمو مع تحسن الأوضاع السياسية والاقتصادية.وعليه،فإنّ الوافد الأندلسي على حاضرة بجاية قد يجد بغيته في إخراج ما عنده من فكر وإبداع وثقافة.

و يبدو أنّ العامل الآخر المشجع والجاذب للمهاجرين الأندلسيين للإقامة بحاضرة بجاية، هو تلك العلاقة الودية التي تربط حكام بجاية الحمادية بالجالية الأندلسيّة،فالأمراء الحماديون كانت لهم صلة متينة مع نظرائهم الأندلسيين، خاصة في شرق الأندلس.ولعل هذا السبب هو الذي دفع حاكم مملكة المرية المعتصم بن صماح أن يوصي ابنه معز الدولة باللجوء إلى الحماديين ببجاية.وهناك، أيضا،كثير من البربر الصنهاجيين الذين هاجروا إلى الأندلس وكوّنوا هناك ممالك،وكان لهم نفوذ في البلاط الأموي بقرطبة.والحماديون هم في الأصل مثلهم من قبيلة صنهاجة[2].

وعليه،فإنّ المهاجرين من الأندلس إذا كانوا من الصنهاجيين،فغالبا سيتجهون إلى إخوانهم في الأصل القبلي،بنو حماد ببجاية.وأيضا،فإنّ الذين أسسوا الدولة الحفصية،سبق لهم و حكموا في الأندلس،وبالتحديد في غربها،فهم بالدرجة الأولى أندلسيون. وفي هذا هذا الصدد يقول ابن خلدون:"كان الشَّيخ أبو حَفص كبير هِنْتَاتَةَ زعيم دولتهم، وولَّوه على إِشْبِيلية وغَربِ الأندلس

[1] الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ،ص116.

[2] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج2،صص122،123.

مراراً، ثم ولوا ابنَه عبد الواحد عليها في بعض أيامهم، ثم ابنَه أَبا زكرياءَ كذلك. "[1]ومن ثم، فإنّ هذا العامل وإن كان دافعا إلى الهجرة نحو حاضرة بجاية،إلاّ أنّه ساهم في تهيئة الظروف للجالية الأندلسيّة حتى تنشط الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية.و هذا ما نلاحظه من خلال سياسة الحكام الحفصيين القائمة على تفضيل تقليد الشخصيات الأندلسية المناصب العليا والمهمة.

ومن ثمّ،فإنّ هذه العوامل لم تشجع على الهجرة إلى حاضرة بجاية فقط،ولكنّها بالتأكيد ساعدت على أن تكون الجالية الأندلسية ذات فاعلية و إيجابية من خلال إثراء الفضاء الثقافي وتطوير الحياة الاقتصادية وتحسين الأداء السياسي والإداري.

ويلاحظ أنّ هناك عوامل طرد و ترهيب و تضييق و ضغط و تخويف كانت وراء الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي،وهي عوامل ناشئة عن تواجد أخطار تحيط بسكان الأندلس و تهدد حياتهم.ولهذا هناك علاقة وثيقة بين تأزم الأوضاع السياسية والاعتداءات النصرانية ببلاد الأندلس ،و هجرة جاليات أندلسية إلى منطقة المغرب الإسلامي. فكل مدينة أو قرية تتعرض لخطر بسبب صراع سياسي وفوضى اجتماعية أو لعدوان إسباني نصراني يقابله حتما فرار مجموعات سكانية سواء إلى مناطق آمنة بداخل البلاد الأندلسية أو إلى العدوة المغربية القريبة جغرافيا من الجزيرة الايبيرية، مثلما حدث في النصف من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي،من ضياع عدد من المراكز الإسلامية،مثل بلنسية و مرسية وشاطبة،وكان سببا مباشرا في تدفق الهجرة من بلاد الأندلس إلى داخلها وخارجها خصوصا باتجاه مدن المغرب الإسلامي[2].

ولعل أبلغ وصف لحالة التدهور السياسي ببلاد الأندلس ما رواه عبد الرحمن بن خلدون الإشبيلي الأندلسي عن الدافع الرئيسي وراء هجرة أسرته الأندلسية إلى بلاد المغرب،حين قال:"وانتقضت دولة الموحدين بالأندلس، وثار عليهم ابن هود. ثم هلك واضطربت الأندلس، وتكالب الطاغية عليها، وردد الغزو إلى القرُنْتِيرَة هي بسيط قرطبة وإِشْبِيلِية إلى جَيَّان، وثار ابن الأحمر بغرب الأندلس من حصن أرجونة، يرجو التماسك لما بقي من رمق الأندلس. وفاوض أهل الشورى يومئذ بإِشْبِيلِية. وهم بنو الباجي، وبنو الجَدّ، وبنو الوزير، وبنو سيَّد الناس، وبنو خلدون.

[1] ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص32.

[2] روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي،ج2،ص 158.

وداخلهم في الثورة على ابن هود، وأن يتجافوا للطاغية عن الفُرُنْتِيرَة، ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة، من مالقه إلى غرناطة إلى المرِيَّة، فلم يوافقوه على بلدهم.وكان مقدمهم أبو مروان الباجي، فنابذهم ابن الأحمر وخلع طاعة الباجي، وبايع مرة لابن هود، ومرة لصاحب مراكش من بني عبد المؤمن، ومرة للأمير أبي زكرياء صاحب إفريقية. ونزل غرناطة، واتخذها دارا لملكه، وبقيت الفَرُنْتِيرَةُ وأمصارها ضاحية من ظل الملك، فخشي بنو خلدون سوء العاقبة مع الطاغية، وارتحلوا من إشبيلية إلى العُدوة، ونزلوا سَبتة وأَجْلبَ الطاغية على تلك الثغور، فملك قرطبة، وإشبيليّة، وقُرْمُونة وجَيَّان وما إليها، في مدة عشرين سنة."[1] ثم زاد الوضع السياسي سوءا بتسليم الأندلس كلها للنصارى الإسبان بعد استسلام أمير غرناطة لهم، وخروجه مطرودا يائسا إلى العدوة المغربية ،و إجبار ما تبقى من الأندلسيين باللجوء إلى البلاد الإسلامية مغربا ومشرقا. وهكذا، كانت سياسة النصارى الإسبان في الاستيلاء على المدن الأندلسية و تخاذل سياسة أمراء الأندلس سببا قويا وحاسما في هجرة عدد كبير من الأندلسيين قسرا و عدوانا،فابن خلدون ذكر أن ملك قشتالة لمّا تكالب:" على الدولة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها، وأشفّ إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وإفريقية،"[2] باحثين عن أماكن آمنه لهم.

و انطلاقا ممّاسبق،يتضح أنّ الهجرة الأندلسية كانت نتيجة لأوضاع سياسية جعلت الأندلسيين يتخلون عن وطنهم الأم و ينتقلون إلى بلاد المغرب[3].وعليه،فإنّ الوضع الأندلسي الداخلي خصوصا السياسي منه كان عاملا سلبيا و هادما للنسيج السكاني الأندلسيّ ومفككا للتجمعات البشرية،حيث إنّ الصراعات بين الأندلسيين أنفسهم على السلطة والنفوذ و ما نجم عن ذلك من حروب و تخريب و تدمير للعمران ،و تشريد لفئات من السكان،و تزايد الضغط النصراني الإسباني و استمراره في مخططه العدواني بالاستحواذ على كل المدن الأندلسية و اقتلاع الوجود الإسلامي بانتهاج سياسة التهجير و التمسيح و التعذيب،كان عاملا حاسما في طرد جماعات من الأندلسيين من مدنهم وقراهم إلى نواحي من بلاد الأندلس مازالت مستقرة سياسيا

[1] ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص 33،34.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6،ص 438.

[3] خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،دراسة تاريخية وحضارية،633هـ 681هـ الموافق لـ 1235م 1282م، ص 280.

و خصوصا إلى الجنوب الأندلسي،أو إلى العدوة المغربية القريبة جغرافية من الجزيرة الأندلسية و الآمنة اجتماعيا و سياسيا.

2_ العامل الجغرافي والاقتصادي: إنّ التقارب الجغرافي بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي سهّل وشجّع الجالية الأندلسية من التنقل والتحرك بدون معوقات طبيعية،سواء من البحر أو من اليابسة.ولعل هذا ما دفع جغرافيا كالبكري ليخصص فصلا كاملا من كتابه لرسم خريطة لمراسي المغرب الأوسط، وذاكرا ما يقابلها من الجهة الأندلسية.

وفي هذا الإطار، ذكر أنّ مرسى مدينة تنس يقابله من بر الأندلس مرسى شنتبول، في حين يقابل مرسى شرشال من بر الأندلس مرسى مديرة،ومرسى الدجاج يقابله من بر الأندلس جزيرة ميورقة[1]. وانطلاقا من ذلك،يشير البكري إلى وجود علاقة جغرافية و طبيعية وثيقة بين العدوة الأندلسية و العدوة المغربية.

ولهذا نجد أنّ معظم الجاليات الأندلسية التي جاءت من الأندلس مهاجرة إلى المغرب الأوسط أجازت البحر كما عبر عن ذلك ابن خلدون غير ما مرة،بالإضافة إلى أنّ أحوال الطقس و المناخ السائد في بلاد المغرب الإسلامي تتشابه على الساحل مع مناطق الأندلس خاصة الساحلية منها،ممّا جعل الاستقرار ميسرا للأندلسيين الوافدين إلى بعض المدن الساحلية.ولذلك،يتبدى أثر العامل الجغرافي من خلال كون أغلب المدن الساحلية للمغرب الأوسط موطنا للجاليات الأندلسية منذ وقت مبكر.ويعود ذلك لقرب هذه المدن والمراسي من المدن والمراسي الأندلسية، حيث نجد مدينة هنين تقابل مدينة ألمرية، ومدينة مستغانم تقابل مدينة دانية بشرق الأندلس،ولا تبعد عنها إلا بنحو يوم وليلة[2].

وفضلا عن ذلك، فالعامل الجغرافي الطبيعي يتداخل مع العامل الاقتصادي، فمن العوامل المساعدة كذلك على استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى حاضرة تلمسان الزيانية ما تعرضت له دولة بني عبد الواد الزيانية من انهيار ديمغرافي، و نقص كبير في عدد سكانها بسبب النزعات العسكرية التي كانت تقع بين مملكة بني عبد الواد و القبائل البربرية الزناتية وقبائل عرب بني

---

[1] البكري،المغرب،صص 72،71.

[2] القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ،ج5،ص145.

هلال ،والحصار المشدد و الطويل الذي كان يُضرب مرارا على عاصمة الزيانيين من المرينيين والحفصيين،بالإضافة إلى انتشار الأمراض المعدية و الأوبئة الفتاكة،كمرض الطاعون الذي تسبب في هلاك كثير من سكان المملكة الزيانية[1].ولعل هذا الفراغ السكاني في عدد من مدن الدولة الزيانية كان من العوامل التي دفعت سلاطين بني زيان إلى الترحيب بالمهاجرين الأندلسيين والعناية بهم رسميا.

و من جهة أخرى،كان لمراسي المغرب الأوسط صلة أكيدة بتوافد الأندلسيين في وقت مبكر إلى المغرب الأوسط بقصد التبادل التجاري،إذ "كان أول من أحدث هذا المرسى وهران وجعله مرتبطا بالأندلس بعض البحارة والتجار الأندلسيون الذين كانوا يرغبون في الوصول إلى تلمسان." [2] و هذا ما نلحظه كذلك من خلال تلك الحركة البحرية النشطة التي يقودها البحريون الأندلسيون بين مراسي الأندلس والمغرب الأوسط[3].وأيضا بسبب وجود الثروات سواء كانت فلاحية أو حيوانية بالمدن الساحلية المغربية،وتوفر فرص العيش بها،لهذا شجع الأندلسيون على الاستثمار في هذه المدن وتجديدها ومشاركة سكانها الأصليين في تعميرها و تطويرها اقتصاديا،بل وصل الأمر ببعض الأندلسيين إلى تشييد مدن جديدة و تنشيطها زراعيا وصناعيا[4].

و عليه، يمكن اعتبار المدن الساحلية للمغرب الأوسط مصدر جذب للأندلسيين الذين يبحثون عن زيادة أموالهم و تنشيط تجارتهم.ومن ثم ،فالعامل الاقتصادي بهذه الصورة قد يدفع الأندلسيين إلى الهجرة من بلادهم، ولكن بأعداد أقل و بشكل قد يكون فرديا وباختيار منهم وليس قسريا،ثم هناك منافع قد تعود عليهم في هجرتهم،وتزيدهم قوة و ثراء.ولكن هناك عامل اقتصادي آخر معاكس لسابقه كان أداة هدم و سلب،دفع بكثير من الأندلسيين إلى الهجرة الجماعية من بلادهم إلى مناطق أخرى مجاورة لهم قسرا،نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية الناجمة

---

[1] ينظر مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،ج4، ص 47.

[2] عمر سعيدان،علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان ،في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م،منشورات ثالة،الجزائر،ط2،سنة 2011،ص 18.

[3] ينظر البكري،المغرب،صص61،81،82.

[4] ينظر المصدر نفسه،صص 61،70.

إمّا عن الأمراض والأوبئة أو عن تردي الأوضاع السياسية و احتدام الصراعات العسكرية واندلاع نيران الحروب.

وكان وراء كل سقوط لمدينة أندلسية ،حصار مشدد من الجيوش النصرانية،يتبعه مجاعة شديدة تدفع بالسكان إلى الاستسلام أو الموت جوعا،فمدينة اشبيلية سبق سقوطها ترد للأوضاع الاقتصادية بسبب الحصار المضروب عليها من النصارى الإسبان.وفي هذا الصدد يصف ابن عذارى حالة المدينة المنكوبة بالحصار:"وعدموا المرافق كلها قليلها وجليلها إلا ما كان في بعض ديار الأغنياء فانهم كانوا يحتاطون في تلك الأمور مثل الفقيه القاضي ابن منظور فإنه كان يطمع في إقلاع النصارى عن المدينة فيأمر الناس بالقتال والرمي بالنبال، والناس مع ذلك حيارى، يمشون سكارى وما هم بسكارى، ومات بالجوع خلق كثير، وعدمت الأطعمة من القمح والشعير، وأكل الناس الجلود، وفنيت المقاتلة من العامة وأصناف الجنود."[1] وهكذا،تم تسليم المدينة للنصارى سنة646هـ/1248م بسبب الجوع والحرمان والمرض وتخاذل الموحدين في نجدتهم[2].

ويلاحظ أنّه كلما ساءت الأوضاع السياسية بالأندلس و تعاظم الخطر النصراني استتبعه ترد في الأوضاع الاقتصادية.و هذا ما حدث بعد تتابع سقوط المدن في شرق الأندلس وغربها،بحيث لم يبق للمسلمين إلا غرناطة وضواحيها.والمؤكد أنّ الأندلسيين قد ساءت أوضاعهم بحيث لم تكن لهم القدرة على الاستمرار في الحياة بأية صورة من الصور،و ذلك بسبب استفحال الأمراض والأوبئة،و انتشار الجوع والفقر الشديد،و ارتفاع الأسعار وغلائها،وانعدام مصادر النقد من الصناعة والتجارة والزراعة[3].وبطبيعة الحال،فإنّ هذه الأحوال الاقتصادية المزرية كانت عاملا قويا و أداة ضغط ،ممّا أجبر الأندلسيين المطاردين على الهجرة إمّا نحو المدن الأندلسية التي لم تزل آمنة من العدوان ، أو النزوح الجماعي باتجاه المدن المغربية العامرة مثل حاضرة تلمسان الزيانية وحاضرة بجاية الحفصية.

---

[1] ابن عذاري ،البيان المغرب،قسم الموحدين،ص380.

[2] عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلسن،ج4،صص 484،485.

[3] علي أحمد،الأندلسيون في بلاد الشام،ص41.

ولا شك أنّ الحضور الأندلسي في هاتين المدينتين كان له تأثيرات حضارية واضحة وراسخة.وذلك ما سنسعى إلى تجليته في الفصلين اللاحقين.

الفصل الثالث

التأثيرات الحضارية الأندلسية في حاضرة تلمسان الزيانية

أولا – تأثير الجالية الأندلسية في الحياة السياسية

ثانيا – تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الثقافية

ثالثا – تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الاقتصادية

رابعا – تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية

خامسا – تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الفنية والعمرانية

أولا: تأثير الجالية الأندلسية في الحياة السياسية:

كان للجالية الأندلسيّة الوافدة على سلاطين بني زيان دور ريادي في الحياة السياسية، وفي تسيير دواليب الدولة سياسيا وإداريا،وقيادة الجيوش بحكنة ومهارة. و يعود ذلك إلى المكانة الاجتماعية والسياسية و العلمية للأندلسيين المهاجرين إلى حاضرة تلمسان الزيانية،حيث إنّهم كانوا من الأعلام وأهل البيوتات[1].

ويمكن تتبع ذلك من خلال الوظائف السلطانية و مراتبها في الدولة الزيانية التي تقلدتها الجالية الأندلسية،إذ كان النصيب الأكبر منها من حظهم،فأسندت إليهم الوزراة والحجابة والكتابة و جباية الأموال.ولتبيّن ذلك بوضوح،سنحاول استكشاف من تولى هذه الوظائف في المملكة الزيانية من الأندلسيين،و نعرّف بها ،ثم نحدد صلاحيات متوليها ونفوذهم، حتى يتضح مدى التأثير السياسي والإداري للجالية الأندلسية في حاضرة تلمسان الزيانية.

وفيما يخص الوزارة في البلاط الزياني،فإنّها تعتبر أسمى مرتبة في الدولة بعد السلطان، و صاحبها بمنزلة نائب السلطان الفعلي في أمور الحكم والحرب، وفي الأعمال السلطانية المختلفة،وقد تضاف إليه مهام اقتصادية ومالية و ربما إدارية[2]. وقد حدد السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني مهام الوزير و مكانته في البلاط الزياني،حيث أوصي ولي عهده مخاطبا إياه بقوله:"أول من يدخل عليك كاتبك و وزيرك إذ بهما صلاحك وتدبيرك،و ذلك أهم ما تبتدي به من أمرك،لتلقي إلى الكاتب ما أردت من سرك،ويعرض عليك الكتب الواردة من أقطارك وأمصارك،و ذلك بمحضر وزيرك،المخصوص برأيك وتدبيرك،ليجمع معك على الرأي والتدبير،والجليل من أخبارك والحقير،فإنّ الوزير على ما كان ما وصفناه،بالصفة التي ذكرناه،فلا ينبغي لك أن تخفي عنه شيئا من أمرك،بل تشاركه في حلوك ومرك، وقلك وكثرك."[3] ثم أمره إذا

---

1 ابن خلدون،العبر، ج6،ص 438.

2 بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ،صص 115،116،122.

3 أبو حمو موسى بن يوسف،واسطة السلوك في سياسة الملوك،مطبعة الدولة التونسية،تونس،سنة 1279هـ/1862مـ، صص 81،82.

خرج الكاتب من عنده بقوله:" وتبقى أنت مع وزيرك تتفاوض فيما يصلح الدولة،ويعود عليها بالمنفعة على الجملة والتفصيل. "[1]فمن خلال هذا النص،يتضح أنّ الوزير كان صاحب مشورة السلطان الزياني وسره ،بل يدبر سياسة دولته و يشاركه في أمره ونهيه،و في اتخاذ القرارات و وضع الخطط لحل الأزمات و تسيير أمور المملكة، وهذا فيه دلالة واضحة على النفوذ القوي للوزير في دولة بني زيان.

و يبدو أنّ هناك شخصيات أندلسية قد تولت منصب الوزارة في عهد بعض السلاطين الزيانيين،فنجد أنّ مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن قد كان له وزراء من غير أصل أندلسي،وقد ذكرهم يحي بن خلدون في "بغية الرواد"[2]،ولكنّ أخاه عبد الرحمن ذكر أنّ ابن وضاح وفد عليه من الأندلس .و الظاهر أنّه شخصية مرموقة ومشهورة في ميدان السياسة، فرحب به و قربه إلى مجلسه و خصه بتدبير شؤون دولته و مشاورته في أموره الخاصة والعامة، ليكون تثبيتا لدعائم دولته[3].و في هذا الصدد،يقول ابن خلدون أنّه :" وفد عليه لأوّل دولته ابن وضّاح إثر الموحدين، أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس، فآثره وقرّب مجلسه وأكرم نزله، وأحلّه من الخلّة والشورى بمكان اصطفاه له."[4] وهنا نتساءل إذا كان ابن وضاح فعلا وزيرا من وزراء السلطان يغمراسن؟وذلك لأنّ ابن خلدون لم يصرح في مقولته السابقة بهذه الوظيفة حين تحدث عن مكانته عند السلطان يغمراسن،إذ أعلن أنّه شخص مقرب و ملازم للسلطان ومؤهل لمشورته.ثم قد يتبادر إلى أذهاننا تساؤل آخر عن طبيعة المكان الذي اصطفاه يغمراسن لابن وضاح في مملكته؟وفي كل الأحوال يظل هذا الموقع السياسي غامضا وملتبسا.

و في عهد السلطان الزياني أبي حمو الأول ،وفد عليه بيت من بيوتات الأندلس،وهم بنو ملاح ،إلى حاضرة تلمسان،فولاهم وظيفة الوزارة و خطة الحجابة معا،و لكن قبل الحديث عن

1 أبو حمو موسى بن يوسف،واسطة السلوك في سياسة الملوك ،ص 82.

2 وهم يحيى بن مجن،و أخوه عموش،ثم ابنه عمر ،ثم يعقوب بن جابر الخراساني. يحي بن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ج1،ص 205.

3 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص178.

4 ابن خلدون،العبر،ج7،ص106.

تاريخ هذه الأسرة و وزرائها لابأس أن نتطرق إلى مفهوم الحجابة و مهامها في دولة بني عبد الواد الزيانية.

يُعرف عبد الرحمن بن خلدون الحجابة في العهد الزياني بقوله:" وإنّما يخصون(سلاطين بني عبد الواد) باسم الحاجب في بعض الأحوال منفّذ الخاصّ بالسّلطان في داره، كما كان في دولة بني أبي حفص. وقد يجمعون له الحسبان والسجل كما كان فيها، حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في بيعتها وقائمين بدعوتها منذ أوّل أمرهم."[1] فابن خلدون يحصر مهام الحاجب في دولة بني زيان فيما يخص السلطان و داره،وبعض المهام المالية،ويعتبر أنّ بني عبد الواد مقلدون لجيرانهم في أمر الحجابة.

إلاّ أنّ المتتبع لمهام الحاجب في واقع سياسة هذه الدولة، سيجد أنّ مهامه تعادل مهام الوزير وقد تفوقه أحيانا.وهذا ما نستشفه ممّا قاله يحيى بن خلدون عن حاجب يغمراسن:"وحاجبه الأقرب ومشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن مُحَّد الحبَّاك."[2] ونجد أيضا أنّ وزراء أبي حمو الأول هم أنفسهم حجابه[3]،وبالتالي فإنّ خطة الحجابة في بداية دولة بني زيان كان لها نفس المفهوم والمهام والشكل ،الذي ربما كانت عليه في بلاد الأندلس.وهذا ما لا نجده في دولة بني حفص.وطبعا كان ذلك في صدر الدولة الزيانية،ولكن بعد ذهاب دولة أبي تاشفين الأول،زالت خطة الحجابة،ولم يبق لها وجود واستبدلت بوظيفة أخرى استحدثها السلطان أبو حمو موسى الثاني،وهي المزوار [4]*.

---

1 ابن خلدون،المقدمة، ج2،ص13.

2 يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص205.

3 المصدر نفسه ،ج1،ص 212.

4 ينظر بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،صص 131،134،139.

* **المزوار**:وهي خطة اتخذها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني لتقوم مقام الحجابة،في بعض المهام الخاصة بالسلطان وداره.فمن مهام المزوار التصرف في شؤون السلطان و شؤون قصره،و تنفيذ عقوباته وانتقامه،وحراسة بابهنوحفظ أمنه و أمن قصره.ينظر بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ص139.

و يمكن تلخيص مهام الحاجب في دولة بني زيان في الاتصال بالرعية و مقابلتهم،و القيام بالسفارات والمفاوضات مع الدول الأخرى،و التصدي لكل ما يُشغل السلطان ويهمه[1].

وعليه، فقد أُسند إلى أسرة بني ملاح الأندلسية بالبلاط الزياني في عهد السلطان أبي حمو الأول خطة الحجاية و الوزارة.ولكن قبل أن نتعرف على وزرائها وحجابها،لابد من التطرق إلى تاريخ هذه الأسرة و كيفية دخولها إلى حاضرة تلمسان الزيانية.

أسرة بني ملاح الأندلسية معروفة بالمكانة العالية في العلم والأدب و التجارة والفلاحة والخبرة السياسية،وهم من أهل قرطبة. ويصفهم يحي بن خلدون بأنّهم :" بيت سراوة من أهل قرطبة احترافهم السكاكة،أولوا أمانة فيها ودين ."[2] و يُعرفهم عبد الرحمن بن خلدون بقوله:" وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان بحجابته سائر أيامه، وكان مسمّى الحجابة عنده قهرمة الدار والنظر في الدخل والخرج، وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكّة الدنانير والدراهم، وربما دفعوا إلى النظر في ذلك ثقة بأماناتهم، نزل أوّلهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الأولى وزادوا إليها الفلاحة. "[3]ويبدو أنّ هذه الأسرة قد وفدت إلى حاضرة تلمسان في عهد السلطان يغمراسن بدليل وجود أحد أفراد هذه الأسرة في منصب صاحب الأشغال ، هو عبد الرحمان بن مُحَّد بن الملاح[4].

و الظاهر،أنّ ظهور أفراد هذه الأسرة بقوة في الدولة الزيانية بدأ في عهد السلطان عثمان بن يغمراسن،والذي استفاد من خدماتهم، ثم لما تولى أبو حمو الأول الحكم، قربهم إليه [5] ،و ألقى إليهم "مقاليد الوزارة والحجابة"[6]،فكان أولهم مُحَّد بن ميمون بن ملاح،ثم خلفه ابنه مُحَّد الأشقر،ثم من بعده اشترك ابنه إبراهيم بن مُحَّد و عمه علي بن عبد الله بن ملاح في خطة الوزارة

1 بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ،ص132.
2 يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص 213.
3 ابن خلدون،العبر، ج7،صص 140،141.
4 يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص 205.
5 ابن خلدون،العبر، ج7،ص 141.
6 يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص 212.

و الحجابة،حيث كان الاثنان يقومان بمهمتهما بدار السلطان أبي حمو، و يحضران خلوته مع خاصته[1].

ولكن ما إن صار ابن تاشفين حاكما على مملكة بني زيان بعدما تآمر على أبيه أبي حمو الأول وقتله حتى شرع في إبعاد كل من كان حليفا ومقربا من والده،و أولهم وزراءه من أسرة بني ملاح،فاستأصل شأفتهم و أبعدهم كلية عن القصر وشؤونه، و أنهى حضورهم السياسي بالمملكة الزيانية[2].

و ليس معنى هذا أنّ النفوذ الأندلسي في البلاط الزياني قد اختفى تماما،فقد ظهر في النصف التاسع الهجري طبقة أندلسية متكتلة ضاغطة.و من أجل الحفاظ على نفوذها ومصالحها،كانت تثير الدسائس وتقاوم معارضيها بشتى الطرق، محاولة فرض وصايتها على سلاطين بني زيان،و خاصة في عهد الأمير عبد الواحد بن أبي عبد الله (814هـ /827هـ)، الذي أحاط نفسه بجماعة من الأندلسيين،والتي كانت تدفعه إلى اللهو و الاشتغال بالملذات و الترف، حتى يتسنى لها السيطرة على دواليب الدولة الزيانية إداريا وسياسيا.ولعل هذا ما أقلق بعض شيوخ بني زيان،و جماعة من علماء تلمسان[3].

و إلى جانب وظيفة الوزارة وخطة الحجابة،هناك وظيفة سلطانية لا تقل أهمية عنهما، وهي الكتابة،وقبل أن نستكشف الشخصيات الأندلسية التي تولت هذه الخطة في البلاط الزياني، من المستحسن أن نتعرف على طبيعة هذه الخطة و أقسامها ومهامها في دولة بني عبد الواد.

1 ينظر ابن خلدون،العبر، ج7،ص141.

2 المصدر نفسه، ج7،ص141.

3 ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص179.

إنّ الكتابة في ظل الدولة الزيانية تنقسم إلى قسمين، كتابة إنشاء وكتابة العسكر[1]:

أمّا فيما يخص كتابة الإنشاء ، فهي مصطلح "خاصّ يستعمله أهل الديوان ويتلقّظون به وهو كتابة الإنشاء، وعامّ يتلفظ به عامّة الناس وهو التّوقيع. "[2] وسبب تسميتها بكتابة الإنشاء هو " تخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذي هو أصل موضوعها، وهو مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه، بمعنى أن الكتاب يخترع ما يؤلّفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرهما، أو أنّ المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه."[3] وأمّا تسميتها بالتوقيع :" فأصله من التوقيع على حواشي القصص وظهورها، كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كتّاب الدست ومن جرى مجراهم بما يعتمد في القضية التي رفعت القصّة بسببها، ثم أطلق على كتابة الإنشاء جملة."[4] و كاتب الإنشاء هو كاتب السر في الدولة[5]، و هو الأقرب إلى السلطان[6].

و يمكن إيجاز مهام كاتب الإنشاء في الدولة الزيانية في أنّه يكتب للسلطان رسائله وعهوده،و معاهداته، كما يقوم بقراءة ما يأتيه من مراسلات وخطابات من الملوك ورؤساء الدول، و يتولى أيضا مهمة التوقيع بين يديه،و يُصدّر بعبارة بليغة موجزة أوامره المكتوبة[7].وقد تطرق السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني في كتابه"واسطة السلوك" إلى كيفية التعامل مع الكاتب،حيث أوصى ولي عهده بأن يستقبله برفقة الوزير، وأن يقوم الكاتب بعرض عمله عليه،من

---

[1] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ص 205.
[2] القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص 83.
[3] المصدر نفسه ، ج1،ص 83.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص 83.
[5] ينظر بوزياني دراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ص140.
[6] ينظر القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص 86.
[7] ينظر بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ص141.

كتابة أوامره و قراءة الرسائل،و أن يكون الكاتب ذا نباهة و فطنة عند قراءة الرسائل حتى لا يقع في تجريح أحد الجلساء،أو يتعرض لإفشاء سر من أسرار السلطان[1].

هذا فيما يتعلق بكتابة الإنشاء ومهامها في دولة بني زيان، وهناك قسم آخر من الكتابة ورد ذكره في "بغية الرواد"،وبالأخص،في عهد السلطان يغمراسن،ويسمى ب"كتابة العسكر"[2].والظاهر أنّ مهمة كاتب العسكر هو أن يعمل على سجلات أفراد الجيش،فيقوم بفتحها وتسجيل أسماء الجنود والضباط،ويقوم بتصنيفهم بتصنيف معين[3]. ويرى بعض الباحثين أنّ ظهور هذا النوع من الكتابة في عهد مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن[4]، ثم اختفاؤها في عهد السلاطين الآخرين يعود سببه إلى أنّها أدرجت ضمن مهام موظفين آخرين في الدولة مثل الوزير أو غيره[5].

ونلاحظ أنّ السلطان يغمراسن مؤسس الدولة،قد اتخذ لنفسه كاتبا أندلسيّا له شهرته في عالم الأدب واللغة والبلاغة وفن كتابة الرسائل، وهو أبو بكر مُحَّد بن عبد الله بن دواد بن خطاب الغافقي المرسي ، انتقل إلى حاضرة تلمسان من مدينة مرسية الأندلسية،وكان في الأندلس من أبرع الكُتاب[6]،انتقل إلى غرناطة،فكان كاتبا لأحد ملوكها ،وصاحب قدر و مكانة عالية فيها[7]، ثم رجع إلى مدينته مرسية،و حينما ساءت الأوضاع بها هاجر إلى تلمسان واستوطنها[8] حتى وافته المنية بها في شهر العاشر من محرم سنة686 هـ[9]، وقد عُرف بأنه كان "مرسلا بليغا، وكاتبا مجيدا،

---

[1] أبو حمو موسى بن يوسف،واسطة السلوك،ص 82.

[2] يحي بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص205.

[3] بوزياني الدارجي،نظم الحكم في حكم دولة عبد الواد الزيانية،ص144.

[4] و كاتب عسكر السلطان الزياني يغمراسن هو الفقيه أبو عبد الله مُحَّد بن المعلم. ينظر يحي بن خلدون،بغية الرواد، ج1، ص 205.

[5] بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة عبد الواد الزيانية،ص145.

[6] ينظر يحي بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص205.

[7] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص426.

[8] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1،ص205.

[9] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة،مج2،ص 433.

وشاعرا محسنا. "[1] و يُوصف بـ"النباهة وحُسْن فهم،و ذو فضل وتعقل،وحسن سَمْت."[2] و جعله يغمراسن من كُتاب إنشائه، فكان يكتب له رسائله إلى الملوك من الموحدين بمراكش وبني حفص بتونس [3].

وهناك كاتب آخر من أصل أندلسي برز في البلاط الزياني،في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني، وهو يحيى بن خلدون بن مُحَّد بن خلدون، المكنى بأبي زكرياء[4]،التونسي النشأة التلمساني الدار[5]،ولد سنة 734هـ/1333م[6]. و رغم أنّه لم يأت إلى تلمسان مع الجاليات الأندلسية، فإنّه وفد على عاصمة الزيانيين من الدولة الحفصية بافريقية،و مع أنّه وُلد في منطقة المغرب الإسلامي ،إلا أنّه يبقى منتميا إلى الأندلس موطن أجداده.

وعليه،فيحيى بن خلدون كغيره من الأندلسيين الوافدين على المغرب الإسلامي، هاجرت أسرته من الأندلس ضمن جالية استقر بها المقام بافريقية في ظل الدولة الحفصية، وقد كانت أسرته تسكن إشبيلية،ثم عند استيلاء الإسبان النصارى عليها،اضطرت إلى الهجرة من بلاد الأندلس إلى سبتة بالمغرب الأقصى، ثم دخلت في خدمة سلاطين بني حفص بتونس.وهذه الأسرة من أصول يمنية عربية،هاجرت من اليمن إلى الأندلس في مرحلة الفتح،واستقرت بالعدوة الأندلسية، وقد نالت مكانة سياسية في عهد الخلافة الأموية،ثم في عهد ملوك الطوائف،وسكنت مدينة إشبيلية واستقرت بها،ولكن وقوع هذه المدينة بيد الإسبان،دفع هذه الأسرة إلى العدوة المغربية،وبالتحديد إلى افريقية[7].

---

[1] ابن خلدون،العبر، ج7،ص 106.

[2] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة،مج2،ص 426.

[3] ينظر ابن خلدون، العبر، ج7،ص 106.

[4] عبد الحميد حاجيات،مقدمة المحقق،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،يحيى بن خلدون،ج1،ص7.

[5] مُحَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن دحمان،إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،مج1،ص465.

[6] عبد الحميد حاجيات،مقدمة المحقق: يحيى بن خلدون،حياته وآثاره ،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحيى بن خلدون ،ج1،ص7.

[7] ينظر عبد الرحمن بن خلدون،رحلة ابن خلدون، من ص27 إلى ص 36.

وقد انتقل يحيى بن خلدون إلى حاضرة تلمسان،واستوطنها،وذلك في سنة 769هـ/1367م،قادما من مدينة بسكرة[1]. وذلك لأنّ السلطان الزياني أبا حمو موسى الثاني طلب منه المساعدة والدخول في خدمته كما صرح بذلك يحيى بن خلدون[2] ،أو كما أورد أخوه عبد الرحمن، أنّه هو من طلب من أخيه يحيى أن يذهب إلى الأمير أبي حمو الثاني ليكون في خدمته نيابة عنه[3].و عند اتصال يحيى بن خلدون بالسلطان أبي حمو الثاني، قرّبه إليه،و ولاّه خطة الكتابة وجعله من مستشاريه وأقرب الناس إليه[4]. وقد استمر في منصبه إلى أن تعرض للقتل بتدبير من الأمير أبي تاشفين بن السلطان أبي حمو موسى الثاني سنة 780هـ /1378م[5].

و من الأندلسيين الذين كانوا أيضا من جملة كُتاب السلطان أبي حمو موسى الثاني الأديب الشاعر محمد بن صالح شقرون،و هو من أصل أندلسي،ينتسب إلى جزيرة شقر من بلاد الأندلس،كان على قيد الحياة سنة 765هـ/1364م،وسنة وفاته غير معلومة[6]،ذكره يحيى بن خلدون في قوله:"محمد بن صالح شقرون،أحد كتاب دولته(السلطان أبو حمو موسى الثاني)الكريمة."[7] و كذلك أشار يحيى بن خلدون إلى كاتب أندلسي آخر من كُتاب أبي حمو الثاني الزياني وهو محمد بن علي بن قاسم المرسي،وكان على قيد الحياة سنة 776هـ/1375م[8]. ويُضيف المقري وابن مريم الأديب الشاعر محمد بن يوسف القيسي الثغري الأندلسي التلمساني إلى

---

[1] بوزياني الدراجي،تقديم، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،يحيى بن خلدون، ج2،ص14..

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد،تحقيق:بوزياني الدراجي،دار الأمل للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة2007، ج2،ص 387.

[3] عبد الرحمن بن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص 99.

[4] يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج2،صص 387،388.

[5] عبد الحميد حاجيات،مقدمة المحقق،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،يحيى بن خلدون، ج1،ص43.

[6] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج2،ص294. محمد بن رمضان شاوش،الغوثي بن دحمان،إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 2011،مج1،صص513،515.

[7] يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج2،ص294.

[8] ينظريحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج2،ص558. محمد بن رمضان شاوش،الغوثي بن دحمان،إرشاد الحائر،مج1،ص518.

قائمة الكُتاب الأندلسيين في بلاط أبي حمو الثاني[1]،بينما ذكر يحيى بن خلدون أنّه كان:"أحد شهود الدخل والخرج ببابه(السلطان أبو حمو موسى الثاني) الكريم."[2] و يؤشر هذا على المكانة السياسية المرموقة التي وصل إليها الأندلسيون المهاجرون إلى المملكة الزيانية،خصوصا في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني الزياني.

و من الخطط التي أُسندت إلى الأندلسيين في دولة بني زيان خطة صاحب الأشغال،و هي كما يقول ابن خلدون :" من الوظائف الضرورية للملك. "[3] و يُعرّفها بأنّها:" هي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج،وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إبّاناتها، والرّجوع في ذلك إلى القوانين الّتي يرتّبها قوَمَةُ تلك الأعمال وقَهَارِمة الدّولة.وهي كلّها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبنيّ على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلّا المهرة من أهل تلك الأعمال. "[4]فصاحب،إذن، الأشغال تتلخص مهامه في الإشراف على ديوان الجبايات والأعطيات،و العناية بالسجلات المالية و تسجيل المداخيل و النفقات فيها[5]. و يلاحظ أنّ هذه الخطة تحتاج إلى خبرة واسعة و مقدرة كبيرة كبيرة في مجال الأموال والحسابات.ولهذا نجد أنّ مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن قد اعتمد على أحد أفراد أسرة بني ملاح الأندلسية، وهو عبد الرحمن بن مُحَّد بن ملاح[6].

---

[1] المقــري،نفح الطيــب،ج6،ص427،ج7،صــص 121،125.ابــن مريم،البســتان،ص223.-.J.-J. M.l'abbé L.Bargés,complément de l'histoire des Beni-zeiyan,rois Tlemcen,Ouverge du Cheikh Mohamed Abd al-Djalil al-Tenessy,ENAGEdition,Alger,2011,p218.

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،87.

[3] ا بن خلدون،المقدمة،ج2،ص 14.

[4] المصدر نفسه ،ج2،صص 14،15.

[5] بوزياني الدراجي،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ص164.

[6] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 205.

وقد وصل التأثير الأندلسي في المملكة الزيانية إلى إدارة الجيوش و قيادة الجند، حيث نجد أسرة أندلسية تولت مناصب عسكرية ، وهي المعروفة باسم "الآبلي"،نسبة إلى آبلة[1]،الواقعة في شمال الأندلس،انتقلت هذه الأسرة ضمن جالية أندلسية إلى حاضرة تلمسان،في عهد السلطان الزياني يغمراسن [2]، الذي استعمل أفرادها في صفوف الجيش،"كجنود وضباط في الفرق العسكرية." [3] وعلى وجه التحديد إبراهيم الآبلي وأخوه مُحَمَّد؛وقد تزوج إبراهيم بنت قاضي تلمسان في تلك الفترة،مُحَمَّد بن غليون،و أنجب منها مُحَمَّدا الذي صار فيما بعد شيخ العلوم العقلية في ذلك العصر وتتلمذ عليه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحي.

و يبدو أنّ إبراهيم الآبلي قد وصل إلى رتبة قيادة الجند في الجيش الزياني حيث كان قائدا عسكريا تحت إمرته عدد من الجند بمرسى هنين الواقعة بتلمسان،ولكن لم يلبث حتى وقع في أسر يوسف بن يعقوب وصار رهينة عنده،فأراد ولده مُحَمَّد أن يُنقذه،بعدما أُشيع أنّ يوسف بن يعقوب سيُطلق الرهائن بهنين شريطة أن يُسلم أبناؤهم أنفسهم إليه،فصدّق مُحَمَّد هذه الإشاعة، والتحق بأبيه، وسلم نفسه ليوسف بن يعقوب،فوجد أنّ الخبر مجرد إشاعة،فماكان من يوسف بن يعقوب إلاّ أن أكرمه و نصبه قائدا على الجند الأندلسيين بتَاوَريرَت،ولكنه مالبث أن اعتزل هذه الوظيفة العسكرية و اتخذ لنفسه طريقا آخر غير طريق الجندية[4].و بعدما قام برحلة إلى المشرق و في أنحاء المغرب لطلب العلم ،عاد إلى بلده تلمسان، فكان السلطان الزياني أبو حمو الأول يُكرهه على القيام ببعض أعمال الدولة و إدارة شؤون الجبايات،فعاد مرة أخرى إلى الرحلة، و ذهب إلى المغرب الأقصى ليستزيد من طلب العلم[5].

---

1 **آبِلة**:(**Avila**) عرضها الشمالي 93–40،و طولها الغربي 44_4:مدينة في الشمال الغربي لمقاطعة مدريد من إقليم آبلة.وهي،كما قيدها ابن خلدون،بهمزة مفتوحة ممدوة،وياء موحدة مكسورة. عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، الهامش 5،ص 49.

2 المصدر نفسه،ص 49.

3 بلعربي خالد،ورقات زيانية،دراسات و أبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،سنة2014،ص19.

4 ابن خلدون، رحلة ابن خلدون،صص 49،50.

5 المصدر نفسه،ص 41.

وكذلك كان للأندلسيين المهاجرين إلى حاضرة تلمسان مشاركة مهمة في جهاز القضاء،حيث نجد أغلب أفراد أسرة العقباني الأندلسية قد تولوا القضاء،ومن أبرزهم القاضي المجتهد سعيد بن مُحَّد العقباني ،و قد اعتلى منصة القضاء في أكثر من مدينة في بلاد المغرب،على امتداد أربعين سنة ونيف،في كل من تلمسان و بجاية ووهران و مراكش وسلا[1]. ويليه ولده القاضي قاسم بن سعيد العقباني [2]. ثم أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني الفقيه ،وهو من فقهاء المالكية وقضاة تلمسان[3].و أيضا إبراهيم بن القاسم بن سعيد العقباني،و مُحَّد بن إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن مُحَّد العقباني،و عبد الواحد بن أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني،وجميعهم عرفوا بقاضي الجماعة [4].

و على ضوء ما سبق،فالجالية الأندلسية بتلمسان كان أثرها ملحوظا و عميقا في إدارة الشؤون السياسية و الإدارية والعسكرية للدولة الزيانية،و هذا كان له دوره في تجديد بناء دولة بني عبد الواد، و إخراجها من الطابع البدوي القبلي إلى مدارج العمران و التحضر.

ثانيا: تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الثقافية:

مما لا شك فيه، أنّ كل نشاط ثقافي في أي مجتمع يتجسد من خلال الرقي الحضاري والازدهار الثقافي و النبوغ الفكري،و يشمل كل النواحي المعنوية والروحية والمادية، والعملية والمعرفية و جميع أصناف النشاط الفكري[5]. و بناء على ذلك ،فإنّ الجالية الأندلسية كان لها تأثيرها الواضح على كل نشاط ثقافي و ازدهار فكري و أدبي و فني في عموم منطقة المغرب الاسلامي ،و بالخصوص في حواضر المغرب الأوسط.و قد صرح ابن خلدون بذلك في قوله:" وأمّا المغرب فانتقل إليه منذ دولة الموحّدين من الأندلس حظّ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان

---

1 التنبكتي، أحمد بابا ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية،منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،ليبيا،ط1،سنة 1989 ،ص 190.

2 المصدر نفسه ، ص 365.

3 المصدر نفسه ، ص 118.ابن مريم،البستان،ص 51.

4 التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 65.ابن مريم،البستان،ص 224. الحفناوي،تعريف الخلف بالسلف،ص 249.

5 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في عهد الزياني،ج2،ص 317.

لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس وانتقل الكثير من أهلها إليهم."[1] ولقد وفد على حاضرة تلمسان عدد كبير من الأندلسيين المهاجرين، وفيهم العلماء و الأدباء والفنانون الذين وجدوا العناية والرعاية والترحاب من سلاطين بني زيان. والمؤكد أنّ الأندلسيين كانوا متفوقين على غيرهم في العلوم والفنون والآداب والصناعات،فكان حضورهم النوعي والمعرفي بحاضرة تلمسان الزيانية ذا فائدة كبرى على الحركة الثقافية ،وكان من آثاره البارزة نشوء نشاط علمي وفكري و أدبي كبير [2] وواسع.

و إضافة إلى ما سبق،فهناك عامل ساهم لو من بعيد في دخول الثقافة الأندلسية إلى حاضرة تلمسان و انتشارها ،و هو ميل كثير من علماء تلمسان[3] إلى الرحلة في طلب العلم خصوصا إلى العدوة الأندلسية[4] ،و كذلك اعتماد حلقات التعليم والتدريس بحاضرة تلمسان على كثير من المؤلفات الأندلسية،حيث أخذ بها أساتذة المدارس التلمسانية وطلابها[5].و عليه،فإنّ الحركة الثقافية في تلمسان الزيانية استفادت في نشاطها و مضمونها المعرفي على راوفد ثقافية أندلسية ومشرقية متعددة[6].

---

1 عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة،ج2،ص225.

2 ينظر مُحَمَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن دحمان،إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ،مج1،316.

3 نذكر منهم أبا علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي،نزيل تلمسان(ت 770- 1368م):له مشاركة في كثير من العلوم العقلية والنقلية. قرأ بالأندلس على الإمام ابن الفخار البيري و أجازه وأذن له بالتدريس.ينظر أحمد بابا التنبكتي ،كفاية المحتاج من ليس في الديباج.ج2،صص250،249. عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج2،ص330. ونستحضر من علماء تلمسان أيضا أبا عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مرزوق (ت 842هـ/1438مـ): أجازه بالأندلس ابن الخشاب القبجاطي،والحفار،وابن علاق،و ابو مُحَمَّد بن جزئي. ينظر ابن مريم، البستان، من ص 201 إلى ص212. عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج2،صص335،366.

4 ابن مريم،البستان،ص 120 .عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج2،ص327.

5 يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،صص 100،131.

6 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العصر الزياني،ج2،ص 328.

وهكذا، فإنّ حاضرة تلمسان قد شهدت في ظل دولة بني زيان ازدهارا ثقافيا و نشاطا علميا كبيرا و حركة فكرية قوية،و نبوغا أدبيا ملحوظا،و ذلك استنادا إلى العدد الكبير من العلماء وإلى إنتاجهم الفكري الثري في ذلك العصر[1].

و قد تجلت التأثيرات الأندلسية الثقافية في حاضرة تلمسان الزيانية في عدة مجالات علمية و دينية ،و هذا بفضل شخصيات علمية و أدبية أندلسية وبيوتات من الأندلس ذات قدر كبير من الثقافة و الثراء المعرفي،استقرت بتلمسان ولقيت عناية و حظوة عند سلاطين بني زيان.

و فيما يلي تفصيل لأهم المجالات الثقافية، و أبرز من برع فيها من الشخصيات الدينية والعلمية الأندلسية في حاضرة تلمسان الزيانية:

1_في مجال العلوم الدينية: لقد شهدت حاضرة تلمسان الزيانية بروز جماعة كبيرة من الأندلسيين الذين تخصصوا في العلوم الدينية من فقه و أصول و علوم الحديث وعلوم القرآن والتصوف.و قد كان لهم دور في إثراء الحياة العلمية و الدينية بالتأليف والتدريس والاجتهاد الفقهي ،فمنهم علماء بارزون و بيوتات أندلسية كل أفرادها توارثوا العلوم الدينية و برعوا فيها.وهذا ما سيتضح من خلال التراجم التالية:

_ **أبو مدين شعيب الإشبيلي الأندلسي:**هو أبو مدين شعيب بن الحسين[2] الأنصاري[3]،الأندلسي[4]،أصله من إشبيلية[5]،وهاجر إلى العدوة المغربية،فأخذ العلم بمدينة فاس من الشيخ علي بن حرزهم،و ألبسه الشيخ أبو عبد الله الدقاق خرقة الصوفية[6] ،و ذكر يحيى بن

---

1 ينظر مُحَّد الطمار،تلمسان عبر العصور،دورها في سياسة وحضارة الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة 2007،ص225.

2 ينظر الغُبريني،عُنوان الدّراية ،ص55.يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص125.

3 يحى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 125.

4 الغُبريني،عُنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،ص55.

5 عند الغبريني هو :"من ناحية اشبيلية،ومن حصين يقال له منتوجب." الغبريني،عنوان الدراية،صص55،56.وعند يحيى بن خلدون:"منشؤه قطنيانة من قرى اشبيلية." يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 125.

6 يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص125.

خلدون أنّه :"سلك على شيخ المشائخ أبي يعزى"[1].و أورد الغبريني أنّ الشيخ أبا يعزى كان :" يثني عليه و يشكره ويقول بلسانه :"ايشار أقان اندلسي."[2]والمراد بالعبارة:المشار إليه هو الأندلسي[3].وصار أبو مدين من كبار المتصوفة،و المؤسس لمدرسة التصوف في المغرب الإسلامي،وبالخصوص في المغرب الأوسط،حيث "نزل ببجاية و أقام بها إلى أن أمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش." [4] و اتخذ حاضرة بجاية مقرا له،وكثر أتباعه فيها،وزادت شهرته في ربوع المغرب الإسلامي،حتى أخاف الأمير الموحدي يعقوب المنصور[5]،فطلب منه المجيء إليه بمراكش[6]، حتى يكون تحت مراقبته وسيطرته. ولما وصل أبو مدين شعيب إلى تلمسان[7] ،نزل بقرية يُطلق عليها "العباد"[8]،فأصابه المرض و توفي بها سنة594هـ،ودفن بهذه القرية،حيث صار قبره بمدينة تلمسان مقصد الزوار،من بلاد المشرق والمغرب[9].وصفه الغبريني بأنّه :" الشيخ الفقيه،المحقق،الواصل،القطب شيخ مشائخ الإسلام ،في عصره إمام العباد والزهاد وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد...فتح الله عليه بمواهب قلبية ،وأسرار ربانية استفادها بالتوجه والعمل،وارتقى إلى غاية ما يؤمل."[10] وقال عنه يحي بن خلدون في "بغية الرواد" بأنّه "الشيخ الصالح قطب العارفين وشيخ المشايخ."[11]

---

[1] يحي بن خلدون،بغية الرواد ،ج1،صص125،126.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،56.

[3] ينظر،رابح بونار، الهامش رقم 3،ضمن عنوان الدراية ،الغبريني .ص56.

[4] ابن الزيات يوسف ابن يحيي التادلي،التشوف إلى رجال التصوف،تحقيق:علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر،ط.1،سنة1427/2007،ص.259

[5] يحي بن خلدون،بغية الدراية،ج1،126.

[6] الغبريني،عنوان الدراية،ص60.

[7] يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 126.

[8] الغبريني،عنوان الدراية،ص60

[9] يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص126.

[10] الغبريني،عنوان الدراية،صص 55،56.

[11] يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 125.

ورغم أنّ أبا مدين شعيب لم يسكن تلمسان، ومات قبل تأسيس دولة بني زيان،إلاّ أنّ أثره في تأسيس علم التصوف و تطويره ونشره امتد إلى ما بعد وفاته،في ربوع المغرب الإسلامي ،وبالخصوص في حاضرة تلمسان في العهد الزياني التي انتشر فيها التصوف انتشارا واسعا و مؤثرا في مناحي الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية.

وإضافة إلى ذلك،فإنّ للشخصيات الأندلسية الوافدة على المغرب الإسلامي كان لها أثرها العميق والبارز في نشر التصوف في عموم هذه المنطقة،و بالأخص في المغرب الأوسط .و يتجلى هذا في أبي مدين شعيب بوصفه الشخصية الأندلسية التي أسست تيارا من التصوف له طبيعته الخاصة ،و قامت بتوسيع رقعته الجغرافية و تأصيل مضمونه المعرفي. وهكذا صارت حاضرة تلمسان مزارا لكثير من محبي التصوف و معتنقيه،ومركزا من مراكز نشر ثقافة التصوف بسبب احتضانها رفات هذه الشخصية الصوفية المؤثرة والكبيرة في عالم التصوف.

و قد اشترك في ترجمة هذه الشخصية الأندلسية المغربية الغبريني صاحب "عنوان الدراية" و يحيى بن خلدون في "بغية الرواد" ،فالأوّل ذهب إلى أنّها من الشخصيات المهمة في حاضرة بجاية[1]،و الثاني عدّها من كبار العلماء والصالحين الذين أنجبتهم حاضرة تلمسان[2].ولهذا تُعتبر شخصية أبو مدين شعيب شخصية مغربية بجائية تلمسانية أندلسية،وكان لها الفضل في بناء صرح الحياة الثقافية بحاضرة تلمسان في العهد الزياني،سواء بالفكر الصوفي الذي تركته ووّرثته لتلاميذها،أو بوجود مدفنها بقرية العباد الواقعة في حاضرة تلمسان.

_ **أبو عبد الله الحلوي**: ترجم له يحيى بن خلدون في بغية الرواد و ابن مريم في البستان،ولا نجد له ذكرا في كتب التراجم الأخرى.وهو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي،من بلاد الأندلس،وفد على تلمسان واستقر بها،و قيل إنّه كان قاضيا بإشبيلية في عهد دولة الموحدين،فتخلى عن منصب القضاء و فر منه ،ثم لجأ إلى مدينة تلمسان متخفيا في زي المجانين سالكا حياة التصوف والزهد والتفرغ للعبادة.و قيل سبب تسميته بالحلوي يرجع إلى بيعه الحلوى بتلمسان للصبيان

[1] الغبريني،عنوان الدراية،صص 55،60.

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص 125.

الصغار،الذين كانوا ينقرون له الطبل، فيدور ويشطح،منشدا مقطوعات من شعر التصوف.وكان يتصدق من ثمن الحلوى التي يبيعها على اليتامى والفقراء. و وصفه يحيي بن خلدون بأنّه كان من كبار العباد العارفين.و ذكر أيضا أنّه دفن خارج باب علي، ويقصد الناس قبره للزيارة والتبرك دون أن يحدد سنة ولادته ولا وفاته[1].

ـ**يحيى بن الصيقل**[2]: هو يحيى بن عيسى بن علي بن مُحَّد بن أحمد المرسي،التلمساني[3]،يكنى في "بغية الرواد" بأبي الحسن[4] .و يبدو أنّ أصله من مرسية ببلاد الأندلس.و روى عن أبي علي بن سكرة[5].وذكر صاحب البستان بأنّه "الفقيه العالم الولي الصالح...له كرامات كثيرة."[6] و أضاف يحيى بن خلدون في بغية الرواد بأنّه :"كان راوية للحديث عدلا صالحا."[7] وهذا ما أكده ابن مريم بقوله:"كان محدثا حافظا للحديث."[8] وأمّا سنة ولادته ووفاته فغير معلومتين، إلاّ ما ذكره ابن مريم مريم في البستان،إذ أشار إلى أنّ قبره يقع خارج باب العقبة[9] بتلمسان.

ـ **أبو بكر بن سعادة الإشبيلي**: هو مُحَّد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي[10]، من أهل إشبيلية و انتقل إلى تلمسان و نزل بها[11]،يكنى بأبي بكر وأبي عبد الله[12]،أخذ علم القراءات

---

[1] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،صص127،128.
[2] عند ابن مريم الصقيل.ينظر ابن مريم،البستان،ص305.
[3] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 105.
[4] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 105.
[5] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،105.
[6] ابن مريم،البستان،ص 305.
[7] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص105.
[8] ابن مريم،البستان،ص305.
[9] المصدر نفسه،ص 305.
[10] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص129.
[11] ابن الأبار،مُحَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، البلنسي،تحقيق عبد السلام هراس،دار الفكر للطباعة،بيروت،لبنان،سنة 1415هـ1995،ج2،86.
[12] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 129.

عن أبي الحسن شريح،وأبي العباس بن حرب ،وأبي بكر بن العربي،وغيرهم[1].و روى عنه من العلماء العلماء أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري،وأبو زكرياء يحيى بن عصفور،وأبو العباس المري وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي[2].و قال عنه ابن الأبار في تكملة الصلة:" وَكَانَ مقرئا فَاضلا مُحدثا ضابطا أَخذ عَنهُ النَّاس وَعمّر وأسن. "[3].و

وصفه يحيى بن خلدون بأنّه كان:"مجودا للقرآن،ضابطا،محدثا،نقادا،عالي الرواية."[4] و وافته المنية في في شهر رجب[5] سنة 600هـ[6].

_ **ابن الباروني:** هو مُحَّد بن حسن بن مُحَّد اليحصبي، يكنى بأبي عبد الله[7]،من كبار فقهاء المالكية في عصره[8]. قال عنه صاحب نيل الابتهاج،هو: "من أهل تلمسان، أخذ بفاس عن أبي الحسن الصغير و أبي زيد الجزولي،والأستاذ يوسف الجولي...و أبي زيد الرجراجي."[9] و ذكر المقري في نفح الطيب أنّ ابن الباروني وفد من الأندلس ،فاستقر بتلمسان إلى أن مات فيها[10]. و أورد ابن حجر نقلا عن ابْن الْخَطِيب قوله :"كَانَ من صُدُور الْفُقَهَاء حسن التَّعْلِيم ...ودرس بغرناطة وسبتة وَغَيرهمَا."[11] و وافته المنية في 13 شوال سنة 724هـ/1334م[12].

---

[1] ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج2،ص 86.

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 129.

[3] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ،ج2،ص 86.

[4] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 129.

[5] المصدر نفسه ،ج1،ص 129.

[6] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ،ج2،86.

[7] التنبكتي، أحمد بابا ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،ص 388.

[8] الحفناوي،تعريف الخلف بالسلف،ص 363.

[9] التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 388.

[10] ينظر المقري،نفح الطيب،ج5،236.

[11] أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،تحقيق: مُحَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر آباد، الهند،ط 2،سنة 1392هـ/ 1972م،ج5،ص 165.

[12] التنبكتي،نيل الابتهاج،ص388. عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان،ط2،سنة 1400هـ/1980،ص30.

2_ في مجال العلوم العقلية: اشتهر في هذا المجال في حاضرة تلمسان، بل وفي كل بلاد المغرب شخصية من بيت أندلسيّ اعتُبرت مرجعا مهما في العلوم العقلية*،وهي شخصية مُحَّد بن إبراهيم الآبلي،ولعل المكانة العلمية الكبيرة التي يشغلها هذا العالم الأندلسي التلمساني، ستظهر أكثر من خلال هذه الفقرة التعريفية بحياته وإسهاماته العلمية والفكرية.

_ **مُحَّد بن إبراهيم الآبلي**: هو مُحَّد بن إبراهيم الآبلي،يكنى بأبي عبد الله[1]، وّلد بتلمسان سنة 681هـ[2].وسبق التعريف بأسرة الآبلي عند الحديث عن دورها السياسي في دولة بني زيان، وأنّها من الجالية الأندلسية التي وفدت إلى حاضرة تلمسان واستوطنتها،و كان أفرادها يخدمون في الجيش الزياني جنودا وضباطا وقادة عسكريين،إلاّ أنّ أحد أفراد هذه الأسرة الأندلسية شذ عن هذه القاعدة، وهو مُحَّد بن إبراهيم الآبلي،حيث غيّر مساره من حياة الجندية و الوظيفة السلطانية إلى ميدان العلم طلبا و تعليما و تأثيرا وتطويرا.و سبب هذا التغيير يعود إلى نشأته في أسرة جده لأمه قاضي تلمسان مُحَّد بن غلبون،حيث جعله يُفضّل طلب العلم والتفوق فيه بدل أن يعمل في نفس وظيفة أبيه وعمه.

وقد أفرد له عبد الرحمن بن خلدون في كتابه"رحلة ابن خلدون" ترجمة مفصلة وافية.وتكمن أهمية هذه الترجمة في أنّها كانت منقولة عن صاحب الترجمة نفسه. و بالإضافة إلى ذلك، فإنّ ابن خلدون كان من تلاميذ الآبلي المقربين ، لهذا سيكون الاعتماد على الترجمة الواردة في كتاب "رحلة ابن خلدون" في التعريف بهذه الشخصية العلمية الأندلسية المهمة في الحياة الثقافية بحاضرة تلمسان الزيانية و بالمغرب بالإسلامي كله في ذلك العصر.

* **العلوم العقلية**:"تسمّى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة.وهي مشتملة على أربعة علوم:الأول المنطق...العلم الطبيعي،وهو العلم الثاني...والعلم الرابع،وهو النظر في المقادير،ويشتمل على أربعة علوم،وهي التي تسمّى التعاليم...فهذه أصول الفلسفة،وهي سبعة:المنطق،وهو المقدم،وبعده التعاليم.فالأرتماطيقي أولاً،ثم الهندسة،ثم الموسيقى،ثم الطبيعيات،ثم الإلاهيات" ابن خلدون،المقدمة،ج3،صص 71،72.

[1] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 120.

[2] عبد الرحمن بن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص53.

ذكر ابن خلدون أنّ شيخه الآبلي كان يعمل عند يوسف بن يعقوب قائدا جنديا بتكليف منه، ولكنّه لم يستطع الاستمرار في هذه الوظيفة ، فاعتزلها،مُتظاهرا أنّه يريد الحج،فلبس ثياب العباد والزهاد،ثم ركب البحر مُتجها من تونس إلى الاسكندرية،فدخل مصر و قد أصابه اختلاط بعقله بسبب مشروب تناوله،فمنعه هذا من أخذ العلم من علمائها،ثم قام بفريضة الحج و دخل إلى العراق.وبعد ذلك عاد إلى بلده تلمسان،وقد شُفي من اختلاطه،فاجتهد في طلب العلم، وبدأ في تحصيل المنطق والأصلين على أبي موسى ابن الإمام،ولكن ما لبث أن خرج من تلمسان هاربا ،لأنّ السلطان الزياني أبا حمو الأول أكرهه على القيام ببعض أعمال الجباية،فانتقل إلى المغرب الأقصى،و ارتحل إلى شيخ المعقول والمنقول والعالم بالتصوف أبي العباس بن البناء بمدينة فاس،فأخذ عنه،ثم انتقل إلى شيخ الهساكرة عليّ بن مُحَّد بن تُروميت ،فحصّل علما كثيرا،ثم صار إلى تلمسان إجابة لدعوة السلطان أبي الحسن المريني، فجعله في صحبته ومن جلسائه،فتفرغ الآبلي للتعليم والتدريس في مدن المغرب الإسلامي، مع ملازمته للسلطان أبي الحسن[1].

ثم ذكر ابن خلدون أنّه تعرف عليه بتونس، بواسطة والده لوجود علاقة صداقة بينهما،فلازمه ،وأخذ عنه العلوم العقلية وعلى رأسها علم التعاليم*،ثم المنطق،وعلوم الحكمة،حتى شهد له شيخه بتفوقه في هذه العلوم.غير أنّ هذه الملازمة لم تدم طويلا حيث اضطر الآبلي إلى ترك تونس و الذهاب إلى تلمسان،وذلك بعد موت السلطان أبي الحسن،و باستدعاء من ولده السلطان أبي عنان،وفي طريق ذهابه دخل إلى بجاية واستقر بها شهرا ،فقام بتدريس طلبتها مختصر ابن حاجب في أصول الفقه،ولما وصل إلى تلمسان،أكرمه السلطان أبو عنان وضمه إلى مجلسه[2].

وكان الآبلي من أكبر العلماء و أوسعهم معرفة بالعلوم العقلية في عصره ،و أكثر الشخصيات العلمية تأثيرا في زمانه،و يظهر ذلك جليا في كثرة من تتلمذ عنه من العلماء،وأبرزهم الأخوان عبد الرحمن ويحي بن خلدون. و يبدو من خلال تخصيص عبد الرحمن بن خلدون

---

[1] ينظر عبد الرحمن بن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص 50،51،52.

* **التعاليم**:عرفها ابن خلدون بقوله:"والعلم الرابع،وهو النظر في المقادير.ويشتمل على أربعة علوم،وهي التي تسمّى التعاليم.أولها علم الهندسة...وثانيها علم الأرثماطيقي...وثالثها علم الموسيقى...ورابعها علم الهيئة." ابن خلدون،المقدمة،ج3،ص72.

[2] ينظر عبد الرحمن بن خلدون،رحلة بن خلدون،صص 52،53.

صفحات عديدة للحديث عن سيرة شيخه الآبلي و تفاصيل حياته،تأثره الكبير به على المستويين النفسي والعقلي. و يُعتقد أنّ ما أظهره ابن خلدون في المقدمة من إبداع فكري سابق لعصره و طريقة عقلانية علمية رصينة في الطرح و نظريات متقدمة في علم التاريخ وعلم الاجتماع قد يكون نتاج احتكاكه بشيخه الآبلي وتأثره بطريقته في التفكير.

وقد أكد عبد الرحمن ابن خلدون الدور الذي قام به شيخه في نشر العلوم العقلية في ربوع المغرب بقوله:" وهو في خلال ذلك يُعلم العلوم العقلية،ويبثها بين أهل المغرب،حتى حَذِق فيها الكثير منهم من سائر أمصارها،وألحق الأصاغر بالأكابر في تعليمه."[1] و أمّا أخوه يحيى بن خلدون فيصفه بـ:"شيخنا العالم الأعلى.. المعلم الأصغر"[2] و بأنّه:" فاق أهل زمانه في العلوم العقلية كلها. "[3] ثم أكد أثره العميق والواسع في علماء عصره قائلا:"حتى أني لا أعرف بالمغرب وبافريقية فقيها كبيرا إلا وله عليه مشيخة."[4] و بعد هذا العمر الحافل بالتدريس والتعليم توفي الآبلي بمدينة فاس[5] ،في شهر ذي القعدة سنة 757هـ[6].

3_في المجال التاريخي: و من بين الأسماء اللامعة في ميدان التدوين التاريخي بحاضرة تلمسان الزيانية يحيى بن خلدون،وهو من أصول أندلسية،وله إسهاماته في المجال التاريخي.

_ **يحيى بن خلدون**: هو المؤرخ والأديب الشاعر،و أخو المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون.وقد تجلت ميوله إلى علم التاريخ و التدوين التاريخي في كتابه المهم الذي خصصه لتاريخ ملوك دولة بني عبد الواد الزيانية و سيرة السلطان أبي حمو موسى الثاني،وسمّاه "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد".و يكتسي هذا الكتاب أهمية تاريخية كبرى،فهو مصدر مهم في معرفة جانب مهم من تاريخ حاضرة تلمسان والمغرب الأوسط والمملكة الزيانية سياسيا وثقافيا واجتماعيا

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون،رحلة بن خلدون ،ص41.

[2] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 120.

[3] المصدر نفسه ، ج1، ص120.

[4] المصدر نفسه ،ج1،ص 120.

[5] عبد الرحمن بن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص53.

[6] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 120.

واقتصاديا،ومن جهة أخرى فهو من المصادر التاريخية القليلة جدا التي تمنح الباحث معلومات تاريخية عن الحضور السياسي والثقافي للجالية الأندلسية المهاجرة إلى عاصمة الزيانيين،حيث أورد يحي بن خلدون في كتابه السابق تراجم لمجموعة من العلماء و الأدباء والمتصوفة من أصول أندلسية[1].

وقد اعتبر الباحث مُحَمَّد رزوق أنّ يحي بن خلدون قد قصد من وراء التراجم الخاصة بأهل العلم من الأندلس تقديم "أوراق اعتماده الأندلسية" و التعريف بما عند الجالية الأندلسية المستقرة بحاضرة تلمسان من إمكانات سياسية وعلمية[2].

ثم بين أنّ السبب الخفي وراء ذكر يحي بن خلدون لعدد من رجالات التصوف والزهد والصلاح هو محاولة منه لإقناع السلطان الزياني بأنّ الأندلسيين في حاضرة تلمسان ليسوا طامعين في الملك، ولا هم أصحاب دسائس كالأندلسيين النافذين في البلاط المريني،بل هم زاهدون في الحكم متفرغين للعبادة لا يهمهم إلا الاستقرار و الاطمئنان، واجتناب كل ما يثير التمرد والثورة على السلطة الزيانية، وكذلك فإنّ كسب هؤلاء الزهاد والمتصوفة سيؤدي إلى كسب العامة والتأثير فيهم[3].

و يبدو أنّه لم يكن يدور في خلد يحي بن خلدون عند تأليفه لكتاب "بغية الرواد" أكثر من إظهار ولائه لسلطانه الزياني، و كسب رضاه و عطفه،و إظهار مدى إخلاصه و وفائه للدولة التي صار واحدا من موظفيها و مواطنيها.ولذلك ،لا يمكن اعتبار ما أورده من تراجم لعلماء وأدباء ومتصوفة من أصول أندلسية فقط لغرض تقديم خدمة للجالية الأندلسية الذي هو منها من خلال ترغيب السلطان الزياني في مزيد العناية بها و رعايتها و تقريبها.

---

[1] ينظر يحي بن خلدون،بغية الرواد ،ج1،صص 103،109،120،125،127،129.مُحَمَّد مرتاض،من أعلام تلمسان،مقاربة تاريخية ــ فنية ــ دار الغرب للنشر و التوزيع،وهران،الجزائر،سنة2004،ص156.

[2] ينظر مُحَمَّد رزوق،دراسات في تاريخ المغرب،افريقيا الشرق،ط1،سنة 1991م،ص 62.

[3] المرجع نفسه،ص62.

و اعتقد أنّ ما ورد في كتاب"بغية الرواد" من تراجم لعديد من العلماء والفقهاء والعباد والأدباء الأندلسيين، إنّما هو تقرير لواقع موجود و تأكيد للحضور القوي والظاهر للجالية الأندلسية في عاصمة الزيانيين سياسيا وثقافيا و اجتماعيا واقتصاديا،فيحيى بن خلدون لم يقم بأكثر من تدوين ما هو كائن في حاضرة تلمسان من تواجد عدد من الأندلسيين المهاجرين،وقد كانوا في أكثرهم من الأعلام والعلماء و أصحاب البيوتات.

ولهذا، لا يمكن القول أنّ نية يحيى بن خلدون كانت فقط الدفاع عن أهله من الأندلس و تبييض صورتهم أمام السلطان الزياني،ولكن يمكن القول أنّ الدافع وراء ذلك هو الواقع السياسي والثقافي لحاضرة تلمسان الزيانية، الذي فرض نفسه على صاحب كتاب "بغية الرواد"،فقام بتدوين ما سمعه و رآه و ما بلغه عن شخصيات أندلسية علمية و دينية و سياسية بارزة أقامت بتلمسان الزيانية، و تركت بصماتها الثقافية من خلال إسهاماتها الفكرية والأدبية في التاريخ الحضاري لدولة بني عبد الواد الزيانية.

4_في مجال الحياة الأدبية: لقد برز في حاضرة تلمسان الزيانية عدد من الشخصيات الأندلسية برعوا في ميدان الكتابة والشعر،حيث كان لهم إسهامات واضحة المعالم في تنشيط الحياة الأدبية والثقافية في عاصمة دولة بني عبد الواد الزيانية،ومن أبرزهم:

_ أبو بكر بن خطاب الغافقي:

يعد أبو بكر بن خطاب الغافقي كاتب السلطان يغمراسن من أبرز الشخصيات الأندلسية التي كان لها شأن كبير في المجال الأدبي،فإلى جانب منصبه السياسي والإدراي المهم في الدولة الزيانية،فإنّه شخصية أدبية رفيعة المستوى،إذ وصفه صاحب "الإحاطة في أخبار غرناطة" بأنّه:" كان كاتبًا بارعًا، شاعرًا مجيدًا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحُسْن فهم، ذو فضل وتعقل، وحسن سَمْت."[1] كما شهد له ابن خلدون بأنّه كان أديبا بليغا مجيدا، وشاعرا يُحسن النظم وقرض الشعر.[2]وفضلا عن ذلك، قال عنه جامع رسائله:

[1] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص 426.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص 106.

"وإنّ من أرفع أهل عصره في ذلك شأنا،وأعلاهم رتبة ومكانا،شيخ المعارف والدراية،وبقية أهل الإسناد في وقته والرواية،الفقيه الأجّل،الكاتب الأبرع المحدث المتقن،المقرئ المتفنن."[1] وقد برع أيضا في فن كتابة الرسائل* خطا ونثرا وشعرا[2]،و تنوعت رسائله النثرية بين ديوانية و إخوانية[3]، وله عدد من الرسائل الديوانية أو السلطانية الموجهة من السلطان الزياني إلى ملوك عصره.ولا ريب أنّ هناك قيمة تاريخية وأدبية لرسائل أبي بكر بن خطاب .وقد أورد لسان الدين بن الخطيب مقتطفات من نثره وشعره،وهذا نموذج من نظمه يصف رحلته من بلد الأندلس إلى تلمسان معبرا عمّا وجده في هذه المدينة من ترحاب و معارف وخيرات مثنيا على أهلها وما فيهم من خصال كريمة :

نعم المراد لمن غدى يرتاد مرعًى يرفّ نباته ومهاد
سالَتْ على العافي جداولُه كما صالت على العادي بدا ناد
فشدَّدتُ رَحْل مطيّتي منه إلى حيث السيادة تُبتنى وتُشاد
وركبتُ ناجيةً مباريةَ الصّبا خَضْرًا فوق خضّارة تُعتاد
يغتادُها سكانُها قُلّب على من كان من سكانها استبداد
عجبًا لهم أحلامهم عاديَّةٌ تَمْضي عليهم حكمها أعواد
خبّر تِلِمْسانًا بأنني جيتُها لمّا دعاني نحوها الرُّواد
وعاقتها سمعًا ولم أر حُسْنها إلّا أناسًا حدّثوا فأجادُ
ولرَبّ حُسْن لا ثواه ناظرٌ ويراه لا يخفى عليه فؤاد
ودخلتُها فدخلت منها جنّة سكانها لا تخفى ولا حياد

---

[1] العلوي البلغيثي،فصل الخطاب في ترسيل أبي خطاب،مجلة دعوة الحق،العدد 249، رمضان1405هـ/يونيو1985م،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،ص 91.

* يُعرف **فن كتابة الرسائل** بأنّه :" ذلك اللون الأدبي الذي يشمل جميع موضوعات الرسائل النثرية الفنية المتبادلة بين الناس عل اختلافها في الطول." أو هي "يُقصد به الرسالة النثرية الفنية أي القطعة النثرية التي يُدبجها الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويبعثها إلى شحص آخر." فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس،في القرن الخامس الهجري،دار البشير للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1409هـ/1989،صص 83،87.

[2] يحي بن خلدون،بغية الرواد، ج1،ص129.

[3] العلوي البلغيثي،فصل اخطاب في ترسيل أبي خطاب،مجلة دعوة الحق،العدد 249،ص 91.

ورأيـــت فضـــلا باهـــرا ومكارمـــا وعُـــلا تغاضـــر دونهـــا التَّعـــداد
أهـــل الرّوايـــة والدرايـــة والنَّـــدَا في نُـــورهم أبـــدا لنـــا اســـتِمْداد
فهـــم إذا سُـــئِلوا بحـــار معـــارف ولـــدى السـكينة والنهـــى أطـــواد
درجاتهـــا يـــنحَطَّ عنهـــا غـــيرهم ومـــن الـــورى قَـــترٌ ومنـــه وِهـــاد
فـــأجلّهم وأحلُّهـــم مـــن مهجـــتي بمكانـــةٍ مـــا فوقهـــا مُـــزْداد
وأودُّ حـــين أخـــطُّ أطيـــب ذكـــرهم لـــو أنّ أسـْـوَد مـُقـْلـتـيّ مِـــداد[1]

و هناك كتاب جُمعت فيه رسائل أبي بكر بن خطاب بجميع أنواعها،وهو لمؤلف مجهول؛ و هذا الكتاب مازال مخطوطا في حدود علمي. و يخبرنا جامع رسائل ابن خطاب بعنوان الكتاب و موضوعه وتقسيماته، فيقول:"واقتصرت في هذا الكتاب على النثر دون النظم إلا ما ارتبط به منه...وسميت هذا "فصل الخطاب" ورتبته على عشرة أبواب."[2] و من الواضح، أنّ هذه الآثار الأدبية للأديب والشاعر أبي بكر بن خطاب الغافقي جعلته يحتل مكانة سامقة في ميدان الأدب والبلاغة.

_ **مُحَّد بن صالح شقرون التلمساني:** و أصله من الأندلس،تلمسانيّ الدار ،و كان أديبا شاعرا، أورد له صاحب "بغية الرواد" قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان أبي حمو موسى الثاني بعد رجوعه من معركة لم تقع ،و مطلعها:

حـــدّث عـــن الملـــك المنصـــور مـــا شـيتا تجـــد ألـــذ حـــديث يشبـــه القـــوتَـــا[43]*

---

[1] مُحَّد بـــن عبـــد الله بـــن داود بـــن خطـــاب الغـــافقي،نقلا عـــن لســـان الـــدين بـــن الخطيب،الإحاطـــة في أخبـــار غرناطة،مج2،صص429،430.

[2] مؤلف مجهول،مخطوط فصل الخطاب،نقلا عن العلوي البلغيثي،فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي خطاب،مجلة دعوة الحق،العدد 249،ص 92.

[3] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،ص294. مُحَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر،مج1،ص513.

*وتجدر الإشارة،إلى أنّ هذا البيت قد ورد بصيغة مختلفة نسبيا،على النحو التالي:
حـــدّث عـــم الملـــك المنصـــور مـــا شـئتا تجـــد ألـــذّ حـــديث يشبـــه القـــوتـــا ،مُحَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،مج1،ص513.

ـ **مُحَمَّد بن علي بن قاسم المرسي**:وهو من أصل أندلسي،نزل تلمسان و اتخذه السلطان أبو حمو موسى الثاني من جملة كُتابه،وقد أورد له يحيى بن خلدون قصيدة طويلة تدل على مهارته في نظم الشعر و معرفته بالأدب،فهو من الأدباء الشعراء بحاضرة تلمسان الزيانية،ولا نعرف عنه أكثر مما ذكره صاحب بغية الرواد عنه[1].

ـ **مُحَمَّد بن يوسف القيسي**[2]:يقال له الثغري[3]،نسبة إلى بلدة أو قرية أندلسية تقع في الحد الفاصل بين المسلمين والممالك النصرانية[4]،ويقال له الأندلسي[5] لأنّ أصله من بلاد الأندلس، يكنى بأبي عبد الله[6]،وقد نزل حاضرة تلمسان واتخذها مكان إقامة له فهو التلمساني دارا[7]،ويبدو أنّه كانت له له وظيفة حكومية ببلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني،و يظهر أنّه كان حيا ما بين سنتي 760هـ/1359م،وسنة 801هـ/1398م،فبين هذين التاريخين نظم قصائد شعرية عديدة بمناسبة المولد النبوي، وقام بإلقائها بنفسه بين يدي ثلاثة سلاطين من بني زيان،وهم أبو حمو موسى الثاني[8] ،و ولده أبو تاشفين و أبو زيان[9].

و ذكر ابن مريم أنّه أخذ العلم عن الإمام الشريف التلمساني وغيره من علماء تلمسان[10]،و أشاد الفقهاء والأدباء و المؤرخون بمكانته العلمية و الأدبية والدينية ،فقد أورد صاحب البستان أنّ المازوني وصفه:"في نوازله بالشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الأديب الأريب

1 ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،ص558. مُحَمَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر،مج1،ص518.

2 ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،ص110.

3 ينظر المقري،أزهار الرياض،ج2،ص 329.

4 ينظر مُحَمَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر،مج1،ص523.

5 يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،ص234.

6 المقري،نفح الطيب،ج7،ص121.

7 ابن مريم،البستان،ص222.

8 ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،صص 110،234،368،426،560. Bargès,complément de l'histoire,pp118,119. 218,219.

9 ينظر مُحَمَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر،مج1،ص523.

10 ينظر ابن مريم،البستان،صص 222،223.

الكاتب. "[1] وقال عنه المقري في "نفح الطيب" نقلا عن لسان الدين بن الخطيب أنّه :"الفقيه الكاتب ... أبي عبد الله بن يوسف القيسي الثغري."[2] و ذكره في "أزهار الرياض" بقوله:"الفقيه العلامة الناظم الناثر أبو عبد الله مُحَّد بن يوسف الثغري."[3] و بسبب غزارة نظم الشعر و براعته فيه فيه قام يحيى بن خلدون و المقري بجمع قصائده الطوال الغرّاء ،وتدوينها ،والاستشهاد بها .و يدل هذا على أنّ مُحَّدا الثغري الأندلسي كان من أشهر شعراء تلمسان الزيانية المجيدين[4]،وسنة وفاته غير غير معروفة[5].

4_ البيوتات الأندلسية العلمية:هناك بيوتات أندلسية استقرت بحاضرة تلمسان في العهد الزياني،وكان لها دور مهم في تنشيط الحياة الثقافية و إثرائها على مستوى مختلف العلوم والفنون. و في هذا المقام ،سنتحدث عن بيتين أندلسيين جُل أفرادهما كانوا من العلماء البارزين في تخصصاتهم العلمية،وهما بيت عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الإشبيلي الأندلسي،وبيت العقباني الأندلسي.

_ بيت عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الإشبيلي الأندلسي:

من البيوتات الأندلسية الوافدة على حاضرة تلمسان،والتي برز منها علماء برعوا في العلوم النقلية والعقلية وفي الأدب والخطابة،نذكر بيت عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الأندلسي.وأصل هذا البيت من إشبيلية[6]،وقد ذكرهم يحيى بن خلدون في "بغية الرواد" عند تعريفه

[1] ابن مريم،البستان ،ص223.
[2] المقري،نفح الطيب،ج6،427.
[3] المقري،أزهار الرياض،ج2،329.
[4] ينظر يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج2،صص 110،234،368،426،560.المقري،نفح الطيب،ج6،ص427،ج7،صص 121،123،125.المقري،أزهار الرياض،ج2،صص 329،332. مُحَّد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر،مج1،ص523.
[5] ابن مريم،البستان،ص223.
[6] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 103.

تعريفه بالعلماء والصالحين الذين سكنوا حاضرة تلمسان.و يتكون هذا البيت الأندلسي من ثلاثة علماء، وهم:عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي وولده مُحَّد و يحيى بن مُحَّد:

ـ **عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي**:وقد ترجم له ولولده مُحَّد صاحب كتاب "بغية الرواد"،فذكر أنّ هذه الأسرة أصلها من إشبيلية ،و أنّ عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي يكنى بأبي زيد ،ووصفه بأنّه "عالم متفنن،ذو علم بالوثائق،وخط بارع،خطيب الجامع الأعظم بتلمسان وإمامه." [1] والظاهر أن لا وجود لترجمته إلا في كتاب"بغية الرواد"،وأنّ سنة ولادته ووفاته غير معلومتين،وأيضا هناك شح في المعلومات حول مسيرته العلمية ومصنفاته.

ـ **مُحَّد بن عبد الرحيم الخزرجي**:هو مُحَّد بن أبي زيد عبد الرحيم بن مُحَّد بن أبي العيش الخزرجي ،أصله من إشبيلية،ويكنى بأبي العيش[2] و أيضا بأبي عبد الله[3]،أخذ العلم عن جماعة و منهم أبو بكر مُحَّد بن يوسف بن مفرج بن سعادة،وأبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي،وأبو عبد الله بن عبد الحق،وأبو مُحَّد بن حوط الله[4].وقال عنه يحيى بن خلدون في "بغية الرواد":"وكان رحمه الله أديبا بارع الكتابة،شاعرا مجيدا،رائق الخط،ذا مشاركات في فنون العلم،مؤلفا متقنا. "[5]ووصفه صاحب نيل الابتهاج بأنّه فقيه أصولي،من فقهاء تلمسان[6].و ذكر ابن مريم أنّه "من فقهائها الأجلّة وعلمائها الأهلة. "[7] و لأبي العيش بن عبد الرحمن الخزرجي مؤلفات عديدة : تفسير للقرآن الكريم[8]،وشرح لأسماء الله الحسنى في مجلدين[9]،وكتب في علم أصول الدين وعلم أصول

[1] يحيى بن خلدون،بغية الرواد ،ج1،ص 103.
[2] المصدر نفسه ،ج1،103.
[3] ابن مريم،البستان،ص252.
[4] الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف،ص 333.
[5] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،103.
[6] التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 579.
[7] ابن مريم،البستان،ص 252.
[8] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص103.
[9] ينظر التنبكتي،نيل الابتهاج،صص 579،580.الزركلي،الأعلام،ج6،ص324.

الفقه،و له قصائد شعرية كثيرة في التصوف[1]،و فتاوي في المعيار للونشريسي[2]. توفي بتلمسان[3]،وأما بتلمسان[3]،وأما سنة ولادته فغير معلومة،وأمّا سنة وفاته فقد ذكر التنبكتي في نيل الابتهاج،وابن مريم في البستان أنّها كانت في شهر صفر سنة 911هـ/1505هـ[4]،ولعل هذا خطأ في النقل،فقد يكون الصواب سبعمائة بدل تسعمائة،لأنّه من المؤكد أنّ سنة وفاته كانت قبل سنة وفاة يحيى بن خلدون، وهي 780هـ[5]،حيث صرح صاحب "بغية الرواد" أنّ مُحَّدا بن أبي العيش الخزرجي :"توفي بتلمسان،ودُفن خارج باب كشوطة منها." [6]

ـ**يحيى بن مُحَّد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي:** ذكره يحيى بن خلدون في "بغية الرواد" ضمن تعريفه لجده "أبي زيد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي." وكناه بأبي زكرياء[7]،فهو زكرياء[7]،فهو ولد مُحَّد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي،ووصفه يحي بن خلدون بأنّه الفقيه صاحب الأشغال في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، وأنّه رجل موصوف بالخير والفضل،له معرفة بالفرائض وبراعة في الحساب والهندسة وقدرة على الخطابة[8].

ـ بيت العقباني الأندلسي:

يعد بيت العقباني الأندلسي من أبرز البيوتات العلمية الأندلسية التي استقرت بالمملكة الزيانية، و أظهرت نشاطا فائقا و إنتاجا معرفيا وفيرا، مما يدل على دورها الرائد في بناء الصرح العلمي والديني لدولة بني عبد الواد.لذلك من المهم،في هذا السياق، البحث في تاريخ هذه الأسرة الأندلسية و التعريف بشخصياتها البارزة في مجال العلوم و المعرفة.

---

[1] الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف،ص 334.

[2] ابن مريم،البستان،صص 252،253.

[3] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1،ص 104.

[4] التنبكتي،نيل الابتهاج،ص588.ابن مريم،البستان،253.

[5] يحيى بن خلدون،بغية الرواد،ج1ص 43.

[6] المصدر نفسه،ج1،ص 104.

[7] المصدر نفسه ،ج1، ص 104.

[8] المصدر نفسه ،ج1،ص 104.

أجمع المؤرخون المغاربة أنّ تسمية هذا البيت الأندلسي بالعقباني،هو نسبة إلى "عقبان" قرية بالأندلس[1]،وقد شذ عن هذا القول مؤرخان من المشارقة وهما القرافي والسخاوي،حيث ذكرا أنّ تلك التسمية نسبة إلى بني عقبة[2]، وهم كما قال القلقشندي:" بطن من جذام من القحطانية... القحطانية... أو بطن من كندة من القحطانية... أو بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية."[3] و هذا الرأي ضعيف بسبب مخالفتهما لجماعة كبيرة من المؤرخين من أهل المغرب الإسلامي، و المتخصصين في تاريخه و تراجم أعلامه.

و أمّا نسب البيت العقباني،فيبدو أنّ هناك اتفاقا بين جميع المؤرخين على أنّه تيجيبي النسب،من تُجِيب[4]،عرفهم القلقشندي بأنهم :" بنو تجيب – بضم التاء وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت ثم ياء موحدة، بطن من كندة وهم بنو اشرس بن شيب بن السكون بن كندة، وكندة يأتي نسبه عند ذكره في حرف الكاف، كان له من الولد أشرس، وعدي، وتجيب، هي أمهما عرف بنوها بها، وهي تجيب بنت بولان بن سليم بن رها بن مدحج... ومنهم بنو صمادح. "[5] و قد انتقل هؤلاء التيجبيون إلى الأندلس مع قادة الفتح الإسلامي،واستقروا هناك و كان ولاؤهم

1 ينظر أحمد بابا التنبكتي،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ص 190. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،تحقيق ودراسة: مُحَّد مطيع،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،ج1، سنة 1427هـ/2000مـ،ص 216،رقم 176.ابن مريم،البستان،ص 107.ابن القاضي،درة الحجال،ج3،ص289،رقم:1381.

2 بدر الدين مُحَّد بن يحيى بن عمر القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج،تحقيق : علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهر،مصر،ط1،سنة م2004/1425م،ص152 ،رقم 168.

3 أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تحقيق إبراهيم الإبياري،دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،ط2،سنة 1400ه/1980،ص 364.

4 ينظر ينظر التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ص 190.ابن مريم،البستان،ص 107. أبو العباس أحمد بن مُحَّد المكناسي ابن القاضي،درة الحجال في أسماء الرجال،مُحَّد الأحمدي أبو النور،المكتبةالعتيقة،تونس،دار التراث،القاهرة،ج3،ص289،رقم:1381.أبو القاسم مُحَّد الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف،مطبعة بيير فونتانة الشرقية،الجزائر،سنة1324ه/1906،ج1،ص 154.

5 القلقشندي،نهاية الأرب،ص 186.

للدولة الأموية،ثم بعد انفراط عقدها ،كان للتجيبيين دور سياسي في عهد ملوك الطوائف،فكان منهم الأمراء مثل بني ذي النون بطليطة و بني صماديح بألمرية[1].

و قد كان انتقال البيت العقباني إلى حاضرة تلمسان في العهد الزياني بدافع البحث عن مكان آمن، و فرارا من الوضع المتردي في بلاد الأندلس،خصوصا بعد سقوط الدولة الموحدية،واستيلاء النصارى الإسبان على عديد من المدن الأندلسية، خاصة الشرقية منها،و يُرجح أنّ وصول أسرة العقباني إلى مدينة تلمسان واستقرارها بها كان في خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، وبالتحديد في نهايته أو في بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[2].

و أثمر هذا البيت الأندلسي مجموعة كبيرة من العلماء ذوي الإنتاج الغزيز في شتى العلوم و المعارف،وكان لهم دور واسع في نشر العلم و تعليمه و ترسيخه، ليس فقط في حاضرة تلمسان والمغرب الأوسط،بل حتى في عموم المغرب الإسلامي وبلاد المشرق.و هذا ما سيتضح لنا من خلال التعريف ببعض الشخصيات العقبانية ،و استعراض آثارها العلمية:

_سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد العقباني:

هو القاضي المجتهد سعيد العقباني، وهو أبو عمرو أو أبو عثمان سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد العقباني التجيبي التلمساني،كانت ولادته بتلمسان سنة 720 هـ[3].و بدأ في تحصيل العلم من أبيه مُحَّد،فأخذ عنه أساسيات العلم من القراءة والكتابة و حفظ القرآن الكريم واللغة والأدب،والتفقه في الدين،ثم انتقل إلى الدراسة على يد علماء تلمسان، فأخذ الفقه عن ابني الإمام زيد و أبي موسى،وأخذ الأصول عن شيخ العلوم العقلية الآبلي وغيره من العلماء[4].و كغيره من

---

1 ابن حزم،جمهرة أنساب العرب،تحقيق جمهرة من العلماء،دار الكتب بيروت،لبنان،سنة 1403هـ/1983،ص430.

2 نصر الدين بن داود،بيوتات العلماء في تلمسان،من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ / 16م،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في المغرب الوسيط،تحت إشراف مُحَّد بن معمر،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ و علم الآثار،سنة 1431هـ،2009/1430،2010،ص 77.

3 التنبكتي،نيل الابتهاج ،ص 190.

4 ابن مريم،البستان،106.

طلبة العلم في تلك الفترة اتجه إلى الرحلة بحثا عن الاستزادة في طلب العلم،فانتقل إلى فاس و درس علم الفرائض على الحافظ السطي[1]،ثم ارتحل إلى تونس وأخذ العلم عن شيخها مُحَّد بن عبد السلام التونسي [2].

وهكذا كانت رحلات سعيد العقباني العلمية و ملاقاته كبار العلماء و شيوخ العلم في وقته ذات أثر كبير في تكوين شخصيته العلمية ،بحيث مكنّه هذا التحصيل العلمي فيما بعد من أن يبرز في المغرب الإسلامي كعالم قدير له مكانته واحترامه عند الملوك و طلبة العلم والعامة.فقصده الناس في حاضرة تلمسان للاغتراف من علمه الغزيز خصوصا في علم الفرائض والأصول والمنطق والحساب،وجلس إليه كبار العلماء و أخذوا عنه[3].وهكذا، كان القاضي سعيد العقباني شخصية مغاربية بامتياز،مُترجما ذلك التشارك والتلاحم و التبادل العلمي الذي كان بين علماء المغرب الإسلامي رغم الصراعات التي كانت بين الكيانات السياسية القائمة في تلك الفترة.و قد بلغ هذا القاضي رتبة الاجتهاد بدون منازع[4]، بحيث استحق بجدارة مرتبة الإمامة والفتوى في عهده،فكان يلقبه الونشريسي في معياره بـ"شيخ الشيوخ."[5] و قد وصفه تلميذه مُحَّد بن عبد الواحد المجاوي في برنامجه بأنّه "الإمام المحقق وحيد أهل زمانه في المعقول و قدوتهم في المنقول."[6] و اعتبر ابن خلدون خلدون عند ذكر أهل المائة الثامنة أنّه انتهت إلى سعيد العقباني و صاحبه في الدراسة شريف التلمساني " طريقة التعليم، وملكة التلقي. يعني بذلك الشريف والعقباني رحمهما الله تعالى، قال: لكونهما ألفا التصانيف البعيدة، وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع."[7] و "يقال له رئيس العلماء

1 التنبكتي،نيل الابتهاج ،صص 189،190.

2 أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الواحد المجاوي الأندلسي، برنامج المجاوي، تحقيق مُحَّد أبو الاجفان،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1400هـ/1982 ص131.

3 القلصادي،رحلة القلصادي،ص 98.

4 المقري،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ج3،ص 25.

5 الونشريسي،المعيار،ج4،ص 9.

6 أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الواحد المجاوي الأندلسي،برنامج المجاوي، ص 129.

7 المقري،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ج3،ص 25.

العقلاء."[1] و أثنى عليه أحد كبار العلماء فوصفه بأنّه:"كان علامة خاتمة العدل القضاة بتلمسان."[2] و قد كان أيضا متبحرا في علم الهندسة[3].

وهكذا، يكون القاضي سعيد العقباني قد ترك آثارا علمية مهمة خصوصا في مجال تفسير القرآن الكريم وعلم أصول الفقه وعلم الفرائض و الحساب،فنذكر منها تفسيره لسور الأنعام والفتح و الفاتحة،و شرح ابن الحاجب في علم أصول الفقه،و شرح الحوفي في علم الفرائض، و تلخيص أعمال الحساب وشرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة،وشرح الجمل الخونجي في علم المنطق[4]، و غير ذلك من المؤلفات الكثيرة التي سجلها من ترجم له، أو التي لم تصل أخبارها إلينا.

وبناء على ما تقدم ،فإنّ القاضي سعيد العقباني قد تميّز بغزارة إنتاجه العلمي و علو مكانته بين علماء عصره. و قد استمر في عطائه المعرفي ،و إفادة الناس بعلمه حتى وافته المنية وهو يبلغ أربعين سنة ونيف، وذلك في سنة 811هـ/1407م[5].

_قاسم بن سعيد بن مُحَمَّد العقباني:

يعتبر قاسم بن سعيد بن مُحَمَّد العقباني التلمساني من كبار العلماء في عصره ،كنيته أبو القاسم وأبو الفضل،كانت والدته بمدينة تلمسان سنة768هـ/1360م،و كان معلمه الأول وأول

1 ابن مريم،البستان،ص107.

2 التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1،ص 216،رقم 176.

3 المجاوي،برنامج المجاوي،ص 130.

4 ابن فرحون،الديباج المذهب،تحقيق: مُحَمَّد الأحمدي أبو النور،دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،مصر،ج1، ص 394.التنبكتي،نيل الابتهاج ،ص 190ص. وابن مريم،البستان،ص.106.

5 مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،علق عليه:عبد المجيد الخيالي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1414هـ/2003،ج1،ص 360.و ذكر السخاوي في كتابه" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" أنّ سنة وفاة القاضي سعيد بن مُحَمَّد العقباني كانت في سنة 804هـ. ينظر أبو الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،د.ت،ج3،ص 256.

شيوخه والده [1]،و لابد أنّه زاد من تحصيله العلمي على يد كبار العلماء سواء في حاضرة تلمسان أو في غيرها من الحواضر. و أكثر من طلب العلم حتى أحرز قصب السبق فيه،و حازه وقطع فيه أغلب حياته،فكان بذلك عالما واسع الاطلاع كثير المعارف [2].و رحل في سنة 830هـ إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وهناك التقى مع العالم تقي الدين الحسني الفاسي المكي، وعند مروره بالقاهرة جلس عند الحافظ ابن حجر العسقلاني،و منحه الإجازة العلمية [3].وقد شهد له تلامذته برسوخه في العلم وبلوغه مرتبة الاجتهاد،فتلميذه مُحَّد بن العباس التلمساني يقول عنه:"شيخنا مفتي الأمة علامة المحققين وصدر الأفاضل المبرزين آخر الأمة." [4] و وصفه تلميذه يحيى المازوني بأنّه"شيخ الإسلام علم الأعلام عارف القواعد والمباني أبو الفضل العقباني." [5]و يذكره العالم الأندلسي القلصادي في رحلته بقوله:"هو شيخنا وبركتنا الإمام الفقيه المعمر ملحق الأصاغر بالأكابر العديم النظر و الأقران المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان سيدي أبو الفضل قاسم العقباني... انفرد بفني المعقول والمنقول،واتحد في علمي اللسان والبيان." [6] و ممّا يشهد له بعلو مرتبته في العلم ما تركه تركه من تصانيف نذكر منها تعليق على ابن الحاجب الفرعي و أرجوزة في اجتماع الصوفية على الذكر [7].وقد سجل كل من المازوني و الونشريسي مجموعة من فتاويه في كتابيهما [1].

---

1 التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 365. ابن مريم،البستان،ص147. القرافي،توشيح الابتهاج،ص 152،الرقم:168.السخاوي،الضوء الساطع لأهل القرن التاسع،ج6،ص181.عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، صص 238،237.

2 التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2،صص 11،10،الرقم:401.

3 ابن مريم،البستان،ص 148.

4 التنبكتي،نيل الابتهاج، ص365.

5 أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي بن المغيلي المازوني،الدرر المكنونة في نوازل مازونة،دراسة وتحقيق،بركات إسماعيل،تحت إشراف عبد العزيز فيلالي،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلام الوسيط،كلية العلوم الإنسانية ،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري،قسنطينة،الجزء الأول ،سنة 1430،2009/1431،2010،ص226.

6 القلصادي،رحلة القلصادي،ص 106.

7 ابن مريم،البستان،ص 148.

وقد تولى قاسم بن سعيد العقباني منصب القضاء بتلمسان،و تولى التدريس بها[2]،وكان من كبار الشخصيات العلمية التي لها قدرها ومكانتها عند الخاصة والعامة،فقد كان ممن استقبل السلطان الحفصي أبا فارس عبد العزيز،حينما كانت تلمسان تحت السيطرة الحفصية[3].و بعد عمر زاخر بالتعليم والتأليف ونشر العلم توفي القاضي العالم القاسم بن سعيد العقباني سنة 854هـ/1450م عن عمر يناهز 86 سنة[4]،تاركا وراءه ولدين يعتبران أيضا من العلماء الكبار و المجتهدين البارزين.ونتعرف عليهما على النحو التالي:

_ أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني:

هو أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني الفقيه ،من فقهاء المالكية وقضاة تلمسان، والمؤكد أنه تتلمذ على والده ،ثم على علماء عصره،و كانت وفاته سنة 840هـ/1436م[5].

_ إبراهيم بن القاسم بن سعيد العقباني:

هو إبراهيم بن القاسم بن سعيد العقباني،أبو سالم،كانت ولادته بمدينة تلمسان سنة808هـ/1406م[6]،و أمّا مسيرته في تحصيل العلم،فهي مثل أخيه ،إذ أخذ أول علومه عن والده ،ثم عن علماء وقته. وتتلمذ على يديه عدد من علماء ، نذكر منهم تلميذه الونشريسي صاحب المعيار، والذي يذكره بقوله " شيخنا القاضي أبو سالم سيدي إبراهيم العقباني."[7] و تولى

1 ينظر المازوني،الدرر المكنونة،ج1،صص 412،407،402.أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي افريقية والأندلس والمغرب،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف عبد الرحمن حجي،وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،1401هـ/1981م،ج4،ص 278.

2 التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 365.

3 نصر الدين بن داود،بيوتات العلماء في تلمسان،ص 82.

4 عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر،ص237.

5 التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 118.ابن مريم،البستان،ص 51.

6 ابن مخلوف،شجرة النور الزكية،ص 383.عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر،ص 236.

7 الونشريسي،المعيار،ج4،ص302.

القضاء وصار معروفا بقاضي الجماعة[1]، ووُصف بـ" العلامة الحافظ،حصل وبرع و ألف و أفتى،كان فقيها قاضيا شكورا."[2] و ذكر له الونشريسي في معياره والمازوني في درره مجموعة من الفتاوي[3]،توفي سنة 880هـ/1475م[4].

ـ مُحَّد بن إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن مُحَّد العقباني:

و قد خلّف أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني ولدين كان لهما شأن في ميدان العلم، أولهما اسمه مُحَّد، كنيته أبا عبد الله،وُلد بتلمسان سنة 804هـ/1401م، و أخذ علومه عن أفراد عائلته من العلماء كجده القاسم، وعن علماء عصره بتلمسان،و كان له تلاميذ كُثر منهم الونشريسي صاحب المعيار و أحمد بن حاتم [5].و قد وصفه من ترجم له أنّه " الفقيه العالم العلامة الحاج الرحلة المتقن البارع."[6] كان متصوفا و متضلعا فيه، و تولى القضاء حتى صار معروفا بقاضي الجماعة[7].و كان من الشخصيات المهمة في تلمسان،إذ رشحه الأمير الزياني مُحَّد المتوكل على الله ليكون ضمن الوفد الذي يكون في استقبال السلطان الحفصي أبي عثمان مُحَّد بن أبي فارس قصد توثيق العلاقات الزيانية الحفصية و تجديد الولاء للدولة الحفصية[8].

وللقاضي العالم مُحَّد بن أحمد بن القاسم العقباني إسهامات في التأليف نذكر منها:"تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"[9]،وقد قيد الونشريسي له فتوى في كتابه

---

1 ينظر التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 65.

2 المصدر نفسه،ص 65.

3 الونشريسي،المعيار، ج1،ص 171، ج4،ص 302.المازوني،الدرر المكنونة، ج1،ص 412.

4 عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر،ص 236.

5 ابن مريم،البستان،ص224.

6 التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 547.

7 ابن مريم،البستان،ص 224.

8 نصر الدين بن داود،بيوتات العلماء في تلمسان،ص 86.

9 عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر،ص 237.

المعيار[1].و بعد حياة حافلة بالتدريس ونشر العلم وتأليف الكتب وافته المنية سنة 871هـ/1467م عن عمر يناهز 76 سنة[2].

_ عبد الواحد بن أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني:

لأحمد بن قاسم العقباني أيضا ولد آخر يُعتبر من الفقهاء والقضاة في تلمسان وقد وُصف بقاضي الجماعة،وهو عبد الواحد بن أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني،تاريخ ولادته غير معلومة ولا تفاصيل كثيرة عن حياته في كتب التراجم والتاريخ،توفي سنة 896هـ/1491م[3].

_ مُحَّد بن القاضي أبي يحي بن القاسم العقباني:

هناك شخصية أخرى من نسل القاسم بن سعيد العقباني، وهو المدرس أبو عبد الله مُحَّد بن القاضي أبي يحي بن القاسم العقباني توفي سنة 941هـ[4].

وعند هذا الحد ،نستطيع القول أنّ هجرة عدد كبير من فقهاء السنة المالكية الأندلسيين إلى منطقة المغرب الإسلامي،خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي،و ما وجدوه من عناية و رعاية من سلاطين بني زيان و بني حفص و بني مرين هو من أهم العوامل التي أدت إلى انبعاث المذهب المالكي السني، و استرجاع مكانته المرموقة في بلاد المغرب الإسلامي، وبالأخص في المغرب الأوسط[5].إلاّ أنّ تأثير الجالية الأندلسية لم ينحصر في المجالين السياسي والثقافي،بل تجاوزهما تجاوزهما إلى المجال الاقتصادي.

1 الونشريسي،المعيار،ج4،ص 303.

2 عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر،ص237.

3 الحفناوي،تعريف الخلف بالسلف،ص 249.

4 ينظر نصر الدين بن داود،بيوتات العلماء بتلمسان.ص86.

5 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج2،ص 325.

ثالثا: تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الاقتصادية:

قد استفادت حاضرة تلمسان من خبرات الأندلسيين المهاجرين منذ العهد المرابطي والموحدي،وقد اتضح هذا في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة[1].ثمّ إنّ الأندلسيين الوافدين على تلمسان في عهد الدولة الزيانية لم يبقوا متجمعين في مكان واحد،بل توزعوا في نواحي حاضرة تلمسان و جهاتها، بحسب ما برعوا فيه من المهن والحرف والأعمال، وقاموا بمشاركة سكان المملكة الزيانية في زراعتهم وصناعتهم،بل فاقوهم من حيث الإتقان والجودة والسرعة في إنجاز العمل.ولأجل هذا كانت اليد العاملة الأندلسية هي المفضلة في تلمسان بدل اليد المحلية[2]. و بطبيعة الحال، كان لذلك كله أثر كبير في تنشيط الحياة الاقتصادية سواء في مجال الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الصيد البحري.

ففي مجال الفلاحة والزراعة، ترك الفلاحون من الجالية الأندلسية بصماتهم واضحة في نواحي تلمسان و جهاتها،وبالخصوص بين ضفتي وادي لوريط إلى نهر السطفسيف[3]*،حيث الأراضي الخصبة،و أنشأوا البساتين و أنواعا من المزروعات والثمار و الأزهار،،وازدهرت على أيديهم الفلاحة و كثُر الإنتاج الزراعي. وفي هذا الصدد يقول ابن الأعرج واصفا حال الفلاحين من الأندلسيين:"و ملؤوا تلك الشعاب من البساتين المتنوعة الثمار،و أنواع الرياحين و الأزهار...واتصلت مساكنهم بذلك الوادي إلى نهر السطفسيف،أقاموا بها عمارة بقيت آثارهم بتلك الشعاب العميقة ذات الأدراج المؤنقة والمياه المتدفقة،والثمار المتنوعة."[4] وذكر ابن الأعرج أيضا أنّ هؤلاء الأندلسيين قاموا بإنشاء قرى عامرة وصلت إلى جبل بيدر حيث تقع زاوية الشيخ

---

1 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني ،ج1،ص174.

2 المقري،نفح الطيب،ج3،ص 152.

3 ينظر مختار حساني،تاريخ الدولة الزيانية،الأحوال الاجتماعية،دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،سنة 2007،ج3ص 79.

* **السطفسيف**: هو نهر الصفصيف الذي يقع شرق مدينة تلمسان. عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج**1**، الهامش رقم**80**،ص**201**.

4 ابن الأعرج محمد الحسني السلماني،زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ،الخزانة الحسنية،الرباط،رقم 170،ورقة 96.نقلا عن عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص176.

أحمد بن مُحَمَّد المناوي الحسني(ت930هـ/1524م)،و إلى مدشر"الشولي"وعين تالوت،و مدشر عين "فزة"،و إلى مداشر أخرى في أحواز تلمسان و جهاتها.[1]

وعموما ،فإنّ الأندلسيين المهاجرين إلى ربوع المغرب الإسلامي، والذين كانوا من أهل البادية توجهوا إلى البوادي والأراضي الزراعية،فظهر منهم نشاط لافت في الفلاحة و استخراج المياه و غرس أنواع الأشجار و بناء الطواحين الهوائية،و جاءوا بطرق جديدة متطورة في الزراعة والري وعلموها لمن خالطوهم من أهل المغرب الإسلامي،فنتج عن هذا ازدهار وتجديد في مهنة الفلاحة و وفرة في الإنتاج وفائضا في المحاصيل الزراعية . وفي هذا الإطار يقول المقري في كتابه "نفح الطيب":" ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العُدوة مع بلاد إفريقية، فأمّا أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحيّ الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مُستغلاّتهم وعمتهم الخيرات. "[2] والواضح أنّ ما ذكره المقري عن الأندلسيين المهاجرين إلى العدوة المغربية ،ينطبق على من فضلوا الاستقرار بحاضرة تلمسان ونواحيها.

ومن الأسر الأندلسية التي لعبت دورا ملحوظا في تنشيط التجارة والفلاحة أسرة بني الملاح الأندلسية القرطبية ،فقد كانت حرفتهم سكة الدنانير والدراهم،و برعوا في مهنة الفلاحة،و قد كانوا مقربين من بعض سلاطين بني زيان[3].و المؤكد أنّ تواجد مثل هذه الأسرة الأندلسية الخبيرة بشؤون الزراعة والتجارة في حاضرة تلمسان قد ساهم بقسط وافر في تطوير الناحية التجارية والزراعية للدولة الزيانية.

---

1 ابن الأعرج مُحَمَّد الحسني السلماني،زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ، ورقة 96.نقلا عن عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص176.

2 المقري،نفح الطيب، ج3،ص152.

3 ابن خلدون،العبر، ج7،صص 140،141.

و أمّا في مجال الصناعة،فالملاحظ أنّ الأندلسيين المهاجرين إلى العدوة المغربية قد امتازوا بالجودة و الإتقان في صناعاتهم،حتى أنّهم تفوقوا على أهل المغرب الإسلامي،وصاروا هم المسيطرين على مختلف الصناعات.وقد ذكر عنهم ذلك المقري بقوله:" وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد، وقطعوا معاشهم، وأخملوا أعمالهم، وصيروهم أتباعاً لهم، ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم، ويصير الذكر لهم. "[1] وقد برع الأندلسيون في أنواع كثيرة من الصناعات المفيدة وعملوا على تطويرها وتنميتها،مثل صناعة الطرز وصناعة النسيج ،التي شملت نسج الحرير والقطن والكتان والقطن،و صناعة الفخار والخزف و الأواني المنزلية،وتصنيع أنواع كثيرة من الأسلحة،فقد ذكر المؤرخ ابن الأعرج هذه الحقيقة بقوله:"وكان لعهد نزول الأندلسيين بها(تلمسان) مزدانة بالمصانع المفيدة،فما شئت من أطرزة،ومنسوجات الحرير،والقطن والكتان والصوف،ومعامل الفخارو أنواع الأسلحة،وسائر الأواني المنزلية .... وراجت بين الناس آدابهم وراجت مصانعهم."[2] و هذا بالتأكيد،ساهم بوضوح في إنعاش الحياة الاقتصادية وتنميتها في المملكة الزيانية.

و أمّا العلماء وأصحاب الحرف والتجارة من الأندلسيين فقد استقروا بعاصمة الزيانيين،تلمسان، وتولوا أعلى المناصب و أهم الوظائف،وأمّا من امتهنوا الملاحة و الصيد البحري، فقد فضلوا الإقامة بالمدن الواقعة على الساحل[3].

رابعا: تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية:

إنّ توافد الأندلسيين على حاضرة تلمسان الزيانية و إقامتهم بها شّكل إضافة اجتماعية مهمة للنسيج السكاني للمملكة الزيانية،حيث يلاحظ أنّ العناصر السكانية لمدينة تلمسان و ما جاورها في العهد الزياني تتكون من القبائل البربرية المكونة من الزناتيين على وجه الخصوص.و في

1 المقري،نفح الطيب،ج3،ص 152.

2 ابن الأعرج محمّد الحسني السلماني،زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ، ورقة 96،97،100.نقلا عن عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص177.

3 المشرفي عبد القادر بن عبد الله محمّد،بهجة الناظر في أخبار الداخلين في ولاية الاسبانيين بوهران،تحقيق :محمّد بن عبد الكريم،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت،(د.ت)،ص 216.

هذا الصدد ،يقول ابن خلدون:" وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن. وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة. ثم صار من بعدهم لبني ومانوا وبني يلومي.ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان."[1] و تعتبر هذه القبائل العنصر الأول الغالب على المجتمع الزياني،وأمّا العنصر السكاني الثاني فيتمثل في القبائل العربية من بني هلال، وعلى وجه الخصوص من بني عامر الهلاليين. وقد أقطعهم السلطان يغمراسن أراض من مملكته[2]،و يأتي العنصر الأندلسي في المرتبة الثالثة من حيث التأثير الاجتماعي والتعداد السكاني،وهو من أبرز العناصر السكانية بسبب ما كان يقوم به من دور فكري و تأثير اقتصادي واجتماعي[3] وعمراني.

لقد توزع الأندلسيون المهاجرون الذين استوطنوا حاضرة تلمسان الزيانية في نواحيها حسب مكانتهم الاجتماعية[4]،فالعلماء و أهل البيوتات الأندلسية أقاموا في مدينة تلمسان.وأمّا البقية من الفلاحين و أهل البادية فنزلوا بوادي الوريط، و كانت لهم قرى وبنوا المساكن و أظهروا ما برعوا فيه من المتاجر والصنائع والفلاحة، و عمّروا هذه المنطقة بالبساتين العامرة بالأشجار والزروع المتنوعة.وقد امتدت منازلهم بذلك الوادي إلى نهر الصفيصف[5].و يظهر أنّ الجالية الأندلسية بمملكة الزيانية لم تكن عبئا اجتماعيا على الدولة،بل فور استقرار أفراد هذه الجالية بدولة بني عبد الزيانية باشروا في بناء مساكنهم و زراعة أراضيهم و إظهار مهنهم وصناعاتهم[6]،ممّا يدل على الأثر الايجابي للأندلسيين في المجتمع الزياني.

وممّا لا شك فيه، فقد حافظ الأندلسيون الذين استقر بهم المقام بتلمسان على خصوصياتهم الثقافية و حرفهم المهنية، و عاداتهم الخاصة بهم ونمط حياتهم، معتزين بانتسابهم إلى

---

1 ابن خلدون،العبر، ج6،134.

2 المصدر نفسه،ج6،ص56.

3 ينظر مختار حساني،تاريخ الدولة الزيانية،الأحوال الاجتماعية، ج3،ص77.

4 ينظر المرجع نفسه ،ص79.

5 ينظر ابن الأعرج مُحَّد الحسني السلماني،زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ، ورقة 96.نقلا عن عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص176.

6 ينظر،مختار حساني،تاريخ الدولة الزيانية، ج3،ص79.

الأندلس هوية و ثقافة[1].ويبدو أنّهم كانوا من مختلف الفئات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع التلمساني الزياني،فلم يكن منهم العلماء والشخصيات السياسية والعسكرية فحسب، بل نجد منهم الصناع والحرفيين والفلاحين وطلبة العلم.

وقد رصد حسن الوزان من خلال مشاهداته في حاضرة تلمسان الزيانية فئات اجتماعية محددة ،وقدم لها وصفا تفصيليا في كتابه"وصف إفريقيا"،فذكر أنّ سكان تلمسان ينقسمون إلى أربع طبقات،وهم الصناع والتجار والطلبة والجنود،فالتجار يتصفون بالإنصاف و غاية الإخلاص والأمانة في تجارتهم،وعندهم حرص على تزويد مدينتهم بالسلع الضرورية،وهم يعيشون في حالة ثراء بما يملكونه من أموال و ممتلكات،و لباسهم جميل و أكثر أناقة وسخاء،و أمّا طبقة الصناع فيمتازون بالقوة و يتمتعون بعيشة مريحة ويميلون إلى التمتع بالحياة، ويرتدون ثيابا جميلة وقصيرة،ونعالهم تعلو حتى نصف الساق،و أمّا الجنود التابعين للملك فهم في حالة ممتازة،إذ يتقاضون أجرة ملائمة و جيدة،و أمّا أفقر هذه الطبقات ،فهم الطلبة الذين يحيون حياة بائسة في مدارسهم،ولكن يتحسن مستواهم المعيشي إذا ارتقوا إلى رتبة الفقهاء، أو تم تعيينهم أساتذة و أئمة وقضاة الذين يمتازون بألبسة حسنة،وإضافة إلى هذه الفئات الاجتماعية هناك طبقة الملك وحاشيته التي تتكون من نائب الملك المزوار الذي يحدد الأجور ويرأس الجيوش،والشخصية الثانية المقربة من الملك كبير الكتاب المختص بكتابة الرسائل والجواب عليها،والشخصية الثالثة أمين المال ومهمته قبض المداخل الملكية وحفظها،والشخصية الرابعة هو صاحب النفقات المسؤول على بيت المال و إدارته ،ليتمكن موظفو القصر الملكي من مواجهة حاجيات القصر والاصطبلات، والشخصية الخامسة هو قائد الباب المكلف بحراسة باب القصر والملك عند استقباله للناس.وهناك موظفون آخرون أقل منزلة مثل قائد الاصطبلات وقائد السيافين [2]،وغير ذلك من أصحاب الوظائف الحكومية.

---

1 روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي،ج2،ص 159.

2 ينظر حسن الوزان،وصف إفريقيا،ج2،صص 21،22.

و لا ريب أن يكون ضمن الطبقات الاجتماعية التي ذكرها حسن الوزان فئة الأندلسيين الذين صاروا جزءا مهما من النسيج الاجتماعي في مملكة بني زيان وفئة بارزة في المجتمع الزياني ،بحيث يصعب التمييز بينهم وبين الفئات الاجتماعية الأخرى بسبب الامتزاج والاندماج التدريجي في التركيبة السكانية لمدينة تلمسان،ولكن هذا لا يعني أنّ الأندلسيين قد تخلوا عن جميع عاداتهم و تقاليدهم الأندلسية. ومن غير المستبعد أنّهم ظلوا متمسكين بهذه العادات، وفي الوقت نفسه ،ومع مرور الزمن،تأثروا بالمحيط الاجتماعي لمدينة تلمسان الزيانية ،فحدث الامتزاج والاختلاط مع الفئات التلمسانية الأخرى.

خامسا: تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الفنية و العمرانية:

يبدو أنّ التأثير الفني للأندلسيين في بلاد المغرب قد ظهر جليا في العهد الموحدي ،حيث كان في صحبة الأمراء الموحدين بالمغرب أحد كبار العارفين بالموسيقى والغناء الأندلسي، و هو أبو بكر بن باجة[1] الذي أثنى عليه كل من ترجم له من المؤرخين[2].

ولعل تواجد مثل هذه الشخصيات الفنية الرائدة قد ساهم في التأثير على الموسيقى المغربية، وبالتحديد بالمغرب الأوسط و طبعها بالطابع الأندلسي،خصوصا بعد توافد عدد كبير من الأندلسيين بعد سقوط غرناطة،فقاموا بنقل فنونهم الموسيقية والغنائية معهم[3]،فانتشر في المغرب الأقصى الطابع البلنسي والغرناطي، وسميت موسيقى الأندلسيين بالآلة،و في المغرب الأدنى سادت الموسيقى المتأثرة بالطابع الإشبيلي[4]،وفي المغرب الأوسط وبالأخص في حاضرة تلمسان برزت الموسيقى الأندلسية المنتمية إلى الطابع الغرناطي بسبب العدد الكبير من الغرناطيين الذين استوطنوا

---

[1] محمّد رزوق،الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب،خلال القرنين، 16 _17،أفريقيا الشرق،ط3،سنة 1998،ص38.

[2] ينظر ابن خلدون،المقدمة،ج3،ص320. أبو العباس ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت،لبنان،ص515.

[3] ينظر الحاج محمّد بن رمضان شاوش،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان،ص171.

[4] ينظر عبد العزيز عبد الجليل،مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية ،المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، سنة 1938،ص53.

مدينة تلمسان[1].وعليه،فإنّ التأثير الفني الأندلسي في مجال الغناء والموسيقى واضح و راسخ في حاضرة تلمسان الزيانية،و مازال مستمرا حتى وقتنا الراهن.

وقد نقل الأندلسيون المهاجرون إلى العدوة المغربية فن الموشحات والأزجال التي كانت موضوعا للتلحين الموسيقي الأندلسي[2]،و من غير المستبعد أنّ حاضرة تلمسان الزيانية قد انتشر فيها هذا الفن الأندلسي الخالص بانتشار الموسيقى الأندلسية،وترسخ حضوره في المجتمع التلمساني حتى أنّ الباحث مارسي لاحظ في وقته أنّ بنات تلمسان كن يتغنين بأبيات من الزجل شبيه بالزجل الأندلسي[3]،ممّا جعله يؤكد على الأثر العميق للجالية الأندلسية في حضارة مدينة تلمسان وتاريخها الثقافي.

أما في المجال العمراني، فالملاحظ أنّ التأثير الأندلسي في مجال العمارة والبناء في بلاد المغرب، وبالخصوص على المغرب الأوسط ظهر خاصة في العهد المرابطي والموحدي،إذ استجلب يوسف بن تاشفين المرابطي من قرطبة عددا من الصناع إلى مدينة فاس لبناء وترميم مساجدها وسقاياتها وحماماتها وخاناتها[4].وقد استفاد المرابطون من التقاليد المعمارية الأندلسية ،واقتبسوا أنظمتها الفنية المعمارية. وهذا ما تجلى في تخطيط بيوت الصلاة في المساجد التي شيدوها بالمغرب الأوسط مثل جامع الجزائر و جامع تلمسان[5].وفي عهد الدولة الموحدية ظهر التأثير واضحا للحضارة الأندلسية على المباني والمنشآت[6]، ولذلك ظهرت بصمات المهندسيين والفنيين الأندلسيين بمدينة تلمسان،في الناحية العمرانية، منذ العهد المرابطي والموحدي[7].

---

[1] ينظر بن سنوسي كمال،الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان،الشيخ العربي بن صاري أنموذجا،موفم للنشر،الجزائر،سنة2011م،ص85.

[2] ينظر مُحَمَّد رزوق،الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب،ص38.

[3] ينظر مُحَمَّد رزوق،دراسات في تاريخ المغرب،53.

[4] ينظر مُحَمَّد رزوق،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ،ص37.

[5] ينظر عبد العزيز لعرج،مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ،دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العملية عمرانا وعمارة وفنا،شركة ابن باديس للكتاب،الجزائر،ط2،سنة 2011،ص143.

[6] ينظر عبد الواحد المراكشي،وثائق المرابطين والموحدين، تمهيد المحقق،ص203.

[7] عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص174.

و استمر هذا التأثير العمراني الأندلسي في حاضرة تلمسان،في العهد الزياني،حيث وفد على سلاطين بني زيان مجموعة من المهندسين والبنائين من الأندلس،والتي بعثها السلطان الغرناطي أبو الوليد (713 هـ _ 725هـ/1313 _ 1325م) إلى الأمير الزياني أبي حمو موسى وابنه الأمير ابن تاشفين،تعزيزا لعلاقات التعاون بين الإمارتين الغرناطية والزيانية،و ذلك للاستعانة بهم في تشييد القصور الفخمة والمنازل الفاخرة، والبساتين الأنيقة،و هذا ما ذكره ابن خلدون حيث قال:" وكانت لا يعبّر عن حسنها، اختطّها السلطان أبو حمو الأوّل وابنه أبو تاشفين، واستدعى لها الصنّاع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليهما السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذّاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله. "[1]و هذا مؤشر واضح على أنّ العمران في حاضرة تلمسان الزيانية قد تطور و ارتقى بفضل الأندلسيين من أهل الهندسة والبناء.

ويتأكد هذا التأثير الأندلسي في العمارة التلمسانية الزيانية من خلال ما قام به علماء الآثار من دراسات و أبحاث فيما تبقى من صروح آثرية بمدينة تلمسان. وقد صرح الأخوان وليم و جورج مارسي في كتابهما "المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان" أنّ الخلاصة التي خرجا بها من دراستهما الأثرية المعمقة في مدينة تلمسان أنّ"القيمة الأساسية التي تكتسيها العمارة التلمسانية وصروحها تكمن... في التشابه الجلي بينها وبين المعالم الأندلسية."[2] و أنّ هناك علاقة وثيقة بين المعالم الأندلسية الغرناطية والمعالم الزيانية. وقد لاحظا أيضا أنّنا نجد صورتها الأولية أو النهائية من خلال العناصر الفنية التي استعملها الفنانون المغاربة و طوّروها في مسجد قرطبة.و بعد فحصهما الأثري،اكتشفا أنّ مسجد المشور الذي هو من معالم بني عبد الواد تُوجد به مربعات خزف من صنع أندلسي،وقد وجدا أنّ اسم النحات الذي صنع منبر مسجد سيدي بومدين هو من أصل أندلسي[3].

---

[1] ابن خلدون،العبر، ج7،ص 190.

[2] وليم و جورج مارسي،المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان،تقديم و ترجمة:مراد بلعيد،علي مُحَمَّد بورويبة،فلة عبد مزيام،الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،سنة 1432هـ/2011م،ص 18.

[3] ينظر المرجع نفسه،صص55،56،127.

ولعل من أوجه التشابه بين فن العمارة الأندلسية والزيانية التي توصل إليها الأخوان مارسي هو الزخرفة الموجودة في المساجد التلمسانية الزيانية، والتي مردها إلى أصول أندلسية وهي ذاتها المعهودة في الأندلس،حيث إنّ الزخرفة بجامع تلمسان الكبير تكشف عن تأثير أندلسي وتقليد يقترب من الزخرفة الفسيفسائية و المنحوتة لمسجد قرطبة[1].و أكد ،أيضا، وليم و جورج مارسي أنّ مسجد بلحسن الزياني يماثل كثيرا القصور الأندلسية،وذلك من حيث زخرفته النقشية والزهرية،و الأمر نفسه بالنسبة لجامع سيدي بومدين الذي يتشابه شكله الزخرفي مع أحد الأشكال الموجودة في قصر إشبيلية،حيث ظهر تطابق كامل لوضعية التسبيحة* في كلا المعلمين الزياني والأندلسي.ونجد كذلك في جامع المشور الزياني لوحات مزخرفة جانبية عليها الصيغة المعروفة :"اليمن والإقبال"،وهذه العبارة مألوفة كثيرا في الزخارف الكتابية الأندلسية،وهذا يُظهر بجلاء التقارب الفني المعماري بين المعالم الأثرية التلمسانية والأندلسية[2].

و فضلا عن ذلك،فالنمط الغالب على النقوش التاريخية للزيانيين هو النمط الأندلسي السائد في معالم إشبيلية و غرناطة،حيث إنّ مسجد سيدي بلحسن و أولاد الإمام يُوجد بهما نماذج رائعة من الخط الكوفي المزهر الذي تتزين به القصور الأندلسية كقصر الحمراء[3].و قد لاحظ الباحث الأثري شارل بوسلار أنّ شواهد قبور سلاطين وأمراء بني زيان الموجودة بروضاتهم الملكية مكتوبة بخط أندلسي بارز[4]،وكذلك فالمعلم الأثري جامع سيدي بلحسن بتلمسان موجود به

---

[1] ينظر وليم و جورج مارسي،المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان،تقديم ،صص 99،101.

* **التسبيحة**: "التسبيحة أو الصلاة على النبي ﷺ هما نوع من الزخرفة الصغيرة المستعملة في الفن العربي".وليم و جورج مارسي،المعالم الأثرية،الهامش رقم1،ص354.

[2] ينظر وليم و جورج مارسي،المعالم الأثرية،صص223،229،354،440.

[3] ينظر المرجع نفسه،ص 108.

[4] ينظر شارل بروسلار،كتابات شواهد وقبور سلاطين و أمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان،الترجمة والتقديم:الرزقي شرقي،موفم للنشر،الجزائر،سنة 2011،صص38،41،58،73،130.

صفيحة من العقيق الأخضر عليه كتابة منقوشة بخط أندلسي جميل[1]،وأيضا،فإنّ جامع سيدي بومدين ببلدة العُباد التلمسانية تُوجد به كتابات بخط أندلسي كبير[2].

ويلاحظ أنّ الخط الأندلسي قد استعمله أيضا النساخون في حاضرة تلمسان الزيانية، وخصوصا في نسخ المصاحف،حيث أشار ابن مرزوق الخطيب أنّ الفقهاء والخطاطين كانوا يتنافسون في كتابة المصاحف متبعين في ذلك أهل الأندلس في حسن الخط و ضبط الكتابة،فالخط الذي كانوا يكتبون به يشبه خط "الغطوسيات" كما عبر عن ذلك ابن مرزوق الخطيب[3]،وهذه التسمية نسبة إلى أسرة أندلسية مشهورة يطلق عليها ابن غطوس ،والمعروفة بحسن الخط و جودته و ضبط الكتابة[4].

و على ضوء ما سبق،يتضح أنّ الخطاطين والنساخين بحاضرة تلمسان الزيانية قد أخذوا بالخط الأندلسي وتأثروا به،بسبب تواجد عدد كبير من الجالية الأندلسية الوافدة على سلاطين بني زيان[5].و قد اشتهرت حاضرة التلمسان الزيانية بعدد من الخطاطين والنساخين المجيدين، ومنهم الأديب الشاعر الأندلسي الغرناطي الوادي آش،و الذي ترك غرناطة بعد سقوطها، واستوطن تلمسان،و كان من أكبر النساخين بها،فقد ذكر صاحب كتاب"أزهار الرياض" أنّه اتخذ النسخ حرفة، وكان يُكثر منه ،و كان بارعا فيه. وله في مكتبات تلمسان نحو المائة كتاب بخطه و في فاس نحو ثمانمائة.و قد نسخ بخطه نحو العشرين نسخة من توضيح خليل بمدينة تلمسان.[6]

---

1 ينظر وليم جورج ومارسي،المعالم الأثرية،ص215.

2 ينظر المرجع نفسه ،صص. 352،336 .

3 عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العصر الزياني،ص337.

4 مُحَّد سعيد شريفي،خطوط المصاحف،ص 51.ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج2،ص 862.

5 ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ص337.الطاهر مُحَّد توات،أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين (8،7)،ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزائر،صص. 37،34.

6 أبو العباس المقري التلمساني،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تحقيق: مصطفى السقا،إبراهيم الإبياري،عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،مصر،سنة 1358 هـ - 1939 م ،ج3،ص 308.

وقد لاحظ الأخوان مارسي أنّ المنشآت المعمارية مثل الأسوار والأبراج في مدينة تلمسان قد بُنيت بالتراب المدكوك والمدروس الذي تتخلله طبقات من الرمل والكلس،و هناك نماذج من هذا النوع تم العثور عليها في أبراج باب القرمدين بتلمسان،وهي نفسها الموجودة في السور الشرقي لمدينة قرطبة[1].

وقد أكد عبد المالك موساوي على الأثر الأندلسي الواضح في الآثار العمرانية لحاضرة تلمسان في العهد الزياني،ولا شك أنّ عنوان كتابه الموسوم بـ "تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس" يفصح عن ذلك بشكل صريح،إذ استعمل لفظ "تطابق" الذي يؤشر على المماثلة بين تلمسان و الأندلس في فن الزخرفة،بل كان هذا التشابه هو محور البحث،الذي جمع"روائع الزخارف الهندسية...والخطية وتقنيات البناء والتخطيط الهندسي والعمراني المتشابهة والمتطابقة بين المعالم التاريخية التلمسانية وبين المآثر والمعالم الأندلسية،وخاصة تلك الموجودة في قرطبة وإشبيليا وغرناطة وطليطلة وسراغوسة." [2] وتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث قد عزز هذا الإنجاز بأكثر من 354 رسما لمختلف الأنماط الزخرفية،متبعا أسلوب المقارنة بالصور بين المعالم العمرانية.

وعليه،فإنّ الصروح الأثرية التلمسانية قد أبانت عن عمق التأثير الأندلسي في البناء والعمارة بحاضرة تلمسان الزيانية،وذلك بفضل المهندسيين والفنانين الأندلسيين الوافدين على حاضرة تلمسان.و قد مس هذا التأثير جميع أنواع البنايات سواء كانت تابعة للسلاطين والدولة كالقصور والأسوار والأبراج والحمامات أو المعالم الدينية والتعليمية مثل المساجد والمدارس.غير أنّ التأثيرات الحضارية الأندلسية لم تقتصر على حاضرة تلمسان الزيانية،بل تبدّت بوضوح في حاضرة بجاية الحفصية.وبطبيعة الحال،ذلك ما سنجلّيه في الفصل الرابع.

---

[1] ينظر وليم و جورج مارسي،المعالم الأثرية،صص 138،139.

[2] عبد المالك موساوي،تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس،دار السبيل للنشر والتوزيع،الجزائر،ط.1، سنة2012 ص.7

الفصل الرابع

التأثيرات الحضارية الأندلسية في حاضرة بجاية الحفصية

أولا – التأثير الأندلسي في الحياة السياسية

ثانيا – التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية

ثالثا – التأثير الأندلسي في الحياة الاقتصادية

رابعا – التأثير الأندلسي في الحياة الاجتماعية

خامسا – التأثير الأندلسي في الحياة الفنية والعمرانية

أولا:التأثير الأندلسي في الحياة السياسية:

اتبعت الدولة الحفصية منذ نشأتها سياسة تعيين الأندلسيين بالمناصب العليا في مملكتها،مستفيدة من مهاراتهم و خبراتهم من أجل إيجاد نوع من التوزان في دولتها[1]. و قد شهدت بجاية في العهد الحفصي السياسة نفسها من خلال وجود عدد من الشخصيات الأندلسية كان لها مساهمة في إدارة الشؤون السياسية التابعة إداريا للحفصيين أو المتخذة عاصمة لدولة حفصية مستقلة عن سلاطين بني حفص بتونس،فكان منهم الحُجاب والقُضاة.

1_الحجابة:

تدرج مفهوم الحجابة في العهد الحفصي من كون صاحبها صار للسلطان الحفصي:" قَهْرَمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق، وعطاء، وكسوة ونفقة في المطابخ والإصطبلات وغيرها، وحصر للذخيرة، وتنفيذ ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الجباية."[2] ثم بعد ذلك أُضيف إلى مهامه كتابة العلامة على السجلات إذا كان يتقن فن الكتابة،و توسعت صلاحياته فيما بعد،فعندما حجب السلطان نفسه عن رعيته ،صار الحاجب واسطة بين الناس و بين أهل الرتب جميعهم[3].

و زاد نفوذ الحاجب في الدولة الحفصية حتى امتدت سلطته إلى الجيش،و كان السلطان يرجع إليه للمشورة والرأي،ثم تطور الأمر إلى تحوّل الحجابة إلى ديكتاتورية مطلقة وسلطة فوق سلطة الأمير الحفصي،ولكن بعد ذلك،لم يعد للحاجب نفوذ في المملكة وهيبة عند الناس،فصارت كما كانت في الأول خدمة مخصوصة للسلطان في قصره و ما يحتاجه من مال وكسوة و نفقات[4].

ويبدو،أنّ الحجابة لم تظهر في الدولة الحفصية إلاّ في عهد السلطان الحفصي أبي إسحاق،وأول من توّلها أبو القاسم من أصل أندلسي.ولعل إقامة أبي إسحاق بالأندلس قبل توليه الحُكم كان له أثره في ظهور الحجابة عند الحفصيين في عهده.و يلاحظ، أيضا، أنّ الحاجب في

[1] ابن خلدون،العبر، ج6،ص402.
[2] ابن خلدون ،المقدمة،ج2،ص.12.
[3] ينظر المصدر نفسه ، ج2،صص12،13.
[4] ينظر المصدر نفسه ، ج2،ص12.

مدينة بجاية كان بمثابة رديف للأمير الوالي ومساعده الأول[1]،وهذا يشبه تماما ما كانت عليه الحجابة في الأندلس من كون الحاجب يعامل معاملة الوزير الأكبر الذي هو واسطة بين السلطان والوزراء[2] .ولهذا قد صار لبعض الحُجاب على مدينة بجاية نفوذ واسع حتى وصل الأمر بأحدهم التصرف بشؤون هذه المدينة وما جاورها دون الرجوع إلى السلطان الحفصي.وقد برز في بجاية عدد من الحجاب الأقوياء نذكر منهم:

ــ **إدريس بن عبد الملك الغافقي الأندلسي**: تولى أشغال بجاية في عهد السلطان الحفصي الواثق، مكان مُحَّد بن أبي هلال عياد بن سعيد الهنتاتي الذي خلف والده في ولاية بجاية بعد موته سنة 673هـ، وذلك بمساعدة من أخيه أبي يحيى بن عبد الملك الغافقي المعروف بابن جبر من أعمال مرسية.و وفد مع الجالية من شرق الأندلس،حيث صار المتحكم في أمور الدولة ،وفي قرار السلطان الحفصي،فأرسل أخاه أبا العلاء إدريس واليا على بجاية،لتتم له السيطرة على مقاليد المملكة.غير أنّ ذلك أغضب شيوخ الموحدين و حاشية السلطان بسبب استبداده و تجاوزه كل الحدود، ممّا عاد عليه وعلى أخيه بعواقب وخيمة،حيث رأى مُحَّد الهنتاتي في تولية إدريس الغافقي الأندلسي تضييقا عليه و إضرارا به وتعسفا في حقه،فأقدم على قتله سنة 677هـ، و خشية انتقام الواثق،بايع عمه أبا اسحاق إبراهيم[3].

ــ **أبو الحسين بن سيد الناس**: لحق بأبي زكريا بن أبي إسحاق بتلمسان وأعانه على دخول بجاية، واقتطعها هي والجزء الغربي من المملكة الحفصية لإقامة دولة مستقلة عاصمتها بجاية سنة 684هـ/1258م،فكافأه على خدماته بأن قلده الحجابة،فأظهر كفاءة ومهارة و إخلاصا،و حقق استقرارا بحاضرة بجاية.وقد تحدث ابن خلدون عن كيفية وصوله إلى منصب الحجابة و قدرته على تسيير الأمور حتى كسب رضى أهل بجاية،فقال:" قد قدّمنا سلف هذا الرجل وأوليته، وأنه لحق بالأمير أبي زكريا بتلمسان، وأبلى في خدمته، فلما استولى الأمير أبو زكريا على الثغر الغربي واقتطعه عن أعمال الحضرة، ونزل بجاية وظاهر بها تونس، عقد لأبي الحسين بن سيّد الناس على حجابته،

[1] روبار برنشفيك،تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج2،صص54،55

[2] ابن خلدون،المقدمة،ج2،ص11.

[3] مبارك بن مُحَّد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،391.

وفوّض إليه فيما وراء بابه وأجراه في رياسته على سنن أبي الحسين الرئيس قبله في دولة المستنصر الّذي كانوا يتلقّنون طرقه، وينزعون إلى مراميه، بل كانت رياسة هذا في حجابته أبلغ من رياسة ابن أبي الحسين لجلاء جوّ الدولة ببجاية من مشيخة الموحّدين الذين يزاحمونه، كما كان ابن أبي الحسين مزاحما بهم، فاستولى أبو الحسين بن سيّد الناس على الدولة ببجاية، وقام بأمر مخدومه أحسن قيام، وصار إلى الحلّ والعقد وانصرفت إليه الوجوه وتمكّن في يده الزمام، إلى أن هلك سنة تسعين وستمائة."[1]وبعد موته خلفه أندلسي آخر،وهو أبو القاسم بن أبي حيّ[2].

_ **أبو القاسم بن أبي حيّ**: ولاه الأمير الحفصي أبو زكريا الحجابة ببجاية مكان أبي الحسين بن سيد الناس عند وفاته سنة 690هـ.وقد ذكر ابن خلدون أنّه وفد مع جالية الأندلس إلى دولة بني حفص،فدخل في خدمتها وتولى مناصب فيها،حيث اتصل بأبي الحسين بن سيد الناس،فقربه إليه ورقاه،وجعله كاتبه،وأظهر إخلاصا وكفاءة،فلم يجد السلطان الحفصي أفضل لمنصب الحجابة بعد وفاة أبي الحسين إلا كاتبه ابن أبي حيّ[3].

_ **أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبي بكر بن مُحَّد بن عمر السلمي**: أصله من شاطبة الأندلسية، كان أبوه قد ولي الديوان بمدينة القل ،وقد تمكن من تولي الأشغال المالية في عهد السلطان الحفصي أبي زكرياء بن أبي إسحاق ،فنافسه الحاجب بن أبي حيّ ،فتسبب في نفيه.وبعد أن عاد من منفاه ،انتقم من منافسه ،واستطاع من إبعاده عن الحجابة ببجاية وتولى المنصب مكانه[4]،و استبد بالجهة الغربية من المملكة الحفصية و صار الأمر والنهي له سنة 715هـ،و اكتفى بذكر السلطان الحفصي فقط في الخطبة وفي السكة،إلى أن مات سنة 719هـ/1319م[5].

_**مُحَّد بن مُحَّد بن أبي بكر بن خلدون**: عيّنه السلطان أبو إسحاق حاجبا لوليّ عهده و واليه على بجاية أبو فارس[6].

[1] ابن خلدون،العبر، ج6،ص452.

[2] المصدر نفسه ،ج6، صص452،453.

[3] المصدر نفسه،ج6،صص 452،453.

[4] روبار برنشفيك،تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج1،ص 146.

[5] ابن خلدون،العبر، ج6،ص 484.

[6] ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص34.

_عبد الرحمن بن مُحَّد بن مُحَّد بن أبي بكر بن خلدون الإشبيلي الأندلسي وحجابته بحاضرة بجاية:هو من الشخصيات الأندلسية المهمة التي تولت خطة الحجابة في حاضرة بجاية،وكان لها نفوذ قوي في الدولة الحفصية.وهو أيضا المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون،الذي اقتفى أثر جده مُحَّد بن مُحَّد بن أبي بكر بن خلدون في تقلد الحجابة،و اشترك كذلك مع أخيه يحيى في القيام بدور سياسي في المغرب الأوسط.وقد سبق الحديث عن أسرة ابن خلدون إجمالا،إذ إنّها من الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى العدوة المغربية، وكان استقرارها بإفريقية في خدمة سلاطين بني حفص.ويوضح عبد الرحمن نفسه في كتابه:"رحلة ابن خلدون" بعض تفاصيل سيرة هذه الأسرة قائلا:"و أصل هذا البيت من إشبيلية؛انتقل سلفنا – عند الجلاء،وغلب_ملك الجلالقة ابن أدْفُونش عليها – إلى تونس في أواسط المائة السابعة."[1] و أول من دخل إلى الأندلس من أجداده عند فتحها هو خلدون،ويعود نسبهم إلى وائل بن حجر من عرب اليمن[2].

وقد كان من أسرة ابن خلدون بالأندلس شخصيات سياسية علمية مرموقة،وكانت تقيم بإشبيلية،ولمّا خشيت من خطر النصارى الإسبان ارتحلت إلى سبتة،ثم إلى تونس،حيث كان يحكمها بنو حفص.وقد كان لهم صلات وثيقة مع أسرة ابن خلدون حينما كانوا ولاة للموحدين في الأندلس،فأحد أجداد عبد الرحمن بن خلدون وهو الحسن اتصل بأبي زكرياء مؤسس الدولة الحفصية، ولقي منه كل الترحاب والعناية الفائقة.وفي عهد السلطان أبي إسحاق الحفصي قُلّد أبو بكر مُحَّد أحد أولاد الحسن بن خلدون عمل الأشغال،ثم وُلّى ابنه مُحَّدا حاجبا لولي العهد أبي فارس الذي صار واليا على بجاية[3].

وبعد ذلك تولى أبو حفص بن أبي زكريا حكم الدولة الحفصية ،فدخل مُحَّدبن أبي بكر في خدمة هذا السلطان و تولى الحجابة له،ولكنّه اعتزلها وتفرغ للعبادة و الاهتمام بشأن أسرته،وامتنع عن تولي أي منصب سلطاني رغم إلحاح سلاطين بني حفص عليه،وأما مُحَّد والد عبد الرحمن بن خلدون ،فقد مال إلى طريق العلم والتصوف والتعبد،فصار من كبار العلماء الفقهاء المتعبدين،وكان

[1] ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص27.

[2] المصدر نفسه،ص27.

[3] ينظر المصدر نفسه،صص 30،31،32،34.

عارفا بالعربية والشعر.وفي هذه الأجواء العلمية و الروحية ولد عبد الرحمن بن خلدون بتونس سنة 732هـ،وقد نشأ في أسرة تمجد العلم وتحث عليه،فتلقى العلم عن والده ثم عن كبار العلماء بتونس وبغيرها من الحواضر المغربية[1].

وهذا الاستعراض لحياة هذه الشخصية السياسية والعلمية الفذة يكشف مدى مساهمة أسرة ابن خلدون في الحياة السياسية والعلمية بالمغرب الإسلامي، بدءا من أبي بكر بن خلدون الذي كان مسؤولا عن الشؤون المالية في الدولة الحفصية، مرورا بابنه محمّد الذي تقلّد منصب الحجابة بمدينة بجاية لمدة معينة.ويبدو أنّ حفيده عبد الرحمن سيكون له هو أيضا اتصال بهذه المدينة ومشاركة في أحداثها السياسية.

الملاحظ أنّ علاقة ابن خلدون ببجاية كانت على مرحلتين،،المرحلة الأولى تبدأ من سنة 754هـ و تنتهي في سنة755هـ، و أما المرحلة الثانية فبدايتها كانت في سنة766هـ ونهايتها في سنة767هـ[2]. ويبدو أنّ أول لقاء لابن خلدون بمدينة بجاية حدث لما انضم إلى جيش أبي عنان المريني الذي استولى على تلمسان في سنة 753هـ ثم دخل بجاية بعد أن سلّمها له أميرها الحفصي أبو عبد الله محمّد الحفصي الذي تعرض للاعتقال بعد ذلك من السلطان المريني خشية الانقلاب عليه، وقد أخذه معه إلى المغرب الأقصى[3].فدخل برفقة محمّد بن أبي عمرو حاجب السلطان أبي عنان إلى بجاية وبقي فيها مدة عام مرافقا لهذا الوزير دون أن يتولى فيها منصبا حكوميا،ثم استدعاه السلطان المريني أبو عنان إلى مجلسه العلمي في حدود سنة 755هـ.و أصبح بعد ذلك كاتبا له على كره،لأنّ ذلك ليس من عادة أسلافه الذين وُظفوا في المناصب العليا[4] أو لأنّ ذلك دون طموحاته الراغبة في امتلاك سلطة أكبر.

و قد حدث لابن خلدون أن تعرض للسجن بسبب اتهامه بالتعاون سرا مع صديقه الأمير الحفصي أبي عبد الله محمّد الذي كان بالمغرب الأقصى، ثم اعتقله المرينيون لاتهامه بأنّه يخطط

[1] ينظر ابن خلدون ،رحلة ابن خلدون،صص 35،36.

[2] عبد الحميد حاجيات،ابن خلدون في بجاية،مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر ،صفر-ربيع الأول سنة 1394هـ/مارس-أفريل سنة 1974م،السنة الرابعة،العدد19،صص 194،196.

[3] ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص70،72.

[4] ينظر ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص66،67.عبد الله عنان،ابن خلدون في بجاية،مجلة الأصالة،العدد 19،ص185.

للهروب من فاس،و الدخول إلى بجاية واستعادة إمارته منهم؛وبقي في محبسه مدة عامين،وبعد وفاة أبي عنان أطلق سراحه.والظاهر أنّ ابن خلدون قد اتفق مع الأمير الحفصي أبي عبد الله أنّه إن استعاد ملك أبيه في بجاية،وصار أميرا عليها،فإنّه سيوليه منصب الحجابة[1].

و بنجاح أبي عبد الله مُحَّد الحفصي في دخول بجاية سنة 765هـ وتنصيب نفسه أميرا عليها،تبدأ المرحلة الثانية في علاقة عبد الرحمن بن خلدون بهذه المدينة،إذ فور سماع خبر وصول صديقه الأمير إلى كرسي الإمارة ببجاية،حتى أسرع إليه،فلقي منه استقبالا كبيرا وحفاوة لا توصف،ثم ولّاه الحجابة التي كان لها نفوذ كبير في ذلك الوقت .وقد حدد ابن خلدون وظائفها في بلاد المغرب على النحو التالي:"الاستقلال بالدولة، والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته، لا يشاركه في ذلك أحد. "[2] ولعل هذه السلطات الواسعة والحساسة،هي ماجعل ابن خلدون يستبد بأمور الإمارة،و يسعى في تثبيت دعائمها بعزم وذكاء،حيث مضى يتنقل بين القبائل الجبلية،يستلم منها أموال الجباية بقوة نفوذه و حكنته الكبيرة[3].

ولكن يبدو أنّ ابن خلدون لم يبق في منصب الحجابة إلا عاما واحد،وذلك بسبب سياسة التضييق والعنف وفرض الضرائب التي اتبعها أميره الحفصي قصد توسيع سلطة مملكة بجاية إلى تونس و السيطرة على كل أقاليم المملكة الحفصية غربا وشرقا،ولكن نتج عن هذه السياسة العنيفة تمرد القبائل العربية عليه وتعاونها مع عدوه ومنافسه أخيه أبي العباس أمير قسنطينة الذي دخل معه في حرب،فانهزم أمير بجاية وقُتل،فسلم ابن خلدون المدينة لأبي العباس في سنة767هـ[4].

ثم أذن أمير قسنطينة لابن خلدون في الخروج من بجاية،فغادرها متوجها إلى الجنوب،ونزل على شيخ الدواودة يعقوب بن علي أولا، ثم التجأ عند أحمد بن يوسف بن مزني ببسكرة،وقد قام الأمير أبو العباس بمصادرة كل أمواله واعتقال أخيه الأصغر يحيى ،ثم قرر اعتزال تولي المناصب العليا

---

1 ينظر ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص 72،73،93،94.عبد الحميد حاجيات،ابن خلدون في بجاية، العدد 19،ص197.

2 ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص.94،95

3 ينظر ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص95.عبد الله عنان،ابن خلدون في بجاية،مجلة الأصالة،العدد 19،ص 188.

4 ينظر ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص 95،96.

في الدولة والتفرغ للاشتغال بالعلم ،فامتنع من تولي الحجابة للسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني لمّا طلب منه،وبدلا من ذلك أرسل له أخاه يحيى ليكون في خدمته[1].

وفعلا ذهب إلى مكان معزول عن صخب السياسة ومكائدها،الواقع في قلعة بني سلامة* الواقعة بالمغرب الأوسط،وهناك كتب مقدمته الرائعة الخالدة[2].وفي هذا الصدد، يصف الحالة التي كان عليها أثناء تأليفه لمقدمته،فيقول:"فأقمت بها أربعة أعوام، متخلياً عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب، وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب، الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر، حتى امتخضت زبدتها، وتألفت نتائجها."[3] فكان ما كتبه من نظريات في العمران و التربية والعلوم وقيام المجتمعات وزوالها دليل على عبقريته الفذة في مجالي النقد التاريخي وعلم الاجتماع.

وعليه،فإنّ أسرة ابن خلدون الأندلسيّة قامت بأدوار متعددة وهامة سواء في المجال السياسي أو في المجال العلمي الثقافي.وكانت إسهاماته تتوزع على العدوتين الأندلسية والمغربية،ففي المغرب الأوسط نجد يحيى بن خلدون كاتبا و مستشارا مقربا لأكبر ملوك بني زيان أبي حمو موسى الثاني،وقد ألف له كتابا تاريخيا مهما يدل على سعة ثقافته ورسوخه في علم التاريخ.و أمّا أخوه الأكبر عبد الرحمن بن خلدون، فقد برزت مهاراته السياسية والدبلوماسية وحكنته في تسييره لإمارة أبي عبد الله الحفصية ببجاية بصفته حاجبا.و ظهرت مكانته العلمية الكبيرة ودوره الثقافي و عبقريته التاريخية بجلاء في مؤلفاته التي صنفها ،وخصوصا مقدمته الشهيرة وتاريخه الكبير.

---

[1] ينظر ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،صص96،98،99.

* **قلعة ابن سلامة**:"(أو بني سلامة)هذه،وتسمى قلعة تاوغزوت...؛تقع في مقاطعة وهران من بلاد الجزائر،وتبعد بنحو ستة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من مدينة فرندة، التي تقع على وادي التحت،كما تبعد عن مدينة تيارت في الجنوب الغربي أيضا بتسع مراحل.أما سلامة الذي تُنسب إليه،أو إلى بنيه، القلعة؛فهو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بني يدللتن من بطون توجين.سكن تاوغزوت،واختط بها القلعة، فنُسبت إليه،و إلى بنيه،وكانت من قبل رباطا لبعض العرب المنقطعين من سويد." ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،الحاشية رقم 4،ص 187.

[2] المصدر نفسه ،ص 187.

[3] المصدر نفسه،ص188.

2_القضاء:

إنّ أعلى منصب ديني في الدولة الحفصية،هو ما يُطلق عليه "قاضي الجماعة" الذي يمارس مهامه في عاصمة الدولة فقط.و يُعتبر من أبرز كبار الشخصيات في المملكة،وقد كان لكل مدينة ما عدا العاصمة،قاض يُعيّن بظهير سلطاني،بعد مشاورة قاضي الجماعة وكبار المتقلدين للمناصب الدينية بتونس.ويظهر،أنّ السلطة المحلية من ولاة وغيرهم لا يمكنهم تنصيب قضاة بأنفسهم إلاّ إذا كانت علاقتهم بالسلطة المركزية ضعيفة.وقد أشار المؤرخون وأصحاب التراجم،في العهد الحفصي،إلى وجود قضاة بارزين في المدن التابعة للحفصيين،ومنها مدينة بجاية[1] التي تقلّد القضاء فيها عدد من الأندلسيين المهاجرين،الذين أظهروا مهارة و عدالة و قدرة كبيرة على تطبيق القانون،وعرفوا أيضا بقوة الشخصية ممّا أتاح لهم مواجهة الظلمة وردعهم.

_ **أبو عثمان سعيد بن علي بن مُحَّد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصار**: ولد ببلنسية سنة577هـ/1181م،و وفد على المغرب الأوسط،واستوطن بجاية،فتولى التدريس، ثم القضاء بها، حتى وافته المنية سنة 654هـ/1256م[2].

_**أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي**: يتمتع من منظور الغبريني بـ" علم محكم وعقد صحيح مبرم...وكانت له ديانة و كان سري الهمة رفيع القدر،تخطط بخطة القضاء في غير ما بلد وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت علم وقضاء،وتوارث سؤدد ثم قضى ببجاية ،فكان في قضائه على سنن الفضلاء وطريق الأولياء والعقلاء،قائما بالحقوق،وقافا مع الصدق،معارضا للولاة فيما يخالف الشرع ومباينا لهم...ثم انصرف عن بجاية،فولى قضاء حاضرة افريقية فكان له فيها الظهور في أحكامه...ولما توفي رحمه الله عجز القضاة بعده هنالك على سلوك منحاه."[3] وكان متشددا في طلب الشهود والإكثار من إحضارهم،فلا يطلبهم إلا عند الحاجة،بسبب ما يراه من كثرة فساد أخلاق زمانه،وقد كان فقيها متقنا معروفا بالتحصيل الجيد، كانت له رحلة إلى الشرق

[1] روبار برنشفيك،تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج2،صص 114،121.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،ص245.

[3] المصدر نفسه ، صص 126،127.

فحج ،و حصّل العلم،كما كان متحكما في علم الفقه، وله علمٌ بأصوله،وله شرح على الجزولية في أصول الدين[1].وافته المنية بتونس في شهر صفر سنة 691هـ/1252م[2].

_ **أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي**:وقد وصفه الغبريني صاحب عنوان الدراية بـ:"شيخنا الشيخ الفقيه الفاضل الجليل القاضي الكبير الشهير العدل الرضي...و تخطط بها(بجاية) بالعدالة وهو بها حقيق،وجلس للوثيقة وكان ممن يشار إليه بالنباهة والرياسة والسياسة...فظهر من نبله في القضاء و معرفته بوجوه الرد والإمضاء ما عجز عنه من تقدمه من القضاة،وكان مقدما في فصل الأحكام وعارفا بمواقعها على التمام،وكانت له صلابة وسياسة ووقوف مع الحق وكان في مدة ولايته ببجاية بعض الظلمة."[3] وقال عنه ابن قنفذ:"وكان ابن الغماز من سعداء الفقهاء،على أنّه لم يقتصر به المستنصر على القضاء بل ناط به أشغالا سلطانية،وكان ينظر له في كثير من الأمور. "[4]وهكذا،نتبين أنّ أصل ابن الغماز من بلنسية،ثم انتقل إلى بجاية و استوطنها،و صار من قضاتها الكبار،المعروفين بالعدل وحسن السياسة،وقد أظهر قدرته على القيادة و التحكم في الأوضاع عندما خرج جيش بجاية لمحاصرة مدينة مليانة،فانتشرت الفوضى في بجاية،فقام بتهدئة الناس، وضبط الأمور،وحافظ على الحقوق،وقام بحماية المدينة من الأخطار،فوصل خبره إلى السلطان الحفصي بتونس،فاستدعاه وقلّده القضاء ،واستعان به في أمور تتعلق بالدولة.و عندما تقدم به العمر،اعتزل خطة القضاء،وتفرغ لنشر العلم[5].

و إلى جانب معرفته بالقضاء واشتهاره به ،له أيضا معرفة واسعه بعلم الفقه حتى أنّ المقري وصفه بـ"الأستاذ الشهير"[6]، و ذكره ابن قنفذ في الفارسية بأنّه "الفقيه"[7] و هو :"من سعداء الفقهاء"[1].توفي سنة 693هـ/1293[2].

---

[1] التنبكتي،نيل الإبتهاج،ص382.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،ص128.

[3] المصدر نفسه،ص 129.

[4] ابن القنفذ، الفارسية،ص151.

[5] ينظر الغبريني،عنوان الدراية،صص129،

[6] المقري،نفح الطيب،ج4،316.

[7] أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني،الوفيات،دار الآفاق الجديدة،بيروت،لبنان،ط4،سنة 1403هـ/1983م ،ص334.

ثانيا: التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية:

يبدو لأول وهلة أنّ الحضور الأندلسي في المشهد الثقافي بمدينة بجاية خلال القرن السابع الهجري يطغى بقوة على النواحي الحضارية الأخرى،وكلما تتبع الباحث دور الجالية الأندلسية بحاضرة بجاية الحفصية سيتأكد أنّ الحياة الثقافية كانت زاخرة وثرية بعدد كبير من العلماء و الطبقة المثقفة التي كانت من الطراز الرفيع و المؤثر.

ولعل من أسباب ذلك ،توفر المادة التاريخية التي أفادنا بها الغُبريني في كتابه النفيس "عُنوان الدارية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"،وهو يماثل في قيمته كتاب "بغية الرواد" ليحيى بن خلدون في ترجمته لشخصيات أندلسية استوطنت حاضرة تلمسان،و تركت أثرا معرفيا في التاريخ الثقافي للدولة الزيانية، إلاّ أنّ كتاب الغبريني يفوق ما كتبه يحيى بن خلدون من حيث كمية المعلومات التاريخية التفصيلية عن عدد كبير من أصحاب العلم و الأدب.

فإذا كان يحيى بن خلدون قد خصص فصلا في بضع صفحات من كتابه لذكر عدد محدود من الأعلام والعلماء والصلحاء الوافدين من الأندلس إلى حاضرة تلمسان الزيانية،فإنّ الغبريني قد خصص معظم كتابه للتعريف بشخصيات علمية عديدة من الجالية الأندلسية التي عاصرت القرن السابع الهجري،إذ بلغ عددهم ما يفوق خمسة وعشرين عالما،مابين فقيه وأصولي وأديب و شاعر ولغوي ومؤرخ و كاتب و طبيب، وغيرها من التخصصات العلمية.

و الملاحظ، أنّ تراجم هؤلاء الأندلسيين تأتي في المرتبة الثانية من حيث الكم بعد البجائيين والجزائريين.وبسبب هذا الحضور الأندلسي النوعي والعددي بحاضرة بجاية،ظهر فيها كما أطلق عليه الغبريني "الجماعة الأندلسية"وكان يرأسها ابن محرز البلنسي الذي كان أديبا كبيرا،فكان بيته شبه ناد ثقافي تحضره شخصيات علمية كبيرة أندلسية استوطنت بجاية[3].

ومن ثم،فإنّ تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الثقافية بحاضرة بجاية الحفصية سيكون له الحيز الأكبر في هذا الفصل.و لا شك سيكون الاعتماد في المقام الأول في استكشاف معالم و مظاهر

---

[1] ابن القنفذ،الفارسية،ص151.

[2] ابن قنفذ،الوفيات ،ص334.

[3] الغبريني،عنوان الدراية،صص36،39،40،241،242.

هذا التأثير انطلاقا من كتاب "عنوان الدراية" بوصفه شاهدا صريحا على الحضور المكثف للأندلسيين في تنشيط الفضاء الثقافي بمدينة بجاية في العهد الحفصي.

ومن الواضح أنّ من ترجم لهم الغبريني من الأندلسيين الوافدين على بجاية،قد برعوا في عدة علوم و بلغوا القمة في أنواع من النثر والشعر،و مارسوا مهنة التدريس ،وتخرج على أيديهم عدد من العلماء الكبار،ولهم مصنفات كثيرة وقيمة،وبعضهم كان له تخصص في جانب من العلوم النقلية أو العلوم العقلية.وفي هذا السياق، سنتعرف على بعض العلماء الأندلسيين الذين استوطنوا حاضرة بجاية،وساهموا في إثرائها حضاريا في مجالات متعددة من المعرفة.

1_في المجال الديني:

ويتضمن كل ما يتعلق بالعلوم الدينية نقلا أو عقلا،رواية أو دراية، كالفقه وأصول الفقه وأصول الدين و علوم الحديث وعلم القراءات و المنطق والتصوف وغيرها.

_ **علم القراءات:** وهو صنف من أصناف العلوم النقلية[1]،و المراد به"علم يعرف كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله."[2] وترجع أهمية هذا العلم إلى كونه يدور حول حفظ القرآن الكريم من التحريف والتغيير،ولأنّه يتضمن عدة علوم نافعة كعلم القراء والترجمة لهم،والعلم برسم المصحف،والصورة الخطية التي وافق عليها عثمان رضي الله عنه وكتب بها المصاحف،وعلم توجيه القراءات والعلم بها[3].

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أنّ علم القراءات لقي عناية فائقة و تأليفا كثيرا و ازدهارا لافتا في بلاد الأندلس، وذلك بفضل مجاهد من موالي العامريين، حين ملك شرق الأندلس،وصارت له بها إمارة،فحث على الاهتمام بهذا العلم و شجع عليه،فكثر العلماء المهتمون به،وعلى رأسهم عالم القراءات الأشهر أبو عمرو الداني،فكان لا ينافس ولا يفوقها في الإحاطة بها.واعتمد العلماء على كتبه وبالأخص كتابه "التيسير"،فجاء من اختصرها في نظم لتسهيل

---

[1] ابن خلدون،المقدمة، ج2،ص 359.

[2] مُحَمَّد عباس الباز،مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص،دار الكلمة،القاهرة،مصر ،ط1،سنة1425هـ/2004،ص39.

[3] ينظر السيد رزق الطويل،مدخل في علم القراءات،المكتبة الفيصلية،ط1،سنة1415هـ/1985م،صص 41،42.

حفظها،وهوالإمام أبو القاسم بن فيرّه الشاطبي،فصار المتعلمون من الكبار والصغار في بلاد الأندلس والمغرب يتناقلون قصيدته .[1].

وهكذا، كان للأندلسيين دور كبير في تعميق علم القراءات و نشره و إثرائه في بلادهم.ومن هنا، فإنّ للجالية الأندلسية المستوطنة بحاضرة بجاية الحفصية إسهامها الأكبر في هذا العلم الجليل تأليفا و تدريسا.وهذا ما سنلحظه من خلال الوقوف على الشخصيات العلمية المتخصصة في هذا العلم، والتي صارت مرجعا فيه.

من هؤلاء الأندلسيين العارفين بعلم القراءات ،والذين أفادوا بعلمهم أهل بجاية ومن حولها من المدن المغربية **مُحَمَّد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي** ويكنى بأبي عبد الله، أصله من مدينة شاطبة،ولد بها سنة614هـ،هاجر إلى المغرب الأوسط،واستوطن حاضرة بجاية،و كان له اتصال بعدد من كبار العلماء في الأندلس والمغرب[2]. وصفه من ترجم له بأنّه :" المحدث الخطيب بجامع بجاية مدة ثلاثين سنة لم تفته فيها جمعة."[3] وبأنّه :"الشيخ الفقيه... الأستاذ المقرئ الصالح...روى ودرس واستجاز وأجاز،وروى وقرأ واستمتع واستنفع به خلق كثير."[4] وكان واسع المعرفة بعلم القراءات موصوف بالإتقان فيها والإجادة،وله رواية للحديث متسعة وعالية[5]،توفي سنة 699هـ[6].

و ممن ذكرهم الغبريني في عنوان الدراية مؤكدا على سعة علمهم بالقراءات **أحمد بن مُحَمَّد بن حسن بن مُحَمَّد بن خضر الصدفي الشاطبي**،المكنى بأبي العباس و هو الموصوف بـ:" الشيخ الفقيه المقرئ المحصل الراوية الضابط المتقن المجود."[7] أصله من شاطبة،برع في **علم القراءات** و رواية الحديث،وكان لا يجيز إلاّ بعد التحصيل المتقن الجيد، ،و كان له اتصال بعدد من علماء بجاية.وقد كان الغبريني من تلاميذه حيث ذكر عن شيخه أنّه كان عارفا بعلم القراءات معرفة

---

[1] ابن خلدون،المقدمة،ج2،ص 362.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،صص104،107.

[3] ابن قنفذ،الوفيات،ص 335.

[4] الغبريني،عنوان الدراية،ص104.

[5] المصدر نفسه،ص104.

[6] ابن قنفذ،الوفيات،ص335

[7] الغبريني،عنوان الدراية،ص108.

واسعة،وما رأى أتقن ولا أضبط منه فيها ، وقد اعتنى بفن مهم من فنون القراءات،هو فن الرسم المتعلق بـ"أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطيّة."[1] فألّف فيه كتابا،وله كتب أخرى في ضبط رواية ورش، وما يتعلق بها من أحكام.وافته المنية سنة 674هـ[2].

و من المعروفين أيضا بعلمهم الواسع و إتقانهم لعلم القراءات **سعيد بن علي بن مُحَّد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري البلنسي**، ويكنى بأبي عثمان وهو من أهل بلنسية ببلاد الأندلس، وُلد بها سنة 577هـ،له معرفة واسعة بعلم القراءات،وبعد استقراره ببجاية جلس للإقراء،وقد استفاد منه الكثير،وكان له عناية بالقرآن قراءة ورواية وتفهيما وتعليما،وافته المنية سنة 654هـ[3].

_**علوم الحديث**: المراد بها:" إسناد السّنّة إلى صاحبها والكلام في الرّواة النّاقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث."[4] وقد صنفها الغبريني ضمن علوم الرواية[5].

لقد زخرت حاضرة بجاية في العهد الحفصي بعدد من علماء الحديث الكبار الموصوفين بالإتقان والإجادة،و منهم **مُحَّد بن أحمد بن عبد الله الإشبيلي**،يُعرف بابن سيد الناس،ويُكنى بأبي بكر[6]، وهو من أبدة[7]* بالأندلس[8]،وكان عالما بالحديث وعلومه وحافظا له،عارفا برجاله و بأسمائهم وبأسمائهم و تاريخهم،توفي سنة 959هـ/1260م[9].

---

[1] ابن خلدون،المقدمة، ج2،صص362،363.

[2] ينظر الغبريني،عنوان الدراية،ص111.

[3] المصدر نفسه،ص245.

[4] ابن خلدون،المقدمة، ج2،359.

[5] ينظر الغبريني،عنوان الدراية،صص 309،311.

[6] ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية ،ج1،ص279.

* **أبدة**: بالضم ثم الفتح والتشديد: مدينة بالأندلس من كورة جيّان. . صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي،مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1412، ج1،ص10.

[7] الغبريني،عنوان الدراية،ص85.

[8] المصدر نفسه،ص.246.

[9] ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية،ص279.

و من الشخصيات الأندلسية العلمية التي كان لها إسهاماتها في علوم الحديث وروايته **أبو زكرياء اللقنتي الأندلسي**، رحل من الأندلس إلى حاضرة بجاية، وهو من جمع بين الفقه ورواية الحديث،و قد أقرأ و أخذ عنه العلم كبار العلماء منهم شيخ الغبريني الفقيه أبو مُحَمَّد عبد الله بن عبادة،وقد جلس بالجامع الأعظم بمدينة بجاية لتدريس الإقراء،وقد وصلت شهرته إلى السلطان الحفصي فاستدعاه للاستفادة من علمه[1].

ومن علماء الجالية الأندلسية بحاضرة بجاية الذين عُرفوا أيضا برواية الحديث والرسوخ بعلم الحديث **مُحَمَّد بن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن بن سُلَيْمَان الزُّهْرِيّ**، أصله من بلنسية، و يكنى بأبي بكر و هو معروف بِابْن مُحرز وَكَانَ بَيتهمْ فِي الْقَدِيم يُعرف بِابْن القح ،كانت ولادته سنة 569هـ[2]،وهو من علماء الحديث الموصوف بالحفظ والرواية،أخذ العلم عن كبار العلماء ببلده الأندلس،وبالمغرب والمشرق،ثم دخل بجاية واستوطنها في حدود سنة 640هـ،وكانت له مكانة كبيرة في حاضرة بجاية،وكان مرجعا علميا في جميع العلوم،فكان الإقبال عليه كبيرا لأخذ علم الفقه وعلم الحديث وغيرها من العلوم عنه ،وكان جُل وقته للتدريس و التعليم والرواية[3].و ذكره المقري في "نفح "نفح الطيب" فقال:" وكان أحد رجال الكمال علماً وإدراكاً وفصاحة وحفظاً للفقه وتفنّناً في العلوم ومتانة في الأدب، حافظاً للغة والغريب، وله شعر رائق، ودين متين. "[4] وقال عنه ابن الأبار:"وَكَانَ أحد رجال الْكَمَال علما وإدراكا وفصاحة مَعَ الْحِفْظ بالفقه والتفنن فِي الْعُلُوم والمتانة فِي الْآدَاب وَحفظ اللُّغَات والغريب وَله شعر رائق بديع سَمِعت مِنْهُ كثيرا وَأَجَازَ لي. "[5] وهذه شهادة ساطعة تدل على مكانة ابن محرز العلمية و الأدبية وعلى معرفته الموسوعية الثرية.

و أورد الغبريني في كتابه "عنوان الدراية" أنّ ابن محرز كان يترأس مشيخة الأندلسيين ببجاية،فيجتمع عنده في بيته كبار علماء الأندلسيين الوافدين على بجاية[6]،لمناقشة قضايا العلم

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية،ص224.

[2] ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج2،صص 153،154.

[3] الغبريني،عنوان الدراية،صص241،242.

[4] المقري،نفح الطيب،ج2،ص66.

[5] ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج2،ص154.

[6] الغبريني،عنوان الدراية،صص241.

والفكر والأدب،فكأنّ بيته جمعية علمية أدبية اجتماعية فيها كثير من المحاورات المعرفية و الانشغال بواقع الجالية الأندلسية وهمومها.و كانت وافته سنة 655هـ[1].

و قد استقر بحاضرة بجاية عالم من علماء الحديث حافظ لأسانيده و عارف لمعانيه، وهو **سليمان بن علي الشلبي الأندلسي**،المكنى بأبي الربيع، المعروف بـ"كثير"[2].و ذكر الغبريني منزلته العلمية،فقال:"له علم بالحديث ومعرفة برجاله،حافظ لأسانيده محصل لمعانيه،من أهل الضبط والحفظ."[3] ووصفه المقري بأنّه:"الأديب المحدث."[4]،وتجدر الإشارة،إلى أنّ سنة ولادته ووفاته غير معلومتين.

_ **الفقه و أصوله:** الملاحظ أنّ الشخصيات العلمية الأندلسية الوافدة على حاضرة بجاية التي ترجم لها الغبريني في كتابه"عنوان الدراية" كانت في معظمها من الفقهاء،وقد ذكر أنّ بعضهم قد بلغ درجة الاجتهاد، ومنهم **مُحَّد بن عبد الحق بن عمر الأنصاري الأندلسي** و **عبيد الله بن فتوح النفزي** من أهل شاطبة[5]. ومن العلماء الأندلسيين الذين برعوا في علم الفقه و أصوله،نستحضر الأسماء التالية:

_**أبو العباس أحمد بن خالد**:أصله من مالقة* ببلاد الأندلس[6]،وُصف بأنّه:" الفقيه الأصولي المشارك المحصل،قرأ بالأندلس ومراكش و لازم عبد الله المؤمناني."[7] و اتصل بعدد من العلماء،وكان عالما في أصول الفقه،وفي أصول الدين،و له انتقادات على طريقة فخر الدين الرازي في إدخال المنطق في الأصلين،أصول الفقه وأصول الدين،وله مشاركة في الفلسفة.و كان تلاميذه

---

[1] صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي،الوافي بالوفيات،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت،لبنان، سنة 1420هـ- 2000م،ج1،ص 162.

[2] المقري،نفح الطيب،ج3،ص566.

[3] الغبريني،عنوان الدراية،ص239.

[4] المقري،نفح الطيب،ج3،ص 566.

[5] الغبريني،عنوان الدراية،صص 85،176.

* **مَالَقَة**: مدينة بالأندلس عامرة، من أعمال ريّة.صفي الدين،مراصد الاطلاع،ج3،ص1221.

[6] الغبريني،عنوان الدراية،ص100.

[7] ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية،ج1،ص 286.

يأخذون عنه العلم و يقرؤون عليه،و منهم الغبريني الذي قرأ عليه بعضا من كتب أصول الفقه[1]،توفي بمدينة بجاية سنة 660هـ/1261م[2].

_ **أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات:** أصله من الأندلس،أخذ العلم بها،ثم رحل إلى بجاية واستوطنها. و يتميز بحفظه لمذهب مالك و تبحره فيه حيث كانت معرفته به في غاية الإتقان والإجادة،و صار مرجعا فيه،يجلس إليه طلبة العلم ويأخذون عنه فقه مذهب مالك،وقد درّس الفقه المالكي ببجاية،ثم بتونس بعد أن انتقل إليها،وبها وافته المنية[3]،سنة ولادته ووافته غير معلومة. معلومة.

_**أبو مُحَّد عبد الحق الأزدي الإشبيلي:** له في كل علم وفن نصيب،فهو من العلماء في علم الحديث، وفي علوم القرآن و علم الأصول، وعلم الرقائق والأذكار. وممّا يدل على إسهاماته في إثراء الحركة العلمية بحاضرة بجاية،روايته بموطأ الإمام مالك ،و برنامجه الذي أثنى عليه الغبريني وذكر أنّه يشتمل على مائتين واثنتين وعشرين كتابا كلها متصلة بإسناد إلى أصحابها،وقد أخذ عنه كبار العلماء من داخل بجاية وخارجها. و قد صنف كتابا وسمّاه بـ"كتاب الأعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الإشبيلي"،وافته المنية سنة 628هـ[4].

_ **التصوف:** اللافت للانتباه،أنّ حاضرة بجاية خلال القرن السادس والسابع الهجريين قد كانت مركزا انطلق منه مشائخ التصوف لنشره وبثه روحيا وفكريا وسلوكيا،و بكل ما يشتمل عليه من تيارات روحية و فلسفية التي وصل تأثيرها غربا وشرقا.

و تساوقا مع ما تقدم، كانت حاضرة بجاية الموحدية مقرا لشيخ مشائخ التصوف و صاحب مدرسة التصوف السني أبو مدين شعيب،الذي برز في القرن السادس الهجري،وقد كان له تلاميذ وأتباع يحتشدون حوله لتلقي طريقته وفكره الصوفي القائم على التزام الكتاب والسنة، و الاستناد إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي كمرجعية معرفية و فكرية[5]. وبذلك صارت

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية،ص100.

[2] ابن سالم مخلوف،شجرة النور، ج1،ص 286.

[3] الغبريني،عنوان الدراية،ص178.

[4] المصدر نفسه،صص193،194.

[5] ينظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد التلمساني، ج2،ص.384،385.

مدينة بجاية قاعدة التصوف الأولى والأهم بتواجد شخصية أبي مدين شعيب فيها.و لاشك أنّ الحركة الصوفيه السنية قد ترسخت في هذه المدينة في العهد الحفصي.

وصار لأتباع هذه الطريقة حضور قوي،وهذا ما يطالعنا به كتاب "عنوان الدراية " ،فنلحظ تواجد شخصيات علمية تحمل نهج التصوف السني علما و عملا وسلوكا وتحقيقا،وخصوصا إذا اكتشفنا أنّ هذه الشخصيات من أصول أندلسية.

و منها الموصوف بالزهد والعبادة والورع و إجابة الدعاء والتبرك به مثل **قاسم بن مُحَمَّد القرشي القرطبي** المكنى **بأبي الفضل**. ونعته الغبريني بـ:"الشيخ الفقيه المنقطع الصالح الزاهد الورع المتعبد المستجاب الدعوة."[1] ومع أنّ له معرفة بالفقه،فقد عُرف عنه تصوفه و كثرة زهده و تفرغه للعبادة،فكان من المتصوفة المتعبدين. و كانت ولادته و نشأته بقرطبة،خرج مهاجرا إلى بجاية،و وافته المنية سنة 662هـ[2].

ومن الشخصيات المتعبدة نجد العالم بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين، **مُحَمَّد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري، والمكنى بأبي مُحَمَّد** وقد وصفه الغبريني بأوصاف تدل على منزلته العلمية حيث يقول عنه:"شيخنا الفقيه الإمام العالم المحصل المحقق المجيد الصوفي المجتهد. "[3] فهذا الوصف يدل على أنّه من الفقهاء المجتهدين، و هو أيضا من المتخصصين في علم التصوف و سلوكه،و أصله من أبدة،حيث إنّ جده المسمى عمر هو من وفد إلى الأندلس واستقر بحاضرة بجاية[4].في حين ولد هو بهذه المدينة و أتم تحصيله العلمي بها ،وصار من العلماء البارزين في الفقه و أصول الفقه وأصول الدين والمنطق والتصوف[5] ،كما لقي الثناء الحسن من أبي مُحَمَّد بن عبد الحق الحق بن سبعين في كتبه،توفي سنة 675هـ/1276م[6].

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية،ص161.

[2] المصدر نفسه،صص 161،164.

[3] المصدر نفسه ،ص85.

[4] المصدر نفسه ،ص85.

[5] التنبكتي،نيل الإبتهاج،ص 280.

[6] ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية،ج1،287.

و يعد **عبيد الله بن مُحَّد بن عبيد الله بن فتوح النفزي،المكنى بأبي الحسن** من المتصوفة الزاهدين المتعبدين العارفين بالفقه وأصوله ،و أصله من شاطبة ببلاد الأندلس.وكان من كبار العلماء الفقهاء المجتهدين و العُباد المعروفين بالزهد والورع متبعا للسلف الصالح،و له معرفة واسعة بالفقه وأصوله،وبالمنطق.و من مصنفاته "اختصار حلية الأولياء لأبي نعيم"،توفي في شهر جمادى الأولى سنة 642هـ[1].

وهناك شخصية أندلسية أخرى اجتمع فيها علم واسع بالفقه وأصوله و بسلوك طريق المتعبدين الصالحين، وهو **علي بن أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري المعروف بابن السراج الإشبيلي** المكنى بأبي الحسن، وهو من أهل إشبيلية، ولد سنة 560هـ،وذكره الغبريني في قوله:" الشيخ الفقيه...الصالح الفاضل...وكان على سنن الفقهاء،وعلى طريق المتعبدين الصالحين."[2] كما وصفه أيضا التجيبي في برنامجه بـ"الشيخ المسند المعمر"[3].وقد أخذ عن كبار العلماء ببلده،و تلقى العلم عنه في بجاية عدد من علماء الأندلس المستوطنين بها، و وافته المنية سنة657هـ[4].

و قد نجد من المتصوفة من هو فقيه وعالم في الشريعة و سالك لطريق المتصوف، و لا يتسامح في الخروج عن حدود الشرع، مُظهرا إنكاره الشديد ونقده اللاذع لكل من أخلط التصوف بالشعوذة و التلبيسات المنحرفة، **كأبي الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي**.وهو من أهل رندة بالأندلس، وُلد بها سنة 601هـ/1204م،ثم انتقل إلى بجاية و استقر بها. وهو من أهل التصوف السني الخالي من الشعوذة والشطحات والغلو، ملتزم ظاهر الشريعة متمسك بحدودها.وعُرف عنه الزهد وكثرة العبادة و الصلاح[5]،فهو كما وصفه

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية،صص 176،177.

[2] المصدر نفسه،ص181.

[3] القاسم بن يوسف بن مُحَّد بن علي التجيبي البلنسي السبتي،برنامج التجيبي،تحقيق: عبد الحفيظ منصور،الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس،1981 م،ص134.

[4] الغبريني،عنوان الدراية،ص182.

[5] ينظر المصدر نفسه ،ص121.

الغبريني:"الشيخ الفقيه الولي الصالح العابد الزاهد الموفق المنقطع المتخلي...كان على سنن الفقهاء وعلى طريق المتعبدين الصلحاء."[1] وكانت وفاته سنة 691هـ/1292م[2].

وممّا زاد من قوة نفوذ المتصوفة و مسلك التصوف في حاضرة بجاية تواجد عدد كبير من الزوايا التي تمثل مؤسسة تكوينية تربوية تُنمّي الحضور الصوفي و تعمقه في الواقع و تُقويه.وهذا ما لاحظه الحسن الوزان في رحلته خلال القرن العاشر الهجري حيث رأى كثرة الزاويا و إقبال الناس عليها.و قد ذكر الغبريني كذلك إشارات[3] في كتابه "عنوان الدراية" تدل على عادة زيارة مقابر هؤلاء الصوفية وتحويلها إلى مزارات يُتبرك بها.

و في مقابل مدرسة التصوف السني التي أسسها وتزعمها أبو مدين شعيب الأندلسي،نجد اتجاها آخر مناقض لهذه المدرسة،وهو تيار التصوف الفلسفي العرفاني الإشراقي الذي يُخلط روحانية التصوف بالمقولات الفلسفية والعبارات العرفانية.وقد قاد هذا النوع من التصوف الفلسفي مُحَمَّد بن علي مُحَمَّد الطائي الصوفي، ،المكنى بأبي بكر، و المعروف بابن العربي وبالحاتمي أيضاً، من أهل إشبيلية، وأصله من مرسية[4]،وقد ذكره الغبريني أنّه استقر ببجاية مدة وبث فيها أفكاره[5]. و كان معه كذلك في المدينة نفسها[6] عبد الحق بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن نصر، الشهير بابن سبعين، العكي، المرسي، الأندلسي، المكنى بأبي مُحَمَّد[7]،وكان شخصية صوفية لها النهج الصوفي الفلسفي نفسه[8]. وهو أيضا من الأندلس، و كذلك تلميذه الصوفي أبا الحسن علي الشّشتري الأندلسي[9] الأندلسي[9] الذي كان من الوافدين على بجاية في العهد الحفصي[10].

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية ،ص121.

[2] المصدر نفسه ،ص122.

[3] المصدر نفسه ،ص.122.

[4] المقري،نفح الطيب، ج2،ص175.

[5] الغبريني،عنوان الدراية ،ص158.

[6] المصدر نفسه ،ص209.

[7] المقري،نفح الطيب، ج2،ص196.

[8] عمار طالبي،الحياة العقلية في بجاية،الفلسفة والكلام والتصوف،مجلة الأصالة،العدد 19،ص170.

[9] المقري،نفح الطيب، ج2،ص158.

[10] الغبريني،عنوان الدراية،ص210.

ومّما سبق، يظهر أنّ حاضرة بجاية الحفصية كانت منطلقا للتصوف بجميع ما فيه من تناقضات معرفية و تنوع فكري ثري .واللافت للنظر أن يكون من يتزعم هذه التيارات الصوفية المتعارضة في المرجعية المعرفية من الجالية الأندلسية التي استقرت بحاضرة بجاية،خصوصا في العهد الحفصي.وهذا يؤكد من جديد أنّ الحضور الأندلسي بهذه المدينة كان له أبعاد دينية وفلسفية وعلمية عميقة و غنية.

2_في المجال العلمي:

ويشمل التخصصات العلمية كالرياضيات والحساب والهندسة وعلم الهيئة والطب وما شابه ذلك.

برع **في الطب أبو القاسم مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد الأموي**،المعروف بابن اندراس،أصله من مالقة،وفد إلى بجاية ،واستقر بها.و له معرفة بعلم العربية و علم أصول الدين،إلا أنّ العلم الذي برع فيه أكثر هو علم الطب حيث توسع فيه ،و كان يقوم بتدريسه في بجاية[1].و ذكر الغبريني أنّه كان كان من جملة تلاميذه، وقرأ عليه أرجوزة ابن سينا وكليات القانون قراءة فيها إتقان و جودة[2].وكان جودة[2].وكان من صفته أنّه لا يتسرع في الإجابة عن مسألة طبية حتى ينظر ويبحث فيها،وكان تخصصه طب الولادة ببجاية.و قد انتقل إلى العاصمة تونس باستدعاء من السلطان الحفصي المستنصر بعد ما بلغته مهارته في الطب،و جعله من أطبائه الخاصين به،و ضمه إلى مجلسه.و من مصنفاته نظم من الرجز ذكر فيه بعض الأدوية،ثم ألف نظما آخر في الأدوية المفردة من القانون.وكان يتسم بذكاء حاد ،و وافته المنية بتونس سنة 674هـ[3].

وكذلك ممن لهم مشاركة في علم الطب **أبو العباس أحمد بن خالد المالقي الأندلسي**[4].

[1] الغبريني،عنوان الدراية ،ص101.

[2] المصدر نفسه،ص101.

[3] المصدر نفسه ،ص102.

[4] المصدر نفسه،ص100.

3_في المجال التاريخي الجغرافي: و يندرج فيه علم التاريخ وعلم الجغرافيا.

يبدو أنّ حاضرة بجاية حفلت بمجموعة من المؤرخين الأندلسيين، ممّا يدل على أهمية هذه المدينة كمركز جامع للمدارس العلمية في القرن السابع الهجري؛ ومنها المدرسة التاريخية الأندلسية، والتي تتكون من كبار المؤرخين الذين تركوا ثروة تاريخية مهمة.ولذلك نجد الغبريني في كتابه "عنوان الدراية" يدعو بعض من ترجم لهم من الأندلسيين بـ"التاريخي" لاهتمامهم بتدوين التاريخ.

ومن الذين أضفى عليهم الغبريني هذا الوصف نذكر **عبد الحق الأزدي الإشبيلي،** ويكنى بـ"أبي مُحَّد"[1]. ويبدو أنّه من المؤرخين الأندلسيين الذين دونوا في التاريخ الإسلامي عموما، وتاريخ المغرب الإسلامي على الخصوص. و له تلخيص لتاريخ الطبري،و كتاب يتعلق بتاريخ قبيلة صنهاجة بمدينة بجاية وإفريقية سماه" النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة،بإفريقية وبجاية"[2]. و منهم أيضا **مُحَّد بن أحمد اليعمري الإشبيلي،** والمكنى بأبي بكر وقد أفرد له الغبريني ترجمة،ووصفه بالتاريخي[3].

ولعل من كبار المؤرخين خلال القرن السابع الهجري، وكان من المستوطنين لبجاية لمدة معينة، المؤرخ **مُحَّد بن عبد الله بن أبي بكر ابن عبد الله بن أبي بكر، القضاعي، الأندلسي، البلنسي**،المكنى بأبي عبد الله،والمعروف بابن الأبار، وهو من أهل بلنسية[4] .و قد كان سبب رحيله من بلده الأندلس، ما تعرضت له مدينته بلنسية من عدوان نصراني إسباني،إذ بأمر من أميرها ،بعثه في وفد لطلب النجدة من السلطان الحفصي أبي زكرياء،وأنشد أمامه قصيدته السينية المشهورة يستصرخه فيها،ولكنّ النجدة تأخرت،فاضطر أمير بلنسية إلى تسليم المدينة إلى النصارى الإسبان،فكان هذا سببا لعودة ابن الأبار إلى العدوة المغربية لاجئا مهاجرا هو و عائلته طلبا للأمان و بحثا عن مكان يستقر فيه[5].

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية ،ص197.

[2] المصدر نفسه ،صص193،194.

[3] المصدر نفسه،ص246.

[4] المقري،نفح الطيب، ج2،ص586.

[5] المقري،أزهار رياض، ج3،ص205.

و قد يكون تواجد ابن الأبار ببجاية، مرّ بمرحلتين:المرحلة الأولى عند هجرته من مدينته بلنسية بعد سقوطها،حيث اختار بجاية ليستوطنها دون غيرها من المدن عند لجوئه إلى العدوة المغربية، فاتجه إليها مباشرة دون أن يمر بمدينة مغربية أخرى، فكانت همزة وصل بين شرق الأندلس و المغرب الأوسط و الأدنى،فاستقبله أميرها ولي العهد الحفصي ابن أبي زكرياء.ولقد وجد فيها كل الترحاب والحفاوة والإكرام[1].ويبدو أنّه بقي فيها مدة ليست بالقصيرة ،ثم انتقل إلى تونس،التي كانت هدفه، ثم دخل في خدمة السلطان الحفصي وصار كاتبا[2].

و تتحدد المرحلة الثانية بانتقاله إلى بجاية بأمر من السلطان المستنصر الذي نفاه فيها.وقد أشار الغبريني إلى قرار النفي حين حديثه عمّا كتبه ابن عميرة المخزومي من رسائل،فقد بلغه أنّه"كتب عن المستنصر باستدعاء أبي عبد الله الأبار من بجاية. "[3]وكان ذلك سنة 657هـ [4].وقد ذكر ابن خلدون رواية الإبعاد هذه وسببها فقال أنّه :" كانت لابن أبي الحسين فيه سعاية لحقد قديم، سببه أن ابن الأبار لما قدم في الأسطول من بلنسية نزل ببنزرت، وخاطب ابن أبي الحسن بغرض رسالته، ووصف أباه في عنوان مكتوبة بالمرحوم. ونبّه على ذلك فاستضحك وقال: إن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل. ونميت إلى ابن أبي الحسين فأسرّها في نفسه، ونصب له إلى أن حمل السلطان على إشخاصه من بجاية. ثم رضي عنه واستقدمه ورجّعه "[5] إلى مجلسه ومكانته في الدولة.

ويبدو أنّ مرحلة النفي الثانية، أطول من الأولى،إذ يصف ابن سعيد حال ابن الأبار حينما كان في بجاية،فقال أنّ:" أخلاقه لم تعِنه على الوفاء بأسباب الخدمة،فقلصت تلك النعمة،،وأخّر عن تلك العناية،وارتحل إلى بجاية،وهو الآن بها عاطل من الرتب،خال من حلى الأدب،مشتغل

[1] حميد طريفة،ابن الأبّار القضاعي و مدائحه في البلاط الحفصي،دراسة موضوعية فنية،بحث مقدم لنيل درجة الماجستر في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج الأخضر،باتنة،كلية العلوم الإنسانية،قسم اللغة العربية وآدابها،السنة الجامعية 1430هـ،1431هـ/2009،2010،ص 73.

[2] المرجع نفسه،ص73.

[3] الغبريني،عنوان الدراية،ص.251.

[4] المصدر نفسه ،ص252.

[5] المقري،أزهار الرياض،ج3،ص206.

بالتصنيف في فنونه،متنفِل منه بواجبه و مسنونه،ولي معه مجالسات آنق من الشباب،وأبهج من الروض عند نزول."[1] وقد ذكر الغبريني أنّه تفرّغ في هذه المرحلة للإقراء والتدريس و الرواية.و كان من الشخصيات العلمية التي يتجمع حولها الطلبة، و يرحلون إليها لأخذ مختلف العلوم خاصة في علم الفقه و رواية الحديث وعلم القراءات[2]،فكان ضمن المشيخة الأندلسية الفاعلة ثقافيا و معرفيا في حاضرة بجاية الحفصية.

ويلاحظ أنّ مرحلة النفي كانت خيرا ونعمة على حاضرة بجاية، وعلى العلم وأهله،إذ في هذه الفترة أكمل كتاب"التكملة" و"الحلة السيراء"،.و ربما إتمام هذين الكتابين المهمين تاريخيا وأدبيا و بقاء نسخ منهما بمدينة بجاية،كان سببا في نجاتهما من الحرق والإتلاف[3] الذي تعرضت له كتب ابن الأبار بأمر من السلطان المستنصر الحفصي الذي استشاط غضبا منه بسبب رفضه امتثال أوامره وتطاوله عليه بكلام وصل إليه،فأصدر أمرا بقتله و إحراق كتبه كلها ،وذلك في سنة658هـ/1260م[4].

و شهد لابن الأبار الدارسون للتاريخ الإسلامي في القديم والحديث بأنّه:"مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة،أنّه حافظ فأوعى،وحفل صدره من العلم بالمغرب والأندلس وبتاريخ الإسلام عامة مالم يصل إليه إلا القلائل من علماء القرن السابع الهجري."[5]، وقال عنه الغبريني:"ولا يكاد يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلاّ و له فيه رواية إما بعموم أو بخصوص."[6] ولعل حضوره المعرفي ونشاطه الثقافي بحاضرة بجاية الحفصية الحافل بالإنجازات العلمية مع غيره من العلماء قد أظهر أهمية الدور الذي قامت به المشيخة الأندلسية في إثراء التدوين التاريخي والمعرفي في ذلك العصر.

---

[1] حسين مؤنس ، مقدمة المحقق ،ابن الأبار، الحلة السِّيَرَاء، ج1،ص44.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،ص257.

[3] حسين مؤنس ، مقدمة المحقق ،ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، صص43،44.

[4] ينظر مُحَّد شاكر،فوات الوفيات،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1974، ج3،ص405.المقري،نفح الطيب، ج2،590،591.المقري،أزهار الرياض، ج3،صص 204،205،206.

[5] حسين مؤنس ، مقدمة المحقق ، ابن الأبار،الحلة السيراء، ج1، ص8.

[6] الغبريني،عنوان الدراية،259.

ويضاف إلى هذه الجماعة من المؤرخين **أبي الحسن علي بن مؤمن بن مُحَمَّد بن علي الحضرمي** المعروف **بابن عصفور** و **أبي جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي الأندلسي**[1].و نستحضر أيضا **أبا العباس القرشي الغرناطي**،حيث كان يحفظ تاريخ الطبري،ويعتني بالرواية والبحث عن الأخبار،و معرفة أخبار الرجال سواء المتقدمين أو من المعاصرين له[2]،له مصنف في التاريخ عنوانه" المشرق في علماء المغرب والمشرق"،و وافته المنية سنة 692هـ/1992م[3].

ومن ثم،فإنّ المتتبع للأندلسيين المستوطنين بحاضرة بجاية سيجد عددا من المهتمين بالتدوين التاريخي ،و المساهمين في نشر الثقافة التاريخية سواء عن طريق التصنيف أو الإقراء والإجازة والرواية.وهذا الأمر جعل من بجاية مركزا للمدرسة التاريخية الأندلسية خلال القرن السابع الهجري.

4_في المجال الأدبي:

من الملاحظ أنّ بجاية الحفصية قد استقر بها عدد من أعلام الأندلس ،لهم تنوع في المعارف و تحصيل أنواع العلوم والفنون،فقد أورد الغبريني تراجم لهؤلاء الأندلسيين، وقد ذكر براعتهم في نظم الشعر و فصاحتهم في الخطابة ،و مهارتهم في النثر،و معرفتهم باللغة والنحو .كما أشار إلى أنّ منهم من غلب عليه وصف"الأديب"،و أبدع في فن الشعر و الكتابة.

و من الذين كانوا أعلاما للأدب والشعر و الكتابة في عصرهم،و شهد لهم العلماء بالنبوغ الأدبي،نستحضر أديبين اتخذا من بجاية الحفصية وطنا ثان لهما بعد الأندلس المنكوبة،وهما ابن عميرة المخزومي وابن الآبار البلنسي،فأولهما هو **أحمد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن الحسين بن عميرة المخزومي**،المكنى بأبي مطرف[4]، وولادته كانت بجزيرة شقر سنة 580هـ[5]، واستقر ببلنسية مدة مدة من الزمن[6].ثم انتقل إلى مراكش ودخل في خدمة الخليفة الموحدي الرشيد.وبعد ذلك قصد

---

[1] ينظر الغبريني،عنوان الدراية ،صص266،300.

[2] التنبكتي،نيل الابتهاج،ص 80.

[3] ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية،ج1،ص284.

[4] ينظر الغبريني،عنوان الدراية،ص250.

[5] ا ينظر لمقري،نفح الطيب،ج1،315.

[6] ينظر الغبريني،عنوان الدراية،ص 250.

ابن السلطان أبي زكرياء الحفصي بحاضرة بجاية[1]،فاستوطنها،و بقي فيها مدة طويلة،فكان له نشاطه العلمي بها حيث أقرأ بها و جلس للتدريس،ثم انتقل إلى تونس بدعوة من أميرها الحفصي المستنصر بالله،وجعله من جلسائه المقربين إليه،وفقهاء دولته[2].و وافته المنية في شهر ذي الحجة سنة 658هـ[3].

و كان ابن عميرة المخزومي متمكنا من علم الحديث والإكثار من روايته بإتقان وضبط،وكان راسخ القدم متحكما في علم أصول الفقه[4]،ولكن اشتهر في عصره ببراعته الأدبية وعبقريته في الكتابة النثرية،فشهد له الجميع بذلك.و أطال لسان بن الخطيب الثناء عليه في إحاطته،ومن جملة ما قاله نقلا عن غيره:" ومال إلى الأدب فبرع فيه براعة عدّ بها من كبار مجيدي النّظم. وأما الكتابة، فهو علمها المشهور، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدّهور، ولا سيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، وله المطوّلات المنتخبة، والقصار المقتضبة. "[5]وبعدما بين مكانته الأدبية أبدى رأيه فيه بنظرة الأديب الناقد:" قلت: وعلى الجملة، فذات أبي المطرّف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده،إدراكا وتفنّنا...قائما على العربية واللغة، كلامه كثير الحلاوة والطّلاوة، جمّ العيون، غزير المعاني والمحاسن، وافد أرواح المعاني، شفّاف اللفظ، حرّ المعنى، ثاني بديع الزمان، في شكوى الحرفة، وسوء الحظ، ورونق الكلام، ولطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم، والقصور في السّلطانيات."[6] و نجد الغبريني الغبريني يشيد أيضا بقدرته الفائقة في الكتابة الأدبية حتى غلب عليه ذلك، وصار لا يُعرف إلاّ بأدبه الرفيع الأنيق[7].

---

[1] ينظر المقري،نفح الطيب، ج1،ص314.
[2] ينظر الغبريني،عنوان الدراية،صص251،253.
[3] ينظر المقري،نفح الطيب، ج1،ص 315.
[4] الغبريني،عنوان الدراية،ص251.
[5] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج1،ص 174.
[6] المصدر نفسه، مج1،ص 174.
[7] الغبريني،عنوان الدراية،صص 250،251.

و قد أورد المقري كذلك أوصافا لعبقرية أبي عميرة الأدبية،فيقول عنه:" قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وصدر الجلّة الفضلاء... ونكتة البلاغة التي قد أحرزها وأودعها، وشمسها التي أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها، مبدع البدائع التي لم يحظ بها قبله إنسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان. "[1] و وصفه ابن سعيد بأنّه:"هُوَ الْآن عَظِيم الأندلس فِي الْكِتَابَة وَفِي فنون من الْعُلُوم."[2] وعليه،فإنّ تواجد ابن عميرة المخزومي الأندلسي بحاضرة بجاية لمدة ليست بالقصيرة قد كان له أثره العميق في تنشيط الحركة الأدبية والنهوض بها، وكذلك هو مؤشر على أهمية مدينة بجاية ثقافيا وحضاريا في ذلك العصر،إذ كانت ملتقى كبار الأدباء و العلماء من مختلف التخصصات والفنون.

و من الأدباء الذين بلغوا مرتبة عالية في عالم الأدب في تلك الفترة نذكر **ابن الأبار** الذي استوطن حاضرة بجاية لمدة طويلة، فهو:"ممن لا ينكر فضله،ولا يجهل نبله،له تآليف حسنة و نزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة. "[3] و قد كان مؤرخا كبيرا و أديبا من الطراز العالي وشاعرا مبرزا ،وامتاز بأسلوبه الأدبي الرصين الجميل الحامل لفحولة لا نجدها كثيرا بين معاصريه من الأدباء[4].و من ثم ،كان بمؤلفاته في ميدان الشعر والأدب والتاريخ نجما ساطعا في عالم الأدب والشعر[5].

ومن الأدباء الذين اعترف لهم القاصي والداني في عصرهم ببراعتهم الأدبية و عبقريتهم الشعرية **سليمان بن علي الشلبي**،والمكنى بأبي الربيع،والمشهور بكثير[6]العلياوي[1]،و هو معروف عند عند علماء عصره ببلوغ منزلة رفيعة في الأدب و قرض الشعر.

---

[1] المقري،نفح الطيب، ج1،ص 313.

[2] أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب،تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف ،القاهرة،مصر ،ط3،سنة 1955م، ج2،ص363.

[3] الغبريني،عنوان الدراية،ص 259.

[4] حسين مؤنس ،مقدمة المحقق،ابن الأبار،الحلة السيراء، ج1، ص8.

[5] السعيد بحري،الشعر في ظل الدولة الحفصية،دراسة تاريخية فنية،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم،جامعة منتوري،قسنطينة، كلية الآداب و اللغات،قسم اللغة العربية،السنة الجامعية:1426،1427/2006،2007،ص169.

[6] المقري،نفح الطيب، ج3،ص566

و قد أثنى عليه الغبريني صاحب "عنوان الدراية" كثيرا، و أشاد بموهبته الفذة و مهارته الفائقة في الفصاحة والبلاغة ،حتى قال أنّه سبق أهل عصره في المجال الأدبي.فـ " شأوه فيه لا يُدرك،سبق أهل الزمان وأربى،ولمثله في الفصاحة والبلاغة تحل الحبى."[2] ثم أورد ما سمعه عن شيخه أبي الحسن الحرالي الذي شهد بعبقرية "كثير" الأدبية و الشعرية، حيث أصبح الأدباء يحتّجون بشعره ،وذلك لما وصل إليه من مرتبة عالية في الفصاحة والبلاغة في فن النثر و الشعر.و كانت كتابته فيهما عفوية على البداهة والطبيعة، لا يتوقف و لا يتعثر،وكان كثير النظم للشعر،حيث ذكر الغبريني أنّ له قصيدة من خمسمائة بيت في غاية الإجادة والإتقان في اللفظ والمعنى، واصفا فيها حاله و معاتبا زمانه[3].

و قد وصف المقري سليمان بن علي الشلبي في نفح الطيب بأنّه" المحدث الأديب"[4] وأورد له أبياتا من الشعرو ترجم له أيضا ابن سعيد في "المغرب" وقال عنه:" أديب مَشْهُور فِي عصرنا كَانَ بإشبيلية ورحل إِلَى بجاية."[5] و أورد له أبياتا من الشعر تدل على براعته و بلاغته،ومنها قوله:

لَـــيْسَ المدامـــة مِمَّــا أســـتريح لَـــهُ وَلَا مجاوبــــة الأوتار والــــــنغم
وَإِنَّمَـــا لـــذتي كتـــب أطـــالعـــها وصـــارمي أبـــدا فِي نـــصـرتي قلمــــي[6]

وقد عُرف عن هذا الأديب الأندلسي أنه كثير النقد للكُتاب والمؤلفين والمتكلمين[7]، وذكر ابن سعيد بأنّ "أكثر كلامه فيما لا يعنيه،"[8] لكثرة انتقاداته.ومن جملة انتقاده للشعر في عصره أنّه كان يقول:" شاعر أعم من شيء،يشير إلى أنّ الشعراء كثير ،و المرضي منهم قليل."[9] ولعل بسبب

---

[1] ترجم له ابن سعيد باسم كثير العلياوي،نسبة إلى العليا،وهي من قرى شلب. ينظر المقري،نفح الطيب،ج3،ص 566، الهامش رقم 1. ابن سعيد،المغرب،ج1،ص398.
[2] الغبريني،عنوان الدراية،ص 239.
[3] يُنظر المصدر نفسه،ص 239.
[4] المقري،نفح الطيب،ج 3،ص566
[5] بن سعيد المغربي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب،ج1،ص 398.
[6] المصدر نفسه ،ج1،ص 398.
[7] الغبريني،عنوان الدراية،ص239.
[8] ابن سعيد، المغرب،ج1،ص398.
[9] الغبريني،عنوان الدراية،ص 239.

هذه الحدة في كلامه،حدثت جفوة بينه وبين أحد الأمراء في وقته،فانتقل من بجاية إلى منورقة،لاجئا إلى صاحبها أبي عثمان سعيد بن حكم[1]،فرحب به وأكرمه، وبقي هناك حتى وافته المنية[2].

و من الذين اشتهروا بمعرفتهم بالأدب وفنونه في حاضرة بجاية في العهد الحفصي **عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي**،ويكنى بأبي مُحَّد،وأصله من قرطبة،نشأ في تونس،ثم استقر في قرطبة،وكانت وفاته بقسنطينة سنة 636هـ،وقد كان له علم واسع بالأدب مستبحرا فيه[3].

و يعد **ابن عصفور** ممّن اشتهر بعلم النحو و التأليف ،و وصفه ابن سالم مخلوف صاحب "شجرة النور الزكية" بالنحوي، وله تصانيف كثير منها كتابه في النحو و الصرف:"المغرب والممتع في علم التصريف".وافته المنية سنة 669هـ/1270هـ[4].

5_في مجال التدريس والتعليم:

قد ساهمت الشخصيات العلمية الأندلسية المقيمة بحاضرة بجاية الحفصية في إثراء الحركة الثقافية من خلال ممارستها للتدريس والتعليم بطرق متنوعة و أساليب مختلفة،بحيث صارت بجاية منارة علمية تجذب إليها طلبة العلم من مختلف المدن المغربية،و محطة ينزل فيها العلماء لإلقاء دروسهم ،مثلما حدث للآبلي شيخ العلوم العقلية الذي عند عودته من تونس إلى حاضرة تلمسان الزيانية "مر ببجاية،ودخلها،فأقام بها شهرا،حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه."[5] وهكذا،فإن مدينة بجاية كانت ملتقى العلماء و عاصمة للعلم والثقافة.

---

[1] ابن سعيد،المغرب،ج1،صص 398،399.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،ص240.

[3] المصدر نفسه،ص271.

[4] ابن سالم مخلوف،شجرة النور الزكية،ج1، ص 282.

[5] ابن خلدون،رحلة ابن خلدون،ص.52

و من الأمور التي تبين دور المشيخة الأندلسية في ازدهار الحياة العلمية في حاضرة بجاية الحفصية، هو ما حوته بعض كتب "البرامج"* المتضمنة لأبرز الشيوخ الذين قاموا بمهمة تدريس العلوم في القرن السابع الهجري، وساهموا في نشر العلم وتخريج عدد من العلماء.وسأتطرق في هذا الصدد، إلى ثلاثة برامج لثلاثة من العلماء ،أحدهم رحل من المغرب الأقصى إلى بجاية طلبا للعلم وهو القاسم بن يوسف بن مُحَمَّد بن علي التجيبي البلنسي السبتي[1]،والآخران استقرا في بجاية وكانا من مواطنيها،الأول هو الغبريني والثاني اللبلي الأندلسي.و لا ريب أنّ قراءة برامجهم ستكشف لنا درجة مساهمة المشيخة الأندلسية في تنشيط الحركة العلمية من خلال التدريس والتعليم.

ذكر الغبريني في آخر كتابه "عنوان الدراية" برنامج مشيخته،وقد سجل فيه أسماء شيوخه و العلوم التي أخذها عنهم.وقد قسم هذه العلوم إلى نوعين:علوم دراية وعلوم رواية؛فالنوع الأول يتضمن علم الفقه وعلم أصول الفقه و أصول الدين وعلم العربيةوالمنطق والتصوف.و من العلماء الأندلسيين الذين تتلمذ عليهم في هذا النوع من العلوم أبو مُحَمَّد عبد الحق بن ربيع الأندلسي، فقد أخذ عنه علم الفقه والتصوف على طريقة أبي مدين شعيب،و ذكر طريقته في التدريس،وهي تقوم على البحث والمناقشة والمحاورة والتكرار وطرح الأسئلة وحلها.وقد درس علم الأصلين،أصول الفقه وأصول الدين والمنطق عن أبي العباس أحمد بن خالد المالقي،و قرأ عليه المستصفى والإرشاد،و أخذ علم العربية عن أبي عبد الله مُحَمَّد بن صالح الكناني الشاطبي[2].

و أمّا علوم الرواية، فتشتمل على رواية كتب في علوم معينة بأسانيد متصلة،وهذه العلوم هي علوم التفسير وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم العربية وعلم التصوف والتذكير وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه.و شيوخه فيها خمسة،إلاّ أنّ ثلاثة منهم من أصل أندلسي،وهم أبو مُحَمَّد بن الربيع الأنصاري،وأبو عبد الله الكناني و أبو العباس الصدفي[3].

* **البرامج**:وهي تآليف خاصة يُسجل فيها العلماء رحلاتهم العلمية،ويُقيدوا أسانيدهم،ومروياتهم.وتسمى :"المعجم،المشيخة،الثبت،البرنامج،الفهرست،الفهرس،الفهرسة". مُحَمَّد بوزيان بنعلي،تقديم،برنامج أبي جعفر اللبلي الأندلسي،أبو جعفر اللبلي الأندلسي،تحقيق: مُحَمَّد بوزيان بنعلي،مطبعة اسبارطيل،طنجة،المغرب،ص5.

[1] عبد الحفيظ منصور ،مقدمة المحقق، برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ،ص5.

[2] الغبريني،عنوان الدراية،صص307،308.

[3] المصدر نفسه ،ص 309.

و من العلماء الذين مروا بحاضرة بجاية طلبا للعلم في القرن السابع الهجري القاسم بن يوسف التجيبي السبتي،وأصله من المغرب الأقصى،وقد ألف برنامجا ذكر فيه مشيخته الذين حصل منهم العلوم خلال رحلته لطلب العلم من المغرب إلى المشرق.و قد ذكر في برنامجه شيوخه الذين استفاد منهم وجلس إليهم و درس عليهم. والملاحظ أنّ أبرزهم قد تكرر ذكره في كتابه و هو أبو عبد الله مُحَّد بن صالح الكناني الشاطبي الأندلسي[1].وقد قرأ عليه بجامع بجاية الأعظم بطريق المناولة[2]*.

و من الذين أخذوا العلم و درّسوه في بجاية أبو جعفر اللبلي الأندلسي الذي له برنامج ذكر فيه أنّه قرأ كل تصانيف السهيلي و أولها كتابه الموسوم ب"الروض الأنف" من أبي الحسين أحمد بن مُحَّد ابن السراج الإشبيلي أحد العلماء الأندلسيين المقيمين بحاضرة بجاية[3].

والذي نستخلصه من برامج هؤلاء العلماء الثلاثة أنّ بجاية كانت قبلة للعلماء وطلبة العلم من مختلف البقاع، و أنّ من أراد أن يتكون علميا ويحظى بمجالسة أكبر لعلماء ذلك العصر، فعليه بالرحلة إلى حاضرة بجاية.والأمر الثاني والمهم هو أنّ المشيخة الأندلسية بهذه المدينة كانت حاضرة بقوة و مؤثرة بشكل واضح.فجل المدرسين للعلوم النقلية أو العقلية،دراية أو رواية،من الجالية الأندلسية التي استقرت ببجاية بصفة دائمة أو مؤقتة.وبالتالي،فإنّ التأثير الثقافي والمعرفي للمشيخة الأندلسية البجائية خلال القرن السابع الهجري كان حقيقة ملموسة وأمرا واضحا و عميقا.

ولابد أن نشير هنا إلى المشيخة الأندلسية المتواجدة بقوة وكثافة بحاضرة بجاية،إذ لم يقتصر تأثيرها على مستوى الحركة العلمية،بل يتعداه إلى مناهج التعليم،و منها طريقة تعليم الصغار القرآن الكريم،فقد ذكر ابن خلدون أنّ المغرب الأدنى يتفرد بطريقة في تعليم القرآن للصغار تشبه تماما طريقة أهل الأندلس،وسبب ذلك يعود إلى الحضور الكبير للمشيخة الأندلسية. "و أمّا أهل

[1] القاسم بن يوسف التجيبي،برنامج التجيبي،صص28،30،39،45،55،90،110،129،237،245،286.

[2] القاسم بن يوسف التجيبي،برنامج التجيبي،ص.90.

* **الْمُنَاوَلَةُ**:"وَهِيَ أنْ يعطي االعالم كتابه إلى الطالب و يقول له: هذا روايتي عن فلان فاروه عنّي. عياض بن موسى اليحصبي السبتي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق:أحمد صقر،دار التراث،القاهرة،المكتبة العتيقة،تونس،ط1،سنة 1970/1379،ص79.

[3] أبو جعفر اللبلي الأندلسي،برنامج أبي جعفر اللبلي الأندلسي،ص52.

إفريقية، فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها. إلّا أنّ عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إيّاه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراآته أكثر ممّا سواه. وعنايتهم بالخطّ تبع لذلك. وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس، لأنّ سند طريقتهم في ذلك متّصل بمشيخة الأندلس الّذين أجازوا عند تغلّب النصارى على شرق الأندلس واستقرّوا بتونس. وعنهم أخذ ولداهم بعد ذلك."[1] ومن غير المستبعد أن يكون هذا التأثير الأندلسي في طريقة التدريس والتعليم قد وصل إلى مدينة بجاية التي تعتبر العاصمة الثانية لإفريقية بعد تونس،وفيها عدد كبير من المشيخة الأندلسية.

ثالثا:التأثير الأندلسي في الحياة الاقتصادية:

يبدو أنّ توافد الأندلسيين على حاضرة بجاية لم يقتصر على الطبقة المثقفة،بل نجد فئات أخرى من المجتمع من الحرفيين والصناع والفلاحين والتجار الذين ساهموا في التواصل الحضاري[2]،وكان لهم دور مهم في تطوير الاقتصاد في مجالاته المختلفة من التجارة والصناعة والزراعة.

1_التجارة:

لقد جعل الموقع الساحلي البحري مدينة بجاية وجهة كثير من التجار والسفن التجارية، وبالأخص من الأندلسيين الذين كانوا يأتون ببضائعهم إلى مرسى بجاية،متخذين منها أهم محطاتهم البحرية التي تمكنهم من التوسع تجاريا واستيطانا[3].

وقد كان هذا الدور الأندلسي التجاري البحري بمدينة بجاية في وقت مبكر،إذ ذكر ذلك البكري في القرن الخامس الهجري، حيث أشار إلى وجود عدد كبير من الأندلسيين الممارسين لمهنة التجارة[4].وقد ظهر أثر التنشيط التجاري للوافدين من الأندلس، في القرن السادس الهجري حيث

---

[1] ابن خلدون،المقدمة، ج3،ص221.

[2] أمينة بوتشيش،بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية،قسم التاريخ،السنة الجامعية: سنة 1428،2007/1429،2008،ص 79.

[3] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1،ص417.

[4] البكري،المغرب،ص.82

أكد الإدريسي على تحوّل بجاية إلى قطب اقتصادي تجاري،و ملتقى للطرق التجارية البرية الواصلة بين المدن المغربية،و لاحظ أيضا كثرة السفن المحملة بالبضائع المتنوعة،والتبادل التجاري الكثيف سواء كان بحريا أو بريا،فهو يصف هذه الحركية التجارية بقوله:"والسفن إليها مقلعة،وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة،وأهلها مياسير تجار...وبجاية قطب لكثير من البلاد."[1] وقد أشار صاحب الاستبصار أنّ لبجاية مرسى عظيما تحط فيه السفن التجارية من مختلف الأقطار، من المشرق والروم والصين والهند،و ساهم هذا حتما في ازدهار الحياة التجارية وتنشيطها[2].

وعليه،فإنّ هذه التجارة الرائجة المزدهرة في القرن السادس الهجري كان من ورائها التجار الذين يفدون إليها برا،و من الذين يرحلون إليها بحرا هم تجار أو مستوطنون،و على الأغلب هم الأندلسيون الذين يسهل عليهم الوصول إلى هذه المدينة القريبة من بلدهم الأندلس. و لا شك أنّ هذا النشاط التجاري استمر في العهد الحفصي،خصوصا مع رحيل عدد من الأندلسيين،ومن ضمنهم التجار.

2_ الصناعة:

ذكر الإدريسي الحالة الصناعية التي كانت تعيشها مدينة بجاية في القرن السادس الهجري،حيث أورد أنّه كانت بها صناعات كثيرة متنوعة وصناع مهرة،وبها دار لصناعة السفن والأساطيل بسبب توفر مادة الخشب بها،و وجود الزفت والقطران الجيد بمناطقها،وغناها بمعادن الحديد والصلب. وعليه،فإنّ هناك أنواعا من الصناعات انتشرت بها،كالصناعة المعدنية والخشبية[3].

و من جهة أخرى ذكر صاحب الاستبصار أنّ البجائيين في عهد الدولة الحمادية كانوا مشهورين بصناعة العمائم الجيدة الصنعة و الغالية الثمن[4].و يؤشر هذا على شيوع الصناعات النسيجية بمدينة بجاية،بالإضافة إلى صناعة الورق [5]والشمع الذي صار البضاعة المفضلة للتجار

---

[1] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،ص116.

[2] مؤلف مجهول،الاستبصار،ص130.

[3] الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،ص116.

[4] مؤلف مجهول،الاستبصار،ص129.

[5] أمينة بوتشيش،بجاية دراسة تاريخية وحضارية،صص.46،47.

الأوروبيين، ومنه سميت الشمعة بالفرنسية "Bougie " نسبة إلى المدينة التي تصنعها، وهي بجاية.وقد ظل هذا الشمع من أفضل وسائل الإضاءة في ذلك العصر،وكان يُصدر بكثرة إلى أوروبا[1].

ويبدو أنّ تأثير الأندلسيين في تطوير الصناعة ببجاية يفتقد إلى شواهد تاريخية،بل حتى إلى إشارات تعين الباحث على تلمس هذا التأثير،إلا أنّه لا يمكن إغفال دور العنصر الأندلسي الذي يعتبر جزءا مهما في النسيج السكاني،إذ أهلّه ليساهم في النهوض ببعض الصناعات وإدخال بعض الحرف الجديدة.

ومن المعلوم أنّه هناك شخصيات علمية عديدة توافدت على حاضرة بجاية في العهد الحفصي، وفضلت الإقامة بها.وهذا يقتضي تواجد عدد كبير من الصناع والحرفيين وأصحاب المهن من الأندلسيين.إلاّ أنّ المهتم بتدوين الأحداث التاريخية أو الراحل إلى هذه المدينة قد يغفل ذكر تواجد هذه الفئات،ربما لأنّ اهتمامه قد ينصب على الجانب السياسي أو العلمي.و ذلك لأنّ الأندلسيين قد صاروا من ضمن التركيبة السكانية لمدينة بجاية ممّا يجعل الرائي لا يلتفت إلى تسجيل الحضور الأندلسي المميز في المشهد الاجتماعي أو الاقتصادي،و قد يكون شح المادة التاريخية سببا في عدم بيان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مدينة بجاية، و خاصة في العهد الحفصي.

إلاّ أنّه يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات من خلال تتبع تطور بعض الصناعات بمدينة بجاية، ومنها الصناعات الجلدية التي برع فيها البجائيون في عهد الدولة الموحدية،خصوصا في صناعتهم الأحذية المتنوعة الأشكال.و قد تصدرت هذه الصناعة من قبل مدينة قرطبة، لوجود مراكز صناعية خاصة بها[2]،ولكن تلاشت هذه الصدارة القرطبية بسبب تردي الأوضاع بالأندلس. و قد أدى هذا الوضع إلى تدهور الحالة الاقتصادية بها،وخصوصا بالمدن الأندلسية الكبيرة.وبتوافد مجموعات كبيرة من الأندلسيين إلى المدن المغربية القريبة من العدوة الأندلسية و منها بجاية،تم نقل

---

[1] السيدة عالمة،نظرة على تاريخ بجاية، مجلة الأصالة،العدد19،ص 87.

[2] العذري،نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار،و البستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك،تحقيق : .عبد العزيز الأهواني ،منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ،سنة 1965،ص122.

إلى هذه المدينة بعض الصناعات التي تفوق فيها الصانع والحرفي الأندلسي ، ومن هذه الصناعات الصناعة الجلدية.

و من الصناعات التي نجد فيها أيضا اللمسة الأندلسية،نذكر الصناعة الفخارية والخزفية و الزجاجية،وقد كانت هذه الصناعة رائجة في العهد الحمادي، واستمرت في العهد الموحدي والحفصي،بل تطورت أكثر و زاد تنوع منتوجاتها من الأدوات الزجاجية والفخارية،وذلك بسبب تأثرها بالفنون القادمة من المشرق وخصوصا من الأندلس[1]،على اعتبار أنّ نسبة كبيرة من المهاجرين الأندلسيين وبمختلف طبقاتهم الاقتصادية والاجتماعية استوطنوا مدينة بجاية،فكان وجودهم ليس فقط إضافة علمية ثقافية، بل حتى اقتصادية واجتماعية.

ومن جهة أخرى،فقد لا حظ مارمول كرفجال في القرن العاشر من خلال جولته في أنحاء بجاية أنّ سكان هذه المناطق يمتهنون صناعة الأقمشة والزرابي التي يغلب عليها الطراز المغربي الأندلسي[2].وممّا لا ريب فيه أنّ هذه الإشارة تحيل على تواجد الأندلسيين بالمدن المغربية،خصوصا بعد التهجير القسري.وبطبيعة الحال،سينجم عن ذلك امتزاج بين الطبوع المغربية والأندلسية في صناعة الألبسة و الأثاث المنزلي .

3_الزراعة:

في الواقع نستطيع تسجيل الملاحظة نفسها التي رصدناها عند الحديث عن المجال الصناعي، فيما يخص الناحية الفلاحية بمدينة بجاية في العهد الحفصي،إذ لانجد مستندات تاريخية تكشف لنا حال الزراعة بهذه المدينة،فضلا عن إسهامات الأندلسيين في تطويرها. ولكن يمكن استكشاف بعض النشاطات الزراعية في هذه المدينة من خلال الاستعانة بما سجله الجغرافيون في كتبهم،حيث إنّ الإدريسي ذكر أنّ هذه المدينة لها بواد ومزارع،و أنّ من أكثر المحاصيل الزراعية وفرة الشعير والحنطة والتين وأنواع الفواكه الأخرى التي تُحقق فائضا يمكن تصديره إلى المدن المجاورة،و أشار أيضا إلى وجود نهر كبير يجري بجوارها[3].

---

[1] أمينة بوتشيش،بجاية دراسة تاريخية وحضارية،ص47.

[2] مارمول كرفجال،إفريقيا، ج2،ص376.

[3] الإدريسي،المغرب العربي من نزهة المشتاق ،ص 116 .

و قد أشار صاحب الاستبصار إلى وجود البساتين الكثيرة التي تحيط بها العيون والأنهار في مدينة بجاية،والأراضي المزروعة التي تسقى بنواعير مصنوعة على الأنهار[1].و أمّا الحسن الوزان في القرن العاشر فقد لاحظ كثرة الثمار بهذه المدينة،بسبب وجود حدائق عامرة بالأشجار من الناحية الشرقية منها[2]،ويتفق معه مارمول كرفجال حينما أورد أنّ حولها بساتين خاصة في جهة الشرق،وبالقرب منها أشجار وغابات كثيفة.ومن ثم،فإنّ هذه المدينة الساحلية تتوفر على إمكانات طبيعية تجعلها منطقة زراعية مزدهرة و غزيرة الإنتاج[3].

أمّا فيما يخص مساهمة العنصر الأندلسي في تطوير الزراعة بمدينة بجاية ، فليس هناك معطيات تشير إلى ذلك إلاّ ما ألمح إليه روبار برنشفيك من أنّ الأندلسيين حين استقرارهم ببجاية قد نقلوا معهم مهاراتهم الزراعية ،لذا نجدهم اختاروا الإقامة في البساتين المحاطة بالأنهار ليتمكنوا من ممارسة زراعتهم للبقول التي هي من تخصصهم[4].

رابعا:التأثير الأندلسي في الحياة الإجتماعية:

يلاحظ أنّ التوافد الأندلسي بحاضرة بجاية صار كثيفا وبأعداد متزايدة خلال القرن السابع الهجري، بسبب استيلاء النصارى الإسبان على المدن الأندلسية واتباعهم سياسة الطرد والتهجير لسكانها المسلمين،وهذا الوضع نتج عنه تواجد عائلات أندلسية كاملة منظمة ومترابطة و متضامنة مع بعضها،متمسكة بعاداتها وثقافتها و كيانها الخاص بها مكونة عنصرا جديدا من العناصر السكانية للمجتمع البجائي،وكأنّهم بذلك يرفضون الاندماج الكامل مع غيرهم من السكان الأصليين،محافظين على هويتهم الأندلسية الثقافية والاجتماعية[5].

وفي هذا الصدد ،أشار الغبريني في "عنوان الدراية" أنّ للأندلسيين بحاضرة بجاية،تنظيما اجتماعيا وثقافيا أطلق عليه اسم"الجماعة الأندلسية"،وقد ذكر أنّ لهذه الجماعة رئيسا يمثلها

[1] مؤلف مجهول،الاستبصار،ص130.

[2] الحسن الوزان،وصف إفريقيا،ج2،ص50.

[3] مارمول كرفجال،إفريقيا،ج2،ص 377.

[4] روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج1،ص417.

[5] المرجع نفسه ،ج1،ص417.

و يتكلم بلسانها، و تجتمع عنده في بيته لتبحث معه همومها و تجدد وفاءها للانتماء الأندلسي ثقافة وهوية،وقد سمّاه بـ"رأس الجماعة الأندلسية" وهو العالم الأندلسي الموسوعي ابن محرز[1].

ومن الواضح أنّ مصطلح "الجماعة الأندلسية" يحمل بعدا سوسيولوجيا ، و لهذا ذكره الغبريني بلفظه الاصطلاحي الاجتماعي،ممّا يدل على وجود عنصر سكاني في مدينة بجاية الحفصية له خصوصياته، و أنماط عيشه و عاداته وتقاليده في المطعم والملبس، و طريقة الحياة.وهذا الأمر يؤشر على أنّ المجتمع البجائي يتنوع في تركيبته السكانية، فهو يتكون من أقلية يهودية ونصرانية،ومن أكثرية مسلمة،والتي تتكون بدورها أساسا من القبائليين البلديين، ومن الأندلسيين الذين شكلوا فيما يبدو طائفة على غاية من الأهمية تحرص على استقلاليتها، و المحافظة على حياتها الاجتماعية الخاصة بها[2].

وإذا كانت الجالية الأندلسية قد صارت عنصرا مهما في النسيج الاجتماعي لحاضرة بجاية الحفصية،فضلا عن حفاظها على الخصوصية الأندلسية الثقافية،فإنّ ذلك معناه أنّ الأندلسيين قد حملوا معهم عاداتهم الأندلسية في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية،فهم :"أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العين عنها.وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذلّ السؤال، فلذلك قد ينسبون للبخل، ولهم مروءات على عادة بلادهم. "[3]وغير ذلك من خصوصياتهم الاجتماعية التي حافظوا عليها ،وهم بعيدون عن وطنهم الأندلس.

ويبدو أنّ رفض هذه الطائفة الأندلسية الاندماج في المجتمع البجائي المغربي،قد دفعها إلى التجمع خارج مدينة بجاية،وبالتحديد في الناحية الشرقية في جهة وادي القردة،أوفي ناحية البساتين التي تحيط بها الأنهار[4].

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية،ص.242.

[2] روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج1،ص417.

[3] المقري،نفح الطيب،ج1، ص 223.

[4] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج1،ص417.

خامسا:التأثير الأندلسي في الحياة الفنية والعمرانية:

من الواضح،إذن، أنّ مدينة بجاية كانت منذ وقت مبكر عامرة بالأندلسيين تجارا كانوا أو حرفيين ،ومن ثم فإنّه من المحتمل أنّ الحضور الأندلسي من الناحية الفنية العمرانية في هذه المدينة قد ظهر قبل موجات الهجرات المتتالية من بلاد الأندلس خلال القرن السابع الهجري.و قد تكون ملامح هذا الحضور العمراني قد ظهرت في العهد الحمادي،أو في العهد الموحدي،مع الإشارة إلى أنّه ليس هناك نصوص تاريخية تُصرح بذلك،ولكن مجرد وجود الأندلسيين وبكثافة في مدينة بجاية خلال القرن الخامس الهجري أو قبله يُرجح احتمال مساهمة الأندلسيين في الجانب العمراني للمدينة.

و يبدو أنّ الازدهار العمراني في مدينة بجاية قد عرف أوج قوته في ظل الدولة الحمادية بسبب كونها عاصمة لهذه الدولة ومقرا لأمرائها،فقد ذكر الرحالة الجغرافيون القصور الفخمة التي بناها الحماديون.ومن الذين قدموا لها وصفا دقيقا صاحب "الاستبصار"،إذ نلفيه يتحدث عنها قائلا:"وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر، متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراءون أحسن منها بناء، ولا أنزه موضعا؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المحنية، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها؛ قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة، وصورت فيها الصور الحسنة، فجاءت من أحسن القصور وأتمها منتزها وجمالا."[1] وقد أشاد الشعراء كذلك ببذخها و بهجتها وروعة بنائها.

وقد أقام الحماديون قصورا أخرى،كقصر أوميمون الواقعة في الناحية الشمالية من المدينة[2]، وقد يكون هو ما قصده الحسن الوزان في القرن العاشر الهجري حين وصف قلعة قريبة من الجبل بأنّها :" كبيرة متينة الجدران مزخرفة بالفسيفساء والجص المجزع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازورد العجيبة."[3].و هناك قصر آخر يُعرف بالكوكب المُشيد في الجهة الغربية،وقد كان مكان

---

[1] مؤلف مجهول،الاستبصار،ص 130.

[2] روبار برنشفيك،تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج1،ص413.

[3] الحسن الوزان،وصف إفريقيا،ج2،ص50.

إقامة للسلطان أبي إسحاق الحفصي[1].وهكذا،فإنّ القصور الحمادية تدل على عناية الملوك الحماديين بالعمارة و تشييد المباني،والذي لا نجده ظاهرا في العهد الموحدي أو الحفصي.

رغم أنّ المصمم لهذه القصور الحمادية غير معروف بالتحديد،إلاّ أنّه يمكن احتمال أن يكون بُناتها المعماريون من الأندلسيين الذين عُرفوا بمهارتهم في البناء و فن العمارة، استنادا إلى أنّ مدينة بجاية كانت في تلك الفترة "عامرة بالأندلسيين " بحسب تعبير البكري [2].و ممّا يعزز هذا الاعتقاد أكثر أنّ المرابطين والموحدين الذين ضموا بلاد الأندلس إلى ممتلكاتهم حين عزمهم على إنشاء المنشآت العامة والبنايات الحكومية اعتمدوا على الصناع والمهندسين الأندلسيين[3].وقد أشار أيضا الرحالة مارمول كرفجال في القرن العاشر الهجري أنّه في أعلى جبل بمدينة بجاية قصور على النمط الموريسكي،[4] تعكس الطابع العمراني الأندلسي.

أمّا من الناحية الفنية، فممّا لا شك فيه أنّ الأندلسيين الذين استوطنوا حاضرة بجاية أو في غيرها من المدن المغربية، قد نقلوا معهم حبهم للغناء و طبوعهم الموسيقية الخاصة به،فالمعروف أنّ بلاد الأندلس كانت موطنا لزرياب البارع في فن الغناء.وقد أورد ابن خلدون أنّه كان:"للموصليين غلام اسمه زِرْيَاب، أخذ عنهم الغناء فأجاد، فصرفوه إلى المغرب، غيرة به. فلحق بالحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أمير الأندلس.فبالغ في تكرمته، وركب للقائه، وأسنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات، وأحلّه من دولته وندمائه بمكان." [5]ومن البديهي أن ينتج عن هذا السياق الثقافي تطور فن الغناء و انتشاره بين طبقات المجتمع،ممّا جعل بلاد الأندلس مشهورة بصناعة الغناء والعناية به،وخصوصا في عصر الملوك الطوائف وبالأخص في إمارة إشبيلية.[6]

وممّا شجع انتشار الموسيقى الأندلسية بربوع المغرب، هو دخول عدد من الموسيقيين الأندلسيين إلى المدن المغربية في العهد المرابطي،ورغم تعرض الموسيقى إلى التضييق في العهد

---

[1] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1،صص 413،414.

[2] البكري،المغرب ،ص82.

[3] مُحَمَّد زروق،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16- 17، ص37.

[4] ينظر،مارمول كرفجال،إفريقيا، ج2،ص 377.

[5] ابن خلدون،المقدمة، ج2،331.

[6] المصدر نفسه، ج2،ص 321.

الموحدي،إلاّ أنّه بعد ذلك زال هذا التضييق و ازدادت الموسيقى في الانتشار بين الناس[1]. ولعل من أسباب شيوع الموسيقى الأندلسية بالعدوة المغربية ما ذكره ابن خلدون من أنّه بعد تدهور الأوضاع بالمدن الأندلسية وسقوطها في قبضة الإسبان النصارى،وهجرة جاليات أندلسية إلى المدن المغربية ومنها حاضرة بجاية،فكان هذا عاملا مساعدا على انتقال فن الغناء الأندلسي"إلى بلاد العدوة بإفريقيّة والمغرب. وانقسم على أمصارها وبها الآن منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها."[2] ثم إنّ ميل الأندلسيين للغناء والرقص قد يكون من وراء ميل البجائيين:"للمرح والموسيقى والرقص،لاسيما الأمراء منهم."[3] .وهذا التأثير الأندلسي الفني في المجتمع البجائي غير مستبعد،خاصة أنّ التركيبة السكانية لمدينة بجاية في الغالب إمّا من القبائليين أو من الأندلسيين الوافدين.و من البيّن أنّ هذا الامتزاج السكاني له دوره في تبادل العادات و الفنون والميول،وخصوصا من الناحية الموسيقية الفنية استنادا إلى أنّ الأندلسيين معروفون بميلهم الشديد للموسيقى والغناء ومهارتهم فيه.

وأمّا في فن الخط، فقد تفرّد الأندلسيون بخط خاص بهم يختلف عن غيره من الخطوط في المشرق أو في المغرب[4].وعند سقوط كثير من المدن الأندلسية وتردي الأوضاع السياسية والاجتماعية ببلاد الأندلس وهجرة كثير من الأندلسيين إلى العدوة المغربية"غلب خطّهم على الخطّ الإفريقيّ وعفى عليه ونسي خطّ القيروان والمهديّة بنسيان عوائدهما وصنائعهما.وصارت خطوط أهل إفريقية كلّها على الرّسم الأندلسيّ بتونس وما إليها لتوفّر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس."[5] ولعل هذا يعود إلى تواجد عدد من المهرة في الخط الأندلسي بالحواضر المغربية. وبالأخص في حاضرة بجاية التي هاجر إليها أحد المشاهير في فن الخط وهو عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن أحمد بن عمر الأنصاري،المكنى بأبي مُحَمَّد،وكان بارعا في الخط،إلى حد نعته الغبريني

[1] مُحَمَّد زروق،الأندلسيون وهجراتهم،صص 38،39.
[2] ابن خلدون،، المقدمة، ج2،ص 321.
[3] الحسن الوزان،وصف إفريقيا، ج2،ص51.
[4] ابن خلدون، المقدمة، ج2،ص 317.
[5] المصدر نفسه ،ج2،ص318.

بأنّه"كان ابن مقلة* زمانه له خطوط جميلة،وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه،كان يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريحاني وتحساني و ديواني وغير ذلك من أنواعه،ومن أبدع حاله في خطه إذ بدأ بنوع حكم عليه إلى آخره حتى لا يوجد فيه حرف واحد من غيره،ولقد رأيت كثيرا ممن يشارك بين الخطين فيختلط كتبه."[1] وهذا يؤكد على أنّ بجاية في العهد الحفصي كانت تضم مختلف المدارس الأندلسية سواء في الجانب العلمي أو الروحي أو الفني.

وهكذا،يكون هذا البحث قد سعى إلى إبراز التأثيرات الحضارية للأندلسيين في المغرب الأوسط من الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين/القرن 13 إلى القرن 15 الميلاديين انطلاقا من معاينة مراحل وعوامل هجرتهم إلى مدن المغرب الأوسط،وبخاصة إلى تلمسان الزيانية وبجاية الحفصية.وجلّى، في الوقت نفسه،إسهاماتهم في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والعمرانية.

* **ابن مقلة**:(272 – 328 هـ = 866 – 940 م): محمّد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل.الزركلي،الأعلام،ج6،ص273.

[1] الغبريني،عنوان الدراية،ص86.

خاتمة

مما لا شك فيه، أنّ العلاقة التي تربط الأندلس ببلاد المغرب كانت وثيقة و عميقة و متعددة المجالات منذ الفتح الإسلامي ، و مرورا بجميع العصور التاريخية اللاحقة. ومن ثمّ، فإنّ الهجرة الأندلسية لا يمكن حصرها في فترة زمنية معينة محدودة،لأنّها كانت حاضرة في مختلف الفترات التاريخية بأعداد قليلة أو كثيرة.

و من ثم ، يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الهجرة الأندلسية إلى مرحلتين أساسيتين،مرحلة ما قبل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس،ومرحلة ما بعد سقوطها،على اعتبار أنّ انهيار الخلافة الأموية وتفككها هو المؤثر الأول في تغيّر مسار الهجرات الأندلسية و طبيعتها ،لأنّه بزوال سلطة الأمويين و أفول شمس خلافتهم انتقلت بلاد الأندلس من القوة إلى الضعف، ومن الوحدة إلى التفرق،ومن دولة مركزية متماسكة ذات هيبة وبأس إلى دويلات متقاتلة متحاربة أطمعت النصارى الإسبان في اكتساح المدن الأندلسية،فكان هذا بداية الهجرات القسرية و الجماعية للأندلسيين فرارا من الصراعات الدمويّة لملوك الطوائف و من خطر الغزو النصراني الإسباني.

ولذلك وجدتُ الهجرات الأندلسية مقسمة إلى مرحلتين أساسيتين،المرحلة الأولى تبدأ من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة الأموية،والمرحلة الثانية تكون بدايتها بعد سقوط الخلافة الأموية.وهذه المرحلة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين فرعيتين:مرحلة ماقبل سقوط غرناطة،و مرحلة ما بعد سقوط غرناطة،ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها التي تميّزها عن غيرها.

وفي هذا الصدد،لابد أن نشير إلى أنّه في مرحلة ما قبل سقوط الدولة الأموية لم تكن الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب فحسب،بل كانت أيضا من العدوة المغربية إلى العدوة الأندلسية،فبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ،وبالأخص في عصر الولاة وقعت هجرة جماعية و بأعداد غفيرة من القبائل العربية والمغربية إلى الأندلس لتستوطنها و تؤسس وحدة بشرية و إدارية وثيقة الصلة ببلاد المغرب.

و نتج عن ذلك تمتين العلاقة بين العدوتين المغربية والأندلسية ،ويبدو أنّ هجرة المغاربة إلى بلاد الأندلس ،لم تنقطع ،و تواصلت دونما توقف. و كذلك وقعت هجرة أخرى للمغاربة البربر إلى بلاد الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر الذي أتى بهم إلى بلاد الأندلس،واستعان بهم في تثبيت سلطانه. وقد اقتفى ابنه عبد الملك الخطة نفسها في استجلاب البربر والاعتماد عليهم.

وبسبب هذه الهجرة المعاكسة للقبائل البربرية و توافد عدد كبير منهم إلى بلاد الأندلس و تزايد نفوذهم السياسي استطاعوا تأسيس دويلات خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية، وصاروا العنصر الثاني بعد العرب في التركيبة السكانية للمجتمع الأندلسي، والقوة الفاعلة والمؤثرة في الأوضاع السياسية بالجزيرة الأندلسية.ويبدو أنّ الهجرات إلى بلاد الأندلس لم تنقطع كما أنّ الأندلسيين لم يتوقفوا عن الارتحال إلى بلاد المغرب.

ويلاحظ في فترة قيام الخلافة الأموية في الأندلس ،أنّه لم تكن الهجرة الأندلسية بمجموعات كبيرة أو من جميع فئات المجتمع الأندلسي،و بطريقة قسرية،وإنّما هجرة طبيعية فردية اختيارية.ولعل ذلك يعود إلى الاستقرار الذي تميزت به دولة بني أمية في الأندلس،حيث إنّ الزراعة وصلت إلى أعلى المراتب،وتطورت بالتوازي مع ذلك الصناعة والتجارة .ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادي،تطور العلوم وكثرة المؤلفات،ممّا حوّل الأندلس في عهد الأمويين إلى مركز إشعاع حضاري، و ازدهار ثقافي واقتصادي يجذب إليه الوافدين من المشرق والمغرب.وعليه،فإنّ الهجرة الأندلسية في فترة الخلافة الأموية كانت تتميز بأنّها طبيعية و اختيارية و بأعداد قليلة وفردية.

ومن ثم،،فإنّ الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة لم تكن وليدة اضطراب الأوضاع السياسية بالأندلس و وقوع مدن أندلسية بيد النصارى الإسبان،و مظهرا من مظاهر اللجوء السياسي،و إنّما كانت نتيجة للوحدة الجغرافية والحضارية التي تربط بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية ،على اعتبار أنّ هاتين العدوتين منطقة جغرافية وثقافية و اقتصادية تتوحد في الدين واللغة والمصير. و لذلك، فالأندلسيون كانوا يرون أنّ ساحل المغرب الأوسط مكان مهم للثراء الاقتصادي و التبادل التجاري و للاستقرار المعيشي.و يبدو أنّ الدافع الأكبر للهجرة الأندلسية في هذا الوقت المبكر كان يستهدف تحقيق مصالح سياسية و اقتصادية بالدرجة الأولى.

وفيما يخص الهجرة الأندلسية ما بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس،فإنّها تتفرع إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل سقوط غرناطة و مرحلة ما بعد سقوطها.وتخللت مرحلة ما قبل سقوط غرناطة ظهور عدة دول كان لها دور في تغيير الخريطة السياسية لمنطقة المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس،كما احتضنت المهاجرين الأندلسيين.

وهذه الدول ذات أصول بربرية وقبلية،و أولها دولة المرابطين اللمتونية الصنهاجية، وثانيها دولة الموحدين،ثم الدويلات الإقليمية الثلاث التي تقاسمت أقاليم المغرب الإسلامي، وهي دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وعاصمتها مدينة فاس، ودولة الزيانيين بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان،و دولة بني حفص بالمغرب الأدنى وعاصمتها تونس.و الملاحظ أنّه في هذه المرحلة بفتراتها المختلفة كانت الهجرات الأندلسية تتم في شكل مجموعات صغيرة أو كما يُطلق عليها بعض المؤرخين بـ "الجاليات"،تتحرك في تنقلاتها إلى أمكنة مختلفة و أزمنة متغايرة.و الظاهر أنّه تزايد في هذا الطور تيار الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب بسبب سقوط خلافة قرطبة و اشتداد الضغط النصراني.

وهكذا، يكون الحضور الأندلسي في المغرب الأوسط قد ترسخ وجوده أكثر بعد أن قامت الدولة المرابطية ثم الدولة الموحدوية بضم أقاليم بلاد الأندلس إلى ممتلكاتها بالمغرب الإسلامي.وهذا جعلهما دولتين مغربيتين أندلسيتين،ففي عهدهما اختفت الحدود بين العدوة المغربية و الأندلسية،ونتج عن هذا الوضع تدفق جماعات من الأندلسيين إلى المدن المغربية،ممّا أدى إلى تطور الحضارة المغربية والأندلسية،فمنذ عصور الدولة المرابطية تحوّل المغرب بفضل الجاليات الأندلسية المهاجرة إلى مستودع للإنتاج الحضاري الأندلسي،بل كان الأمراء المرابطون والموحدون أنفسهم متأثرين بحضارة الأندلس،وكانوا يجمعون حولهم الأندلسيين من العلماء والأدباء و يضمونهم في مجالسهم العلمية.ولذا،كانت سياسة ضم الأندلس إلى بلاد المغرب سياسيا في العهد المرابطي والموحدي ذات أثر بعيد في تنشيط الهجرة الأندلسية إلى نواحي بلاد المغرب.

و ممّا زاد من أعداد المهاجرين الأندلسيين إلى العدوة المغربية في مرحلة ما بعد سقوط الخلافة الأموية، و حوّل الهجرة الأندلسية إلى وسيلة للجوء السياسي و البحث عن الأمان والاستقرار هو حدوث الاضطرابات السياسية ونشوء النزاعات العسكرية في بلاد الأندلس ، وقد كانت بدايتها مع انهيار الخلافة الأموية بالأندلس في القرن الخامس الهجري، و بروز ما يسمى بملوك الطوائف وما تبع ذلك من احتدام الصراعات فيما بينهم، مما أضعفهم و ساهم في تعاظم الخطر النصراني الإسباني،و جعل الكثير من الأندلسيين يبحثون عن مكان آمن يلجأون إليه،فكانت العدوة المغربية قبلتهم .

و في عهد الدولة الموحدية تم توحيد كل منطقة المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس تحت حكم سلطة واحدة. و يبدو أنّ تحقيق هذا المشروع التوحيدي الموحدي بين العدوة الأندلسية و العدوة المغربية ساعد على دخول عدد من الأندلسيين إلى المغرب الاسلامي و تسهيل حركة الهجرة والانتقال بين المدن الأندلسية والمغربية، خصوصا أنّ الموحدين استعانوا بالدرجة الأولى في تنظيم دولتهم المترامية الأطرف وإدارتها بالخبرات الأندلسية .و كان لهذه السياسة الموحدية دور في تحفيز كثير من الأندلسيين للهجرة إلى ربوع المغرب الإسلامي،خصوصا حين اقترن هذا مع تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية في العدوة الأندلسية.

و هكذا، فقدت الإمبراطورية الموحدية الشاسعة قدرتها على تسيير ولاياتها بالعدوتين المغربية والأندلسية بسبب ضعف الأمراء الموحدين و صراعاتهم الداخلية والخارجية، فبدأ يظهر في الأفق حُكام جدد أحكموا قبضتهم على أقاليم المغرب الإسلامي، وأسسوا بها دويلات خاصة بهم، و تقاسموا تركة الموحدين فيما بينهم،فكان المغرب الأوسط لبني زيان،و المغرب الأدنى لبني حفص، والمغرب الأقصى لبني مرين.ومن ثم، بدأت مرحلة جديدة لها أثرها على وتيرة الهجرات الأندلسية.ونسجل هنا،أنّ منطقة المغرب الأوسط كان لها حظ من الهجرات الأندلسية ،وبالأخص في جناحها الغربي تحت حكم الزيانيين بمدينة تلمسان،و جناحها الشرقي،الذي تُديره الدولة الحفصية،من حاضرة بجاية .

ولابد من الإشارة إلى أنّ الهجرة الأندلسية لم تكن محصورة فقط في مدينتي تلمسان وبجاية،ولكن عدد الوافدين عليهما كان أكثر بسبب موقعهما السياسي والاقتصادي و كونهما من أكبر وأبرز وأهم حواضر المغرب الأوسط بخاصة، وبلاد المغرب عامة،فتلمسان كانت العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للمملكة الزيانية ،و أمّا بجاية فكانت العاصمة الثانية للدولة الحفصية،و المدينة الجاذبة للأندلسيين خصوصا الطبقة المثقفة منهم ،بالإضافة إلى موقعها البحري القريب من الجزيرة الأندلسية و لوجود جالية أندلسية منذ وقت مبكر؛إلاّ أنّ هذا لا ينفي وجود عدد من المهاجرين الأندلسيين استقروا ببعض مدن المغرب الأوسط،خاصة الساحلية منها،إلاّ أنّ الباحث يجد صعوبة في الإحاطة بأخبارهم و معرفة فئاتهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية

و مستواهم الثقافي. وهذا إمّا لأنّ عددهم قليل والمكان الذي استوطنوه ليس له أهمية سياسية أو لانعدام المادة التاريخية التي تسجل حضورهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

وهكذا،فبعد سقوط الخلافة الأموية و دخول بلاد الأندلس في عصر الفتن و دويلات ملوك الطوائف،بدأ الأندلسيون يميلون إلى الهجرة نحو مناطق من العالم الإسلامي،وبالأخص بلاد المغرب القريبة منهم جغرافيا،ومنها إقليم المغرب الأوسط،إذ تحوّلت الهجرة الأندلسية إلى هذا الإقليم من نزوح فردي إلى نزوح جماعي في شكل جاليات كثيرة العدد خصوصا خلال القرن السابع الهجري،ولابد أنّ وراء هذه الهجرة الجماعية من الأندلس إلى العدوة المغربية عوامل متعددة.

ويلاحظ أنّ هذه العوامل المساعدة على بروز الهجرة الأندلسية و تزايدها منها ما هو متعلق بالأوضاع الداخلية للأندلس، و اتسمت في عمومها بالسلبية،إذ كانت أداة إجبار وقهر وضغط و طرد،فهي عوامل أرغمت الأندلسيين على ترك وطنهم وديارهم و أملاكهم والارتحال إلى مناطق خارج بلادهم بحثا عن الأمان والاستقرار والحماية.وبالمقابل هناك عوامل تخص بلاد المغرب ،وهي تتميز بالإيجابية والجاذبية والتشجيع،إذ ساعدت على استقطاب أعداد غفيرة من الأندلسيين إلى مدن مغربية محددة مثل مدينة تلمسان الزيانية و مدينة بجاية الحفصية.

ومن الواضح،أنّ الجالية الأندلسية الوافدة على سلاطين بني زيان كان لها دورها الريادي في الحياة السياسية وفي تسيير دواليب الدولة سياسيا وإداريا و قيادة الجيوش بحكنة ومهارة، وهذا يعود إلى المكانة الاجتماعية والسياسية و العلمية للأندلسيين المهاجرين إلى حاضرة تلمسان الزيانية،حيث إنّهم كانوا من الأعلام وأهل البيوتات.

ويظهر من خلال تتبع الوظائف السلطانية و مراتبها في الدولة الزيانية أنّه كان للجالية الأندلسية النصيب الأكبر من هذه الوظائف،مثل الوزراة والحجابة والكتابة و جباية الأموال،وسمح لهم ذلك بالتأثير السياسي والإداري في حاضرة تلمسان الزيانية.

وفضلا عن ذلك، كان للجالية الأندلسية تأثير واضح في الحياة الثقافية،إذ نلمس مظاهر ذلك من خلال كل نشاط ثقافي أو ازدهار فكري أو أدبي أو فني في المغرب الاسلامي ، و بالخصوص في حواضر المغرب الأوسط. فقد وفد على حاضرة تلمسان عدد كبير من الأندلسيين المهاجرين،فيهم العلماء و الأدباء والفنانون الذين وجدوا العناية والرعاية والترحاب من سلاطين بني

زيان.والمؤكد أنّ الأندلسيين كانوا متفوقين على غيرهم في العلوم والفنون والآداب والصناعات،فكان حضورهم النوعي والمعرفي بحاضرة تلمسان الزيانية له فائدة كبرى على الحركة الثقافية ،وكان من آثاره البارزة نشوء نشاط علمي وفكري و أدبي كبير وواسع.

ويبدو أنّ حاضرة تلمسان قد استفادت من خبرات الأندلسيين المهاجرين منذ العهد المرابطي والموحدي،وقد اتضح هذا في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة.ثمّ إنّ الأندلسيين الوافدين على تلمسان في عهد الدولة الزيانية لم يبقوا متجمعين في مكان واحد،بل توزعوا في نواحيها و جهاتها، بحسب ما برعوا فيه من المهن والحرف والأعمال، وقاموا بمشاركة سكان المملكة الزيانية في زراعتهم وصناعتهم،بل فاقوهم من حيث الإتقان والجودة والسرعة في إنجاز العمل،ولأجل هذا كانت اليد العاملة الأندلسية هي المفضلة في تلمسان بدل اليد المحلية.والظاهر أنّ هذا كان له الأثر الكبير في تنشيط الحياة الاقتصادية سواء في مجال الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الصيد البحري.

إنّ توافد الأندلسيين على حاضرة تلمسان الزيانية و إقامتهم بها شّكل إضافة اجتماعية مهمة للنسيج السكاني للمملكة الزيانية،حيث يلاحظ أنّ العناصر السكانية لمدينة تلمسان و ما جاورها في العهد الزياني تتكون من القبائل البربرية المكونة من الزناتيين على وجه الخصوص.وهذه القبائل تعتبر العنصر الأول الغالب على المجتمع الزياني،وأمّا العنصر السكاني الثاني فيتمثل في القبائل العربية من بني هلال وعلى وجه الخصوص بني عامر .وقد أقطعهم السلطان يغمراسن أراضي من مملكته،و يأتي العنصر الأندلسي في المرتبة الثالثة من حيث التأثير الاجتماعي والتعداد السكاني،وهو من أبرز العناصر السكانية بسبب ما كان يقوم به من دور فكري و تأثير اقتصادي واجتماعي وعمراني.

وظهر التأثير الفني للأندلسيين في بلاد المغرب جليا في العهد الموحدي حيث كان في صحبة الأمراء الموحدين بالمغرب أحد كبار العارفين بالموسيقى والغناء الأندلسي و هو ابن باجه الذي أثنى عليه كل من ترجم له من المؤرخين.

ولعل تواجد مثل هذه الشخصيات الفنية الرائدة قد ساهم في التأثير على الموسيقى المغربية، وبالتحديد بالمغرب الأوسط و طبعها بالطابع الأندلسي،خصوصا بعد توافد عدد كبير من

الأندلسيين بعد سقوط غرناطة،فقاموا بنقل فنونهم الموسيقية والغنائية معهم،فانتشر في المغرب الأقصى الطابع البلنسي والغرناطي وسميت موسيقى الأندلسيين بالآلة،و في المغرب الأدنى سادت الموسيقى المتأثرة بالطابع الإشبيلي،وفي المغرب الأوسط وبالأخص في حاضرة تلمسان برزت الموسيقى الأندلسية المنتمية إلى الطابع الغرناطي بسبب العدد الكبير من الغرناطيين الذين استوطنوا مدينة تلمسان.وعليه،فإنّ التأثير الفني الأندلسي في مجال الغناء والموسيقى جلي و راسخ في حاضرة تلمسان الزيانية.

وقد نقل الأندلسيون المهاجرون إلى العدوة المغربية فن الموشحات والأزجال التي كانت موضوعا للتلحين الموسيقي الأندلسي.و من غير المستبعد أن يكون قد انتشر في حاضرة تلمسان الزيانية هذا الفن الأندلسي الخالص بانتشار الموسيقى الأندلسية،وترسخ حضوره في المجتمع التلمساني حتى أنّ الباحث مارسي لاحظ في وقته أنّ بنات تلمسان كنّ يتغنين بأبيات من الزجل شبيه بالزجل الأندلسي،ممّا جعله يؤكد على أثر الجالية الأندلسية العميق في حضارة مدينة تلمسان وتاريخها الثقافي.

أمّا في المجال العمراني، فالملاحظ أنّ التأثير الأندلسي في مجال العمارة والبناء قد ظهر خاصة في العهد المرابطي والموحدي،إذ استجلب يوسف بن تاشفين المرابطي من قرطبة عددا من الصناع إلى مدينة فاس لبناء وترميم مساجدها وسقاياتها وحماماتها وخاناتها.وقد استفاد المرابطون من التقاليد المعمارية الأندلسية ،واقتبسوا أنظمتها الفنية المعمارية. وهذا ما تجلى في تخطيط بيوت الصلاة في المساجد التي شيدوها بالمغرب الأوسط مثل جامع الجزائر و جامع تلمسان.وفي عهد الدولة الموحدية ظهر التأثير واضحا للحضارة الأندلسية على المباني والمنشآت، ولذلك ظهرت بصمات المهندسين والفنيين الأندلسيين بمدينة تلمسان،في الناحية العمرانية، منذ العهد المرابطي والموحدي.

و استمر هذا التأثير العمراني الأندلسي في حاضرة تلمسان،في العهد الزياني،حيث وفد على سلاطين بني زيان مجموعة من المهندسين والبنائين من الأندلس،والتي بعثها السلطان الغرناطي أبو الوليد (713 هـ _ 725هـ/1313 _ 1325م) إلى الأمير الزياني أبي حمو موسى وابنه الأمير

ابن تاشفين،تعزيزا لعلاقات التعاون بين الإمارتين الغرناطية والزيانية،و ذلك للاستعانة بهم في تشييد القصور الفخمة والمنازل الفاخرة، والبساتين الأنيقة. و هذا مؤشر واضح على أنّ العمران في حاضرة تلمسان الزيانية قد تطور و ارتقى بفضل الأندلسيين من أهل الهندسة والبناء.

ويتأكد هذا التأثير الأندلسي في العمارة التلمسانية الزيانية من خلال ما قام به علماء الآثار من دراسات و أبحاث فيما تبقى من صروح آثرية بمدينة تلمسان،فقد صرح الأخوان وليم و جورج مارسي في كتابهما "المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان" أنّ الخلاصة التي خرجا بها من دراستهما الأثرية المعمقة في مدينة تلمسان أنّ العمارة التلمسانية تكتسب قيمتها الجمالية من تشابهها بالهندسة العمرانية الأندلسية.لذلك هناك علاقة وثيقة بين المعالم الأندلسية الغرناطية والمعالم الزيانية. وقد لاحظا أنّ العناصر الفنية التي استعملها الفنانون المغاربة و طوّروها تجد صورتها الأولية أو النهائية في مسجد قرطبة.ومن خلال فحصهما الأثري،اكتشفا أنّ مسجد "المشور" الذي هو من معالم بني عبد الواد تُوجد به مربعات خزف من صنع أندلسي،وقد وجدا أنّ اسم النحات الذي صنع منبر مسجد سيدي بومدين هو من أصل أندلسي.

وعليه،فإنّ الصروح الأثرية التلمسانية قد أبانت عن عمق التأثير الأندلسي في البناء والعمارة بحاضرة تلمسان الزيانية،وذلك بفضل المهندسين والفنانين الأندلسيين الوافدين على حاضرة تلمسان،وهذا التأثير قد مسّ جميع أنواع البنايات سواء كانت تابعة للسلاطين والدولة كالقصور والأسوار والأبراج والحمامات أو معالم دينية وتعليمية مثل المساجد والمدارس.

ولا يخفى أيضا التأثير الأندلسي السياسي في حاضرة بجاية،إذ إنّ الدولة الحفصية منذ نشأتها اتّبعت سياسة تعيين الأندلسيين بالمناصب العليا في مملكتها،استفادة من مهاراتهم و خبراتهم و محاولة إيجاد نوع من التوزان في دولتهم.ويبدو أنّ بجاية في العهد الحفصي قد شهدت السياسة نفسها، وذلك بوجود عدد من الشخصيات الأندلسية كان لها مساهمة في إدارة الشؤون السياسية في بجاية التابعة إداريا للحفصيين أو المتخذة عاصمة لدولة حفصية مستقلة عن سلاطين بني حفص بتونس،فكان منهم الحُجاب والقُضاة.

يلاحظ أنّ الحاجب في مدينة بجاية كان بمثابة رديف للأمير الوالي ومساعده الأول،وهذا يشبه تماما ما كانت عليه الحجابة في الأندلس من كون الحاجب يعامل معاملة الوزير الأكبر الذي هو واسطة بين السلطان والوزراء .ولهذا قد صار لبعض الحُجاب على مدينة بجاية نفوذ واسع حتى وصل بأحدهم إلى التصرف بشؤون هذه المدينة وما جاورها دون الرجوع إلى السلطان الحفصي،وهكذا برز في بجاية عدد من الحجاب الأقوياء.

ويبدو لأول وهلة أنّ الحضور الأندلسي في المشهد الثقافي بمدينة بجاية خلال القرن السابع الهجري يطغى بقوة على النواحي الحضارية الأخرى،وكلما تتبع الباحث دور الجالية الأندلسية بحاضرة بجاية الحفصية سيتأكد أنّ الحياة الثقافية كانت زاخرة وثرية بعدد كبير من العلماء و الطبقة المثقفة من الطراز الرفيع و المؤثر.

ولعل ذلك يعود إلى توفر المادة التاريخية التي أفادنا بها الغُبريني في كتابه النفيس "عُنوان الدارية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"،وهو يماثل في قيمته كتاب "بغية الرواد" ليحي بن خلدون في إثباته لشخصيات أندلسية استوطنت حاضرة تلمسان،و تركت أثرا معرفيا في التاريخ الثقافي للدولة الزيانية، إلاّ أن كتاب الغبريني يفوق ما كتبه يحي بن خلدون من حيث كمية المعلومات التاريخية التفصيلية عن عدد كبير من أصحاب العلم و الأدب.

فإذا كان يحي بن خلدون قد خصص فصلا في بضع صفحات من كتابه لذكر عدد محدود من الأعلام والعلماء والصلحاء الوافدين من الأندلس إلى حاضرة تلمسان الزيانية،فإنّ الغبريني قد خصص معظم كتابه للتعريف بشخصيات علمية عديدة من الجالية الأندلسية التي عاصرت القرن السابع الهجري،إذ بلغ عددهم ما يفوق خمسة وعشرين عالما،مابين فقيه وأصولي وأديب و شاعر ولغوي ومؤرخ و كاتب و طبيب، وغيرها من التخصصات العلمية.

و يلاحظ، أنّ تراجم هؤلاء الأندلسيين تأتي في المرتبة الثانية من حيث الكم بعد البجائيين والجزائريين.وبسبب هذا الحضور الأندلسي النوعي والعددي بحاضرة بجاية،ظهر فيها ما سمّاه الغبريني "الجماعة الأندلسية"وكان يرأسها ابن محرز البلنسي الذي كان أديبا كبيرا،وكان بيته شبه ناد ثقافي تحضره شخصيات علمية كبيرة أندلسية استوطنت بجاية.وعليه،فإنّ تأثير الجالية الأندلسية في الحياة الثقافية بحاضرة بجاية الحفصية كان له الحيز الأكبر من هذا البحث.

والملاحظ، أنّ من ترجم لهم الغبريني من الأندلسيين الوافدين على بجاية،قد برعوا في عدة علوم و بلغوا القمة في أنواع من النثر والشعر،و مارسوا مهنة التدريس وتخرج على أيديهم عدد من العلماء الكبار،الذين لهم مصنفات كثيرة وقيمة،وبعضهم كان له تخصص في جانب من العلوم النقلية أو العلوم العقلية.

و يبدو أنّ توافد الأندلسيين على حاضرة بجاية لم يقتصر على الطبقة المثقفة فحسب،بل نجد فئات أخرى من المجتمع من الحرفيين والصناع والفلاحين والتجار الذين ساهموا في التواصل الحضاري،وكان لهم دورهم في تطوير الاقتصاد في مجالاته المختلفة من التجارة والصناعة والزراعة.

ويلاحظ أنّ التوافد الأندلسي بحاضرة بجاية صار كثيفا وبأعداد متزايدة خلال القرن السابع الهجري، بسبب استيلاء النصارى الإسبان على المدن الأندلسية واتباعهم سياسة الطرد والتهجير لسكانها المسلمين،وهذا نتج عنه تواجد عائلات أندلسية كاملة منظمة ومترابطة و متضامنة مع بعضها،متمسكة بعاداتها وثقافتها و كيانها الخاص بها مكونة عنصرا جديدا من العناصر السكانية للمجتمع البجائي،رافضين الاندماج مع غيرهم من السكان الأصليين،محافظين بذلك على هويتهم الأندلسية الثقافية والاجتماعية.

وبناء على ما تقدم،فإنّ مدينة بجاية كانت منذ وقت مبكر عامرة بالأندلسيين تجارا كانوا أو حرفيين .وعليه فإنّه من المحتمل أنّ الحضور الأندلسي من الناحية الفنية العمرانية في هذه المدينة قد ظهر قبل موجات الهجرات المتتالية من بلاد الأندلس خلال القرن السابع الهجري.وقد تكون ملامح هذا الحضور العمراني قد ظهرت في العهد الحمادي،أو في العهد الموحدي.مع الإشارة إلى أنّه ليس هناك نصوص تاريخية تُصرح بذلك،ولكن مجرد وجود الأندلسيين بكثافة في مدينة بجاية خلال القرن الخامس الهجري أو قبله يُرجح احتمال مساهمة الأندلسيين في الجانب العمراني للمدينة.

أمّا من الناحية الفنية، فممّا لا شك فيه أنّ الأندلسيين الذين استوطنوا حاضرة بجاية أو في غيرها من المدن المغربية، قد نقلوا معهم حبهم للغناء و طبوعهم الموسيقية الخاصة بهم.

خاتمة

وفي الأخير، لا أزعم أنّني قد استوفيت جميع محاور البحث الذي حاولت من خلاله استكشاف التأثيرات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين،ولكن سعيت قدر المستطاع أن أضيء بعض الجوانب المتعلقة بمنجزات الأندلسيين المهجّرين نحو حاضرتي تلمسان الزيانية وبجاية الحفصية.

.

قائمة المصادر والمراجع

المصــادر

ابن الأبار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت635هـ/1238م):

1_ التكملة لكتاب الصلة،تحقيق: عبد السلام الهراس،دار الفكر للطباعة،لبنان،سنة 1415هـ،1995م.

2_الحُلَّة السيَرَاء،تحقيق حسين مؤنس:القاهرة:دار المعارف،ط2،سنة 1985.

3_ابن الأثير،علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزيري الشيباني(ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ ،تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية،ط2،سنة 1415هـ / 1995.

4_الإدريسي،أبو عبد الله محمد الشريف السبتي(ت 548هـ/1154م): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق محمد صادق الحاج.ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983.

5_ابن الأحمر إسماعيل ،روضة النسرين في دولة بني مرين،تحقيق:عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية،الرباطنالمغرب،ط2،سنة 1411هـ/1991.

6_ابن أبي أصيبعة، أبو العباس: عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة،بيروت ،لبنان.

7_ الاصطخري ، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي،المسالك والممالك،دار صادر،بيروت،لبنان،سنة 2004.

8_البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز المرسي (ت487هـ/1094م):المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق دوسلان **De Slane**. القاهرة: دارالكتاب،(د.ت).

9_ التجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي البلنسي السبتي:برنامج التجيبي،تحقيق: عبد الحفيظ منصور،الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس،1981 م.

_التنبكتي ،أحمد بابا :

10_كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،تحقيق ودراسة: محمد مطيع،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،ج1، سنة 1427هـ/2000م.

11_نيل الابتهاج بتطريز الديباج،إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية،منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،ليبيا،ط1،سنة 1989

12_ التنسي، محمد بن عبد الله ،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان،تحقيق:محمود آغا بوعياد،موفم للنشر،الجزائر،سنة 2011

13_ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر آباد، الهند،ط 2،سنة 1392هـ/ 1972م

14_ ابن حزم الأندلسي،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت456هـ/1063م):جمهرة أنساب العرب،تحقيق جمهرة من العلماء،دار الكتب، بيروت،لبنان،سنة 1403هـ/1983

15_ الحفناوي، أبو القاسم محمد :تعريف الخلف برجال السلف،مطبعة بيير فونتانة الشرقية،الجزائر،سنة1324هـ/1906

16_الحموي ، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الروميّ(ت626هـ/1229م): الحموي،شهاب الدين أبو عبد الله: ياقوت بن عبد الله الرومي معجم البلدان، دار صادر، بيروت،لبنان،ط2،سنة1997

17_ابن حوقل:أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (ت367هـ)،صورة الأرض.بيروت:منشورات دار مكتبة الحياة ،(د.ت)

18_أبو حمو ،موسى بن يوسف:واسطة السلوك في سياسة الملوك،مطبعة الدولة التونسية،تونس،سنة 1279هـ/1862م

19_الحميري،محمد بن عبد المنعم السبتي الحميري(ت.في أواخر القرن التاسع الهجري/15م) :الروض المعطار في خير الأقطار،تحقيق إحسان عباس.بيروت:مكتبة لبنان،ط2،سنة 1984.

_**ابن خلدون**،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت808هـ/1405م):

20_تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار.بيروت:دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع،سنة2000.

21_رحلة ابن خلدون،عارضها بأصولها وعلّق على حواشيها محمد بن تاويت الطنجي،دار الكتاب الحديث،القاهرة،الكويت،الجزائر،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2،سنة 2005

22_المقدمة،التحقيق:عبد السلام الشدادي،خزانة ابن خلدون،بيت الفنون والعلوم والآداب،الدار البيضاء،ط1،سنة 2005

_ **ابن خلدون، يحيى** :

23_ بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،تحقيق:بوزياني الدراجي،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 2007.

24_ بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد،تحقيق:عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية،الجزائر،1980.

25_**ابن أبي دينار**،أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيراوني(ت1110هـ/1699م):المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.مطبعة الدولة التونسية،تونس ، ط1،سنة 1286هـ.

26_**ابن رشيق**،أبوعليّ الحسن(ت.456هـ/1064م):

27_**الزركشي**، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،محمد ماضور،المكتبة العتيقة،تونس.

28_**ابن أبي زرع ، علي الفاسي** : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس،دار المصور للطباعة والنشر والوراقة،الرباط،المغرب،سنة1972م.

29_**ابن الزيات ،يوسف ابن يحيى التادلي**:التشوف إلى رجال التصوف،تحقيق:علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر،ط.1،سنة2007/1427

30_ السخاوي،أبو الخير محمد بن محمد: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،د.ت.

31_ابن سعيد المغربي،أبو الحسن علي بن موسى(ت568هـ/1286):المغرب في حلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف.القاهرة:دار المعارف، ط3،سنة1955.

32_السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد الناصري الدرعي الناصري ،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق:جعفر الناصري،محمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،د.ت.

33_ شاكر محمد :فوات الوفيات،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1974.

34_ابن الشّماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد :الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،تونس ،سنة 1984

35_ ابن الصغير(عاش في القرن الثالث الهجري):أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة 1406ه/1986م.

36_ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله: الوافي بالوفيات،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت،لبنان، سنة 1420هـ- 2000م

37 _ صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعيى البغدادي الحنبلي:مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1412.

38_عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري ،مذكرات الأمير عبد الله،آخر ملوك بني زيري بغرناطة، المسماة بكتاب البيان،تحقيق: إليفي بروفنسال،دار المعارف،مصر.

39_ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت سنة 214ه/829م) :فتوح إفريقيا والأندلس ،تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع. بيروت:الشركة العالمية للكتاب،دار الكتاب اللبناني ،دار الكتاب العالمي،سنة 1987.

40_العبدري، أبو عبد الله محمد بن سعود: رحلة العبدري،تحقيق:علي إبراهيم كردي،دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،سنة 1426ه/2005م.

_**ابن عذارى**، المراكشي أبو العباس أحمد بن عذارى(كان حيا سنة712هـ/1312م):

41_ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (الجزء الأول والثاني)، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال.بيروت:دار الثقافة،ط2،سنة 1400هـ1980م.

42_ كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،قطعة من تاريخ المرابطين،كتب التعليقات:إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1967م.

43_ البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس،قسم الموحدين،التحقيق:محمد إبراهيم الكتاني،محمد زنبير،محمد بن تاويت،عبد القادر رزمامة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،دار الثقافة،دار البيضاء،المغرب،ط1،سنة 1406هـ/1985م.

44_ **العذري**،نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار،و البستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك،تحقيق : .عبد العزيز الأهواني ،منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ،سنة 1965

45_ **ابن عميرة**، أبو مطرف أحمد المخزومي:اريخ ميروقة،تحقيق:محمد بن معمر،منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا،جامعة وهران،الجزائر،منشورات دار الأديب،وهران،الجزائر،سنة 2006م

46_ **عياض بن موسى اليحصبي السبتي**: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق:أحمد صقر،دار التراث،القاهرة،المكتبة العتيقة،تونس،ط1،سنة 1970/1379.

47_**الغبريني** ،أبو العباس أحمد بن أحمد(ت سنة 704هـ):عُنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق رابح بونار.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة 1981.

48_ **ابن فرحون،إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري**(ت799هـ):الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تحقيق:محمد الأحمدي أبو النور،دار التراث للطبع والنشر،القاهرة،مصر.

49_**القرافي**، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر : توشيح الديباج وحلية الابتهاج،تحقيق : علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهر،مصر،ط1،سنة م2004/1425م

_**القلقشندي**، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري:

50___صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

51_ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تحقيق إبراهيم الإبياري،دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،ط2،سنة 1400هـ/1980

52_القلصادي، أبو الحسن علي: الأندلسي،رحلة القلصادي،تحقيق:محمد أبو الأجفان،الشركة التونسية للتوزيع،سنة 1978م

_**ابن القنفذ** ،أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني:

53_ الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تحقيق:محمد الشاذلي النيفر،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس،سنة 1968

54_ الوفيات،دار الآفاق الجديدة،بيروت،لبنان،ط4،سنة 1403هـ/1983م

55_ كرفجال ،مارمول :إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية:محمد حجي،محمد زنيبر،محمد الأخضر،أحمد التوفيق،أحمد بنجلون،دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع،الرباط،المغرب،1409هـ/1989م

56_ الللبلي،أبو جعفر الأندلسي: برنامج أبي جعفر اللبلي الأندلسي، ،تحقيق: محمد بوزيان بنعلي،مطبعة اسبارطيل،طنجة،المغرب.

_**لسان الدين بن الخطيب**،أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت776هـ/1374م):

57_ الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق:محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر،ط2،سنة 1393هـ/1973م.

58_تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام،تحقيق إ.ليفي بروفنسال.بيروت:دار المكشوف، ط2،سنة1956.

59_تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ،تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني.الدار البيضاء:دار الكتاب،سن 1964.

60_اللمحة البدرية في الدولة النصرية،تحقيق:محمد مسعود جبران،دار المدار الإسلامي،ليبيا،ط1،سنة2009.

61_ابن مريم التلمساني:البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر

62_مؤلف مجهول:الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة.الدار البضاء:دار الرشاد الحديثة،ط1،سنة 1399هـ/1979م.

63_مؤلف مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان،عناية وتقديم:محمد بن أحمد باغلي،الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2،سنة 1433هـ/2012م.

64_مؤلف مجهول(عاش في القرن6هـ/12م):كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد.الدار البيضاء،المغرب:دار النشر العربية،سنة 1985.

65_مؤلف مجهول(كان حيا سنة 712هـ/1312م):مفاخر البربر،تحقيق عبد القادر بوباية.الرباط:دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط1،سنة2005.

66_مؤلف مجهول ،نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب،ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني،مكتبة الثقافة الدينية،مصر،ط1،سنة 1423هـ/2002م.

67_ المجاوي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الأندلسي : برنامج المجاوي، تحقيق محمد أبو الأجفان،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1400هـ/1982

68_ مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،علق عليه:عبد المجيد الخيالي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1414هـ/2003

69_المراكشي، ابن القطان ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزامن،تحقيق:محمد علي مكي،دار الغرب الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان.

_المراكشي ، محي الدين عبد الواحد بن علي(ت.في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م):

70_المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1426هـ - 2006م.

71_ وثائق المرابطين والموحدين،تحقيق:حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر،ط1 ،1997.

72_ المشرفي، عبد القادر بن عبد الله محمد:بهجة الناظر في أخبار الداخلين في ولاية الاسبانيين بوهران،تحقيق:محمد بن عبد لكريم،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،(د.ت).

73_المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،دار صادر،بيروت،لبنان،ط3،سنة 1411هـ/1991م.

_المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م):

74_أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تحقيق: مصطفى السقا،إبراهيم الإبياري،عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،مصر،سنة 1358 هـ - 1939 م.

75_نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس.بيروت:دار صادر، سنة1997.

76_النويري،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت755هـ/1333م): النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،مصر،سنة 1423هـ.

77_الوزان ، أبو علي الحسن بن محمد الفاسي (ت 957هـ/ 1550 م): وصف إفريقيا ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،الرباط:الشركة المغربية للناشرين،ط2،ج2،سنة1983.

_ الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى :

78_ أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر،ط1،سنة 1406هـ/1986

79_ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي افريقية والأندلس والمغرب،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف عبد الرحمن حجي،وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،1401هـ/1981م

80_اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت سنة284هـ) :البلدان،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي.بيروت:دار الكتب العلمية،ط1،سنة2002.

المراجع:

81_أحمد ، السليماني : تاريخ المدن الجزائرية،دار القصبة،الجزائر،سنة 2007.

82_ أحمد،علي: الأندلسيون في بلاد الشام،من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا،سنة 2008

83_ إدريس ،الهادي روجي :الدولة الصنهاجية،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمّادي الساحلي.بيروت:دار الغرب،ط1،سنة 1992.

84_ الباز، محمد عباس: مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص،دار الكلمة،القاهرة،مصر،ط1،سنة1425هـ/2004

85_ برنشفيك،روبار: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 مـ،ترجمة: حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،سنة 1988.

86_البستاني، بطرس :أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث _ حياتهم _ آثارهم _ نقد آثارهم.لبنان:دار مازن عبود،،(د.ت).

_بلعربي، خالد:

87_الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،دراسة تاريخية وحضارية،633هـ 681م الموافق لـ 1235م 1282م،دار الألمعية للنشر والتوزيع،قسنطينة،الجزائر،ط 1،سنة 2011.

88_ ورقات زيانية،دراسات و أبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،سنة2014.

89_ بروسلار، شارل :كتابات شواهد وقبور سلاطين و أمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان،الترجمة والتقديم:الرزقي شرقي،موفم للنشر،الجزائر،سنة 2011

90_ البشتاوي، عادل سعيد :الأندلسيون المواركة،القاهرة،ط1،سنة 1985

91_ توات، الطاهر محمد: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين (7،8)،ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزائر

92_ الثعالبي ،عبد العزيز ،تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية،جمع وتحقيق:أحمد بن ميلاد،محمد إدريس،دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة1410ه/1990.

93_الجيلالي ،عبد الرحمن بن محمد :تاريخ الجزائر العام.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، ط7،1415ه/2015م.

94_ حتامله،عبده محمد: الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة،دراسة شاملة،مطابع الدستور التجارية،عمان،الأردن،سنة1420ه/ 2000م.

95_ الحجي ،عبد الرحمن علي ،التاريخ الأندلسي،من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،دار القلم،دمشق،بيروت،سوريا،لبنان،ط2،سنة 1402ه/1981م.

_ حساني،مختار:

96_ تاريخ الدولة الزيانية،الأحوال الاجتماعية،دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،سنة 2007.

97_ موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،دار الحكمة،الجزائر ،ط2،سنة 2012

98_الحفناوي، أبو القاسم محمد:تعريف الخلف برجال السلف.الجزائر:موفم للنشر،ج1،سنة1991.

99_ الدراجي،بوزياني: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة 1993.

100_الدشراوي،فرحات :الخلافة الفاطمية بالمغرب،التاريخ السياسي والمؤسسات،نقله إلى العربية حمادي الساحلي.بيروت:دار الغرب،ط1،سنة1994.

101_ دندش ،عصمت عبد اللطيف ،الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين،عصر الطوائف الثاني،دار الغرب ،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1408ه/1988م.

_رزوق، محمد:

102_ الأندلسيون وهجراتهم،خلال القرنين، 16 _17، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب،ط3،سنة 1998.

103_ دراسات في تاريخ المغرب،أفريقيا الشرق،ط1،سنة 1991م

104_ الزركلي ،خير الدين : الزركلي، خير الدين بن محمود،الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، سنة 2002م

105_زيتون، محمد محمد ،المسلمون في المغرب والأندلس،المكتبة الإسكندرية،مصر،سنة 1411هـ/1990.

106_سعيدان،عمر:علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان ،في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م،منشورات ثالة،الجزائر،ط2،سنة 2011

_ سعيدوني ، ناصر الدين :

107_ دراسات أندلسية،مظاهر التأثير الإلبيري والوجود الأندلسيّ بالجزائر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة2003.

108_ دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر،العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر.

109_السلاوي، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1898م): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى،تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري،الدار البيضاء:دار الكتاب،ط1،سنة1972.

110_ ابن سنوسي، كمال:الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان،الشيخ العربي بن صاري أنموذجا،موفم للنشر،الجزائر،سنة2011م

111_ شاكر، مصطفى :موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان ،ط1،سنة 1993

112_شاوش، محمد بن رمضان ،بن دحمان الغوثي:إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 2011.

113_شبارو ،عصام محمد :الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود.بيروت:دار النهضة العربية،ط1، سنة1423هـ/2002م.

114_ شريفي، محمد سعيد :خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1975.

115_ الصلابي ،علي محمد محمد ،دولة الموحدين،دار البيارق للنشر،عمان،الأردن.

الطمار محمد :

116_تاريخ الأدب الجزائري.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،سنة 1981.

117_الطمار ،محمد:تلمسان عبر العصور،دورها في سياسة وحضارة الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة 2007

118_الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة 1983.

119_ الطويل، السيد رزق: مدخل في علم القراءات،المكتبة الفيصلية،ط1،سنة1415هـ/1985م

120_ العامري، محمد بشير حسن راضي ،تاريخ بلد الأندلس،في العصر الإسلامي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1435هـم2014م.

121_ العبادي، أحمد مختار :في تاريخ المغرب و الأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

122_ عبد العزيز عبد الجليل:مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية ،المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت،سنة 1983

123_ عزوق،عبد الكريم: الآثار الإسلامية ببجاية،إحصاء و جرد و تحليل،مؤسسة الضحى،الجزائر،ط1،سنة 1434هـ/2013.

124_ بوعمامة،فاطمة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14 _ 15 ميلادي ،مؤسسة كنوز الحكمة،للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 1432هـ/2011م.

عنان ،محمد عبد الله :

125_تراجم إسلامية شرقية وأندلسية.القاهرة:مكتبة الخانجي،ط2،سنة 1390هـ/1970م.

126_دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،ط2،سنة 1411هـ/1990،ج3.

127_ دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر، ط4، 1417 هـ /1997 م.

128_دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول.القاهرة:مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط4،سنة 1963/1389م.

129_دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس.القاهرة:مكتبة الخانجي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،ط2،سنة 1389هـ/1969م.

130_عويس، عبد الحميد: دولة بني حماد،صفحة رائعة من تاريخ الجزائر،دار الصحوة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،ط2،سنةه1991/1411م.

_فيلالي، عبد العزيز:

131_ تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر،الجزائر،سنة 2011.

132_ دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة،الجزائر،سنة 2012.

133_ العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،سنة 1982.

134_قريان، عبد الجليل: التعليم في تلمسان في العهد الزياني،جسور للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة 2011.

135_ القيسي،فايز عبد النبي فلاح :أدب الرسائل في الأندلس،في القرن الخامس الهجري،دار البشير للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،سنة 1409هـ/1989

136_ كرد ،علي:غابر الأندلس و حاضرها،المكتبة الأهلية ،مصر،ط1،سنة 1341هـ/1923م.

137_ لعرج،عبد العزيز: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ،دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العملية عمرانا وعمارة وفنا،شركة ابن باديس للكتاب،الجزائر،ط2،سنة 2011.

138_ لقبال، موسى وآخرون،الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب ،سنة 1984.

139_ مؤنس ، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد،مصر،سنة 2004.

140_مرتاض، محمد:من أعلام تلمسان،مقاربة تاريخية _ فنية _ دار الغرب للنشر و التوزيع،وهران،الجزائر،سنة2004.

141_المطوي، محمد العروسي: السلطنة الحفصية،تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،سنة 1406هـ/1986.

142_مكي ، محمود علي:التشيُّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية.القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية،ط1،سنة2004.

143_ موساوي،عبد المالك: تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس،دار السبيل للنشر والتوزيع،الجزائر،ط.1، سنة2012

144_الميلي، مبارك بن محمد :تاريخ الجزائر في القديم والحديث.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.

145_نويهض ،عادل : مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان،ط2،سنة 1400هـ/1980.

المجلات:

146_ **البلغيثي، العلوي**: فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي خطاب،مجلة دعوة الحق،العدد 249، رمضان1405هـ/يونيو1985م،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية.

147_ **بوباية، عبد القادر**: الروابط الثقافية والعلمية بين وهران و العدوة الأندلسية،إنسانيات،المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية،وهران،عدد مزدوج 23 _ 24،جانفي _ جوان 2004،مجلد 1 _2.

148_ **حاجيات، عبد الحميد**: ابن خلدون في بجاية،مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر ،صفر-ربيع الأول سنة 1394هـ/مارس-أفريل سنة 1974مـ،السنة الرابعة،العدد19.

149_ **الطالبي،محمد**: الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر،العدد 26 ،سنة 1975.

150_ السيدة عالمة،نظرة على تاريخ بجاية، مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر ،صفر-ربيع الأول سنة 1394هـ/مارس-أفريل سنة 1974م،السنة الرابعة،العدد19.

151_ **بوعزيز،يحيى**: الأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية،مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ،العدد 26،سنة 1975.

152_ **عنان، عبد الله**: ابن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر ،صفر-ربيع الأول سنة 1394هـ/مارس-أفريل سنة 1974م،السنة الرابعة،العدد19.

153_ **عمار، طالبي**:الحياة العقلية في بجاية،الفلسفة والكلام والتصوف، مجلة الأصالة، مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر ،صفر-ربيع الأول سنة 1394هـ/مارس-أفريل سنة 1974مـ،السنة الرابعة،العدد19.

154_ **الكبيسي، خليل إبراهيم**: هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي،مجلة المجمع العلمي العراقي،العراق،المجلد الرابع والأربعون، الجزء الثالث،سنة 1418هـ/ 1997م.

الرسائل الجامعية المخطوطة

155_ بحري، السعيد:الشعر في ظل الدولة الحفصية،دراسة تاريخية فنية،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم،جامعة منتوري،قسنطينة، كلية الآداب و اللغات،قسم اللغة العربية،السنة الجامعية:1427،2007/1426،2006.

156_بوتشيش،أمينة: بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية،قسم التاريخ،السنة الجامعية:سنة 1429،2008/1428،2007.

157_ بن داود، نصر الدين:بيوتات العلماء في تلمسان،من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ / 16م،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في المغرب الوسيط،تحت إشراف محمد بن معمر،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ و علم الآثار،سنة 1431هـ،2009/1430،2010

158_ المازوني، أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي بن المغيلي :الدرر المكنونة في نوازل مازونة،دراسة وتحقيق،بركات إسماعيل،تحت إشراف عبد العزيز فيلالي،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلام الوسيط،كلية العلوم الإنسانية ،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري،قسنطينة،الجزء الأول ،سنة 1430،2009/1431،2010.

159_ محمد،ناصح: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر الوسيط القرن 6هـ 12م،أطروحة دكتوراه لنيل د.د.ع كلية الآداب،الرباط ،سنة 1988.

160_بن معمر، محمد :العلاقات السياسية والروابط الثقافيةبين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين.وهران:كليةالعلوم الإنسانية والحضارة

الإسلامية،قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران،رسالة دكتوراه(مخطوطة)،السنة الجامعية2002/2001.

161_ طريفة ،حميد :ابن الأبّار القضاعي و مدائحه في البلاط الحفصي،دراسة موضوعية فنية،بحث مقدم لنيل درجة الماجستر في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج الأخضر،باتنة،كلية العلوم الإنسانية،قسم اللغة العربية وآدابها،السنة الجامعية 1430هـ،1431هـ/2010،2009،

المراجع الأجنبية:

162_Bargés ,**M**.**l'abbé J**.**–J**.**–L**,complément de l'histoire des Beni-zeiyan,rois Tlemcen,Ouverge du Cheikh Mohamed Abd al-Djalil al-Tenessy,ENAGEdition,Alger,2011

163_ Bargès, **L'Abbé J**.**J**.**L**,Tlemcen,acienne capitale du royaume de ce nom,Benjamin Duprat,libaire de l'instut et de la bibliothèque impériale,libraire-commissionnaire pour l'Alérie et l' ètranger,Paris,1859.

164_ Bouali,**Sid Ahmed** ,Les deux grands sièges de Tlemcen,dans l'histoire et la legende,L'arbre a livres,Tlemcen,Algérie,2011.

165_ Cambuzat Paul-louis ,L'evolution des cités du Tell en Ifrikiya du Vll au Xl siècle.Alger :office des publication universitaires.

166_ Georges Marçais,Tlemcen,EDIK,Oran,2003

،

الفهرس

فهرس

المدن الأندلسية	الشخصيات العلمية الأندلسية المهاجرة إلى حاضرة بجاية الحفصية الواردة في كتاب"عنوان الدراية"للغبريني[1]
من ناحية إشبيلية	أبو مدين شعيب بن الحسين(ت 594هـ)
من إشبيلية	أبو محمد عبد الحق بن اللهعبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي(ت581هـ)
من أبدة	أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري(ت675هـ)
من مالقة	أبو العباس أحمد بن خالد(ت660هـ)
من مرسية	أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي(674هـ)
من شاطبة	أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي(ت699هـ)
من شاطبة	أبو العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي(ت674هـ)
من رندة	أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي (691هـ)
من شاطبة	أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي(ت691)
من بلنسية	أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي(ت693هـ)
من مرسية	أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير سيدي محي الدين بن عربي المرسي(640هـ)
	أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي(ت662هـ)
من شاطبة	أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي(ت642هـ)
من إشبيلية	أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري المعروف بابن السراج الإشبيلي(657هـ)
من إشبيلية	أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي (ت 628هـ)
من مرسية	أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي (ت 669هـ)
من الششتر ناحية في وادي آش.	أبو الحسن علي النميري الشتشري(ت668هـ)
من أهل الأندلس	أبو زكرياء اللقني(الأندلسي)
من شلب*	أبو الربيع سليمان الأندلسي المعروف ب"كثير"

1 الغبريني،عنوان الدراية، من ص55 إلى ص301.

* شلب: "مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة."ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج3،ص357.

أبو بكر محمد بن أحمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي (655هـ)	من بلنسية
أبو عثمان سعيد بن علي الأنصاري البلنسي(ت654هـ)	من بلنسية
أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي(ت659هـ)	من إشبيلية
أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي(ت658هـ)	من جزيرة شقر
أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن عصفور(ت669هـ)	من إشبيلية
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي(ت661هـ)	من مرسية
أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي(ت636هـ)	من قرطبة
أبو جعفر بن يوسف الفهري اللَبْلي الأندلسي(691هـ)	من لَبْلة*
أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي	من غرناطة

* لبلة:" بالفتح، ثم السكون، ولام أخرى: قصبة كورة بالأندلس كبيرة، يتّصل عملها بعمل أكشونية بشرقيّ أكشونية وغرب قرطبة."صفي الدين القطيعي البغدادي،مراصد الاطلاع،ج3،ص1197.

ملاحق